

سيرة الحسين
عليه السلام
في الحديث والتاريخ..

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ

المركز الإسلامي للدراسات

لبنان - بيروت - الضاحية الجنوبية - أول حي ماضي

بناية حجازي - ط 1 - تلفاكس: 00961.1.274519

البريد الإلكتروني: alhadi@alhadi.org



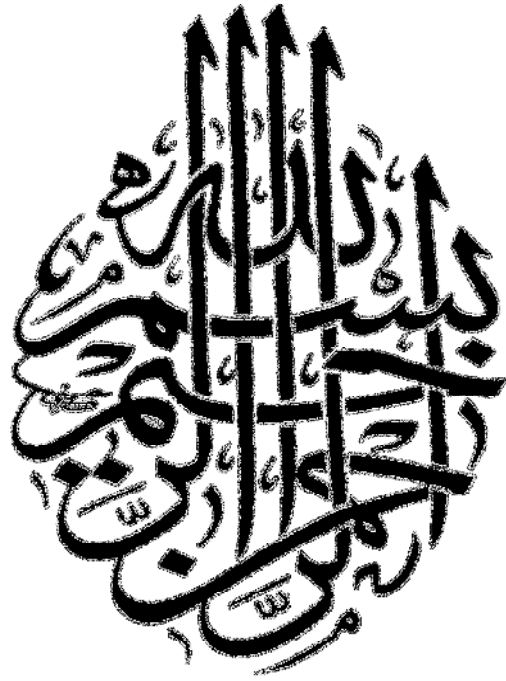
المنشورات: بيروت - بئر العبد - سنتر الانماء 3 - 00961 70995421

سيرة الحسين
عليه السلام
في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء العشرون

المركز الإسلامي للدراسات



الباب الثاني:

أحداث جرت في الكوفة..

الفصل الأول:

الكوفة تستقبل السبايا..

ابن سعد دخل الكوفة نهراً:

وإذا كان ابن سعد قد تحرك من كربلاء في اليوم الحادي عشر من المحرم، فيفترض أن يكون وصوله إلى مشارف الكوفة نهراً. مما يعني: أنه انتظر خارجها إلى اليوم التالي ليدخل السبايا ويبراهم الناس، ثم ضموا الرؤوس إلى السبايا، ليطاف بهما معاً لإخافة الناس، ولتأكيد قوة، وشوكة، ونكت المجرمين.

هؤلاء يبكين علينا، فمن قتلنا؟!:

١ - عن حذام الأسدي - ومرة أخرى حذيم -: قَدِمْتُ الْكُوفَةَ سَنَةً إِحْدَى وَسِتِّينَ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا الْحُسَيْنُ «عليه السلام»، فَرَأَيْتُ نِسَاءَ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَوْمَئِذٍ يَلْتَدِمْنَ مُهْتَكَاتِ الْجُيُوبِ، وَرَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» وَهُوَ يَقُولُ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ، وَقَدْ نَحَلَ مِنَ الْمَرَضِ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، إِنَّكُمْ تَبْكُونَ عَلَيْنَا فَمَنْ قَتَلَنَا غَيْرَكُمْ؟

ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ وَهُوَ عَلَى لَفْظِ هَارُونَ بْنِ مُسْلِمٍ، وَأَخْبَرَ هَارُونَ بْنُ مُسْلِمٍ بَنَ سَعْدَانَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ الْبَصْرِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ آبَائِهِ «عليهم السلام»، قَالَ:

لَمَّا أُدْخِلَ بِالنِّسْوَةِ مِنْ كَرْبَلَاءَ إِلَى الْكُوفَةِ، كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» ضَنْيلاً قَدْ نَهَكَتُهُ الْعِلَّةُ، وَرَأَيْتُ نِسَاءَ أَهْلِ الْكُوفَةِ مُشَفِّقَاتِ الْجُيُوبِ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ «عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»، فَرَفَعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ «عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» رَأْسَهُ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ هَؤُلَاءَ يَبْكِينَ فَمَنْ قَتَلْنَا؟! (١).

٢ - سَارَ ابْنُ سَعْدٍ بِالسَّبْيِ... فَلَمَّا قَارَبُوا الْكُوفَةَ اجْتَمَعَ أَهْلُهَا لِلنَّظَرِ إِلَيْهِنَّ.

قَالَ الرَّاوي: فَأَشْرَفَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْكُوفِيَّاتِ، فَقَالَتْ: مِنْ أَيِّ الْأَسَارَى أَنْتُنَّ؟

فَقُلْنَ: نَحْنُ أُسَارَى آلِ مُحَمَّدٍ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

فَنَزَلَتْ مِنْ سَطْحِهَا، فَجَمَعَتْ مَلَأً وَأَزْرَأَ وَمَقَانِعَ فَأَعْطَتْهُنَّ فَتَغَطَّيْنَ.

وَكَانَ مَعَ النِّسَاءِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»، قَدْ نَهَكَتُهُ الْعِلَّةُ، وَالْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمُتَنَّى، وَكَانَ قَدْ وَاسَى عَمَّهُ وَإِمَامَهُ فِي الصَّبْرِ عَلَى

(١) بلاغات النساء ص ٣٧ و (نشر مكتبة بصيرتي) ص ٢٣ والأُمالي للمفيد ص ٣٢١ ح ٨ والأُمالي للطوسي ص ٩١ ح ١٤٢ والإحتجاج ج ٢ ص ١٠٩ ح ١٧٠ و (ط دار النعمان) ج ٢ ص ٢٩ عن حذيم بن شريك نحوه، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٦٤ ح ٨ وراجع: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤٥ والفتوح لابن أعمش ج ٥ ص ١٢٠ و ١٢١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٤٠ والفصول المهمة ص ١٩٠ وكشف الغمّة ج ٢ ص ٢٦٣ والحدائق الوردية ص ١٢٤ كلها نحوه. والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٦٨.

الرِّمَاح، وَإِنَّمَا ارْتُتَّ وَقَدْ أُتْخِنَ بِالْجِرَاحِ.

وكانَ مَعَهُمْ أَيْضاً زَيْدٌ وَعَمْرُو وَلَدَا الْحَسَنِ السَّبْطِ «عليه السلام»،
فَجَعَلَ أَهْلُ الْكُوفَةِ يَنْوَحُونَ وَيَبْكُونَ.

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»: أَتَنْوَحُونَ وَتَبْكُونَ مِنْ أَجْلِنَا؟
فَمَنْ ذَا الَّذِي قَتَلَنَا؟! (١).

ونقول:

السؤال المحرج والصريح:

إن سؤال الإمام السجاد «عليه السلام» عن نسوة أهل الكوفة
بقوله: أَلَا إِنَّ هَؤُلَاءِ يَبْكِينَ عَلَيْنَا فَمَنْ قَتَلَنَا؟! هذا السؤال وإن بدا سؤالاً
بسيطاً وساذجاً في ظاهره، ولكنه عميق ودقيق، حيث نلاحظ ما يلي:

١ - إنه «عليه السلام» قد أورد كلامه بصيغة السؤال، الذي يجعل
سامعه سواء كان مخاطباً، أو غير مخاطب، أو حتى لو كان من فريق لا
يعرف الإمام الحسين «عليه السلام»، ولا يعرف قتلته، أو كان إنساناً
قد ولد بعد حادثة عاشوراء، وعرف بنتائجها، ثم قرأ أو ذكر له هذا
السؤال، فإنه سيعود إلى نفسه ليبحث عن الإجابة على، فإن لم يجد
لديها جواباً، فإنه سوف يبحث عن جواب له عند العلماء، أو في

(١) الملهوف ص ١٩٠ و (نشر أنوار الهدى) ص ٨٦ وبحار الأنوار ج ٤٥
ص ١٠٨ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٧٧ وراجع: مثير الأحزان
ص ٨٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٦٦.

مطالوي كتب التاريخ..

٢ - وإذا كانت كلمته «عليه السلام» هي: «إنكم تكون علينا، فمن قتلنا غيركم»؟! فإن الأمر يصبح أكثر إحراجاً لنساء الكوفة، فهو بمثابة توجيه اتهام صريح لأهل الكوفة: بأنهم هم الذين قتلوا أهل البيت «عليهم السلام».

٣ - إنه «عليه السلام» بكلامه هذا يسجل على أهل الكوفة: أنهم يفعلون أموراً متناقضة تبعث على الحيرة، وسياق عبارته يشير إلى أن هذا الأمر قد أثار استغرابه، فإن من يقتل أقدس البشر وأعلمهم وأتقاهم، وأفضلهم، وإمام أهل الأرض، وسليل النبوة، وسيد شباب أهل الجنة، ولا يشفق على قريب أو صديق له، ثم يأسر نساءه وأطفاله يكون من أعتى الناس، وأقساهم قلباً، وأشدهم عنقاً وجحوداً وكفراً، وأبعدهم عن أن يكون لديه مشاعر إنسانية، وعواطف نبيلة، وقيم، ومبادئ أخلاقية، فكيف يبكي هذا القاتل؟!!

أو كيف يسمح لأحد من أهل بيته بأن يبكي على ضحاياه، الذين حرص أشد الحرص على مواجهتهم بأنواع البليات، وأنزل بهم أقسى أنواع الأذى والمصائب؟!!

وقد جاء سؤال الإمام السجاد «عليه السلام» لنساء أهل الكوفة ليثير لديهن هذه الأسئلة، وينبه إلى هذه المعاني بالذات..

٤ - وتتأكد ضرورة إثارة هذه الأسئلة، إذا كنا نعلم أن نساء أهل الكوفة كنَّ يعلمن أن رجالهنَّ سواء أكانوا آباء، أو إخوة، أو أبناء، أو

أقارب إنما خرجوا من الكوفة لقتال الحسين «عليه السلام». وقد قتلوه، وهذا رأسه، ورؤوس أصحابه، تدخل الكوفة على رؤوس الرماح، وتلك عياله وأطفاله يدخلون الكوفة سبايا، وبضعة نفر نبت السيوف، كالإمام زين العابدين، وبعض آخر يدخلون بهم أيضاً إلى ذلك البلد أسرى مقهورين..

أسارى آل محمد:

ألف: بذلك يظهر: أن الكوفية التي سألت السبايا: «من أي الأسارى أنتن؟! ربما كانت امرأة معزولة في بيتها، ومحيطها، ولا تعرف مما يجري حولها، إلا النزر اليسير. ولعلها كانت تعيش في حواشي الكوفة وأطرافها، كما تعيش بعض العوائل في زراعتها، أو مع مواشيها، ويقتصر اتصالها بالناس على بيع ما يباع من تلك الزراعة، أو من ألبان تلك المواشي، أو أي منتجات أخرى..

وقد رأينا: أن نساء الإمام الحسين «عليه السلام» أجبن تلك المرأة: «نحن نساء آل محمد»، ولم يقلن: نحن نساء الحسين «عليه السلام»، ولعل من أسباب هذا الجواب:

أولاً: أن الحرب على الإمام الحسين «عليه السلام» كان يراد منها الانتقام من النبي «صلى الله عليه وآله» لقتله المشركين في غزوة بدر.

ثانياً: إبطال محاولات إنكار موقعة الحسين «عليه السلام» من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، تارة، بزعم: أن أبناء الرجل هم

الذكور وأبناؤهم. أما أبناء البنت فليسوا أبناء له..

وأخرى، بزعمهم: أن الحسين «عليه السلام» هو المعتدي، وقاطع الرحم، وأنه يجب أن ينال جزاءه.

وكلا هذين الأمرين باطل، فالحسين «عليه السلام» معصوم ومطهر من كل ذنب بنص القرآن، والمعتدي هم بنو أمية وأشياعهم، لأنه هو الإمام الحق للأمة بنص النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد بايعه يزيد على أنه «عليه السلام» هو الخليفة بعد معاوية.. كما نص عليه ابن أعثم، وكما ذكره ابن الزبير في خطبته بعد استشهاده «عليه السلام»^(١).

كما أن ابن عتبة يصرح: بأن الأمر من بعده للحسن ثم للحسين «عليهما السلام»^(٢).

كما أن الحسين لم يأت إلى العراق بجيوش، ولا هيأ العتاد والسلاح للحرب، بل جاء بأهل بيته ونسائه، ومعهم بضعة عشرات من الأصحاب.

وسبب ذلك: أنه كان ملاحقاً من قبل بني أمية، ويريدون قتله ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة..

كما أننا لم نسمع منه: أنه أعلن أنه خارج على يزيد، بل أعلن

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٤٩.

(٢) عمدة الطالب ص ٦٧.

أنه خرج لطلب الإصلاح في أمة جده.

وأما الحديث عن إنكار بنوة الحسين لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتكذبه تصريحات رسول الله «صلى الله عليه وآله» بينوتهما له في عشرات النصوص..

من هم الأسرى؟!:

وتقدم: أن الأسرى الذين كانوا مع السبايا ما عدا المماليك والإماء الذين كانوا معهم أيضاً بحسب رواية ابن طاووس، وابن نما، وغيرهما هم:

١ - الإمام السجاد «عليه السلام».

٢ - الحسن بن الحسن المثنى. الذي كان قد ارتث وأثخن بالجراح بعد أن قتل من الأعداء سبعة عشر رجلاً.

٣ - زيد بن الحسن «عليه السلام».

٤ - عمرو بن الحسن «عليه السلام».. وقد تقدم.

٥ - القاسم بن عبد الله بن جعفر.

٦ - محمد بن عقيل الأصغر.

٧ - محمد الباقر «عليه السلام»^(١).

(١) راجع ما تقدم في: الملهوف ص ١٩٠ و ١٩١ و (نشر أنوار الهدى) ص ٨٦ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٠٨ ومثير الأحزان ص ٨٥ و (ط المكتبة

وغيرهم..

وقال ابن نما: «قال علي بن الحسين «عليه السلام»: أدخلنا على يزيد، ونحن اثنا عشر رجلاً مغلولون»^(١).

إستقبال السبايا في مصادر متأخرة:

هناك نصوص لم نجدها في المصادر المتقدمة التي بين أيدينا، بل وجدت في مصادر متقدمة، أو في مصادر أبهم الناقل عنها - كالمجلسي - اسمها. وقد تحاشينا في كتابنا هذا الأخذ من هذه الكتب المتأخرة، باستثناء مواضع يسيرة منها.

ونحن نذكر هنا ثلاثة نصوص، ثم نناقشها، وهي التالية:

١ - ما رواه سهل بن حبيب الشهرزوري قال: كنت قد أقبلت في تلك السنة، أريد الحج إلى بيت الله الحرام، فدخلت الكوفة، فوجدت الأسواق معطلة، والدكاكين مغلقة، والناس مجتمعون خلقاً كثيراً، خلقاً

الحيدرية) ص ٦٦ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد (تحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي) ص ٧٨ وتسمية من قتل مع الحسين ص ١٥٧ ومقاتل الطالبين ص ١١٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٩ وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ٢٦٦ وكامل البهائي لعماد الدين الطبري ص ٢٩٠ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٧٧.

(١) مثير الأحزان ص ٩٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٨ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٣٢.

حلقاً، منهم من يبكي سرّاً، ومنهم من يضحك جهراً.

فتقدمت إلى شيخ منهم، وقلت له: يا شيخ ما نزل بكم؟! أراكم مجتمعين كتائب، ألكم عيد لست أعرفه للمسلمين؟!

فأخذ بيدي، وعدل بي ناحية عن الناس، وقال: يا سيدي ما لنا عيد، ثم بكى بحرقة ونحيب.

فقلت: أخبرني يرحمك الله؟!

قال: بسبب عسكريين: أحدهما منصور، والآخر مهزوم مقهور.

فقلت: لمن هذان العسكران؟

فقال: عسكر ابن زياد وهو ظافر منصور! وعسكر الحسين بن علي «عليهما السلام»، وهو مهزوم مكسور.

ثم قال: وا حرقناه أن يدخل علينا رأس الحسين!

فما استتم كلامه، إذ سمعت البوقات تضرب، والرايات تخفق، قد أقبلت، فمددت طرفي، وإذا بالعسكر قد أقبل ودخل الكوفة.

فلما انقضى دخوله، سمعت صيحة عالية، وإذا برأس الحسين «عليه السلام»، قد أقبل على رمح طويل، وقد لاحت شواربه، والنور يخرج ساطعاً من فيه، حتى يلحق بعنان السماء.

فخنقتني العبرة لما رأيته، وأقبلت من بعده أم كلثوم «عليها وعلى آبائها السلام»، وعليها برقع خز أدكن، وهي تتادي: يا أهل الكوفة، نحن والله سبايا الحسين، غضوا أبصاركم عن النظر إلينا.

معاشر الناس، أما تستحيون من الله ورسوله؟! تنظرون إلى حريم نبيكم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحريم علي المرتضى، وفاطمة الزهراء «عليها السلام».

قال: فغضوا الناس أبصارهم من النظر إليهم.

قال سهل بن حبيب «رضي الله عنه»: فوقفوا بباب بني خزيمة ساعة من النهار، والرأس على قناة طويلة، فتلا سورة الكهف، إلى أن بلغ في قراءته إلى قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)^(١).

قال سهل: والله، إن قراءته أعجب الأشياء، ثم بكيت وقلت: إن هذا أمر فظيع، ثم غشي علي، فلم أفق من غشوتي إلى أن ختم السورة.

قال: وأقبلوا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد.

قال بعضهم: حدثني بعض من حضر ذلك اليوم، قال: رأيت ناراً قد خرجت من القصر، فولى عبيد الله بن زياد هارباً من مجلسه إلى بعض البيوت، وارتفعت النار، وتكلم الرأس بصوت فصيح ولسان طلق، حتى سمعه عبيد الله بن زياد «لعنه الله»، وجميع من في القصر، وهو يقول: إلى أين تهرب يا لعين؟! إن عجزت عنك النار في الدنيا، فما تعجز عنك في الآخرة.

(١) الآية ٩ من سورة الكهف.

قال: هي مثواك يوم القيامة.

قال: فوق كل من كان حاضراً على ركبهم سُجِّدًا من تلك النار، وكلام الرأس، فلطموا على رؤوسهم، لأجل ذلك.

فلما ارتفعت وسكت الرأس، رجع عبيد الله بن زياد، وجلس في مجلسه، ودعا بالرأس، فاحضر بين يديه وهو في طست من الذهب، وجعل يضرب بقضيب في يده على ثناياه، وينكتها، ويقول: قد أسرع الشيب إليك يا أبا عبد الله.

فقال له رجل من القوم: مه فإني [رأيت] رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يلثم حيث تضع قضيبك.

فقال: يوم بيوم بدر، وأراد أن يصلبه في الكوفة، فخشي أن يتكلم عليه بكلام آخر^(١).

وقد ذكرنا نحن فيما تقدم قول حذلم بن ستير: إن السبائيا دخلن الكوفة على الجمال بغير وطاء، وأن الإمام السجاد «عليه السلام» قد نهكته العلة، وفي عنقه الجامعة، ويده مغلولة إلى عنقه^(٢).

(١) مدينة المعاجز ج ٤ ص ١٢١ - ١٢٤.

(٢) الأمل للمفيد ص ٣٢٠ و ٣٢١ والأمل للطوسي ص ٩١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٦٤ و ١٦٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٧١ و ٣٦٨ والإحتجاج ج ٢ ص ٢٩ والملهوف ص ١٩٢ و (نشر أنوار الهدى) ص ٨٤ والفصول المهمة ص ١٩٢ والمنتخب للطريحي ص ٣٥٠.

٢ - لما وصل إلى ابن زياد خبر عودة جيش عمر بن سعد إلى الكوفة، أمر أن لا يحمل أحد من الناس السلاح في الكوفة، كما أمر عشرة آلاف فارس: أن يأخذوا السكك والأسواق، والطرق والشوارع، خوفاً من أن يتحرك الناس حميةً وغيره على أهل البيت «عليهم السلام» إذا رأوا بقيتهم بتلك الحالة من الأسر والسبي.

وكان عدد نفوس أهل الكوفة آنذاك يربو على ثلاثمائة ألف نسمة. وأمر أن تُجعل الرؤوس في أوساط المحامل أمام النساء، وأن يُطاف بهم في الشوارع والأسواق، حتى يغلب على الناس الخوف والخشية^(١).

٣ - لا شك في أن العلامة المجلسي «رحمه الله» هو من أعظم علمائنا المعتمدين.. ولكنه قد نقل بعض النصوص من كتب كانت في حوزته، لم يذكر لنا اسمها، ولعل سبب ذلك: أنها كانت قد تعرضت لتلف بعض أوراقها التي تحمل اسم الكتاب، واسم المؤلف، ومن ذلك: **قال المجلسي «رحمه الله»: رأيت في بعض الكتب المعتبرة،** روى مرسلاً عن مسلم الجصاص قال: دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فبينما أنا أجصص الأبواب، وإذا أنا بالزّعات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت على خادم كان يعمل معناً، فقلت: ما لي أرى الكوفة تضجّ؟

(١) معالي السبطين ج ٢ ص ٥٧ عن روضة الصفا.

قال: السّاعة أتوا برأس خارجيٍّ، خرج على يزيد بن معاوية.

فقلت: من هذا الخارجيّ؟

قال: الحسين بن عليّ.

قال: فتركت الخادم حتّى خرج ولطمت وجهي، حتّى خشيت على

عينيّ أن تذهبا!

وغسلت يدي من الجصّ، وخرجت من ظهر القصر، وأتيت إلى
الكناس، فبينما أنا واقف والنّاس يتوقعون وصول السّبايا والرؤوس، إذ
قد أقبلت نحو أربعين شقّة تحمل على أربعين جملاً، فيها الحرم
والنّساء، وأولاد فاطمة «عليها السلام»، وإذا بعليّ بن الحسين على
بعير بغير وطاء! وأوداجه تشخب دمًا، وهو مع ذلك يبكي ويقول:

يا أمة السوء لا سقياً لربعكم	يا أمة لم تراع جدنا فينا
لو أنّنا ورسول الله يجمعنا	يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيرونّا على الأفتاب عارية	كأننا لم نشيّد فيكم ديناً
بني أميّة ما هذا الوقوف	تلك المصائب لا تلبون داعينا
تصفقون علينا كقكم فرحاً	وأنتم في فجاج الأرض تسبوننا
أليس جدّي رسول الله ويلكم	أهدى البريّة من سبل المضلينا
يا وقعة الطّفّ قد أورثتني	والله يهتك أستار المسينينا

قال: وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل

بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أمّ كلثوم، وقالت: يا أهل الكوفة! إنّ الصدقة علينا حرام! وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال، ومن أفواههم وترمي به إلى الأرض.

قال: كلّ ذلك والنّاس يكون على ما أصابهم.

ثمّ إنّ أمّ كلثوم «عليها السلام» أطلعت رأسها من المحمل، وقالت لهم:

صه يا أهل الكوفة! تقتلنا رجالكم وتبكيّنا نسأؤكم؟! فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء!

فبينما هي تخاطبهنّ، إذا بضجّة قد ارتفعت، فإذا هم أتوا بالرؤوس، يقدّمهم رأس الحسين «عليه السلام»، وهو رأس زهريّ قمريّ، أشبه الخلق برسول الله، ولحيته كسواد السّبح، قد انتصل منها الخضاب، ووجهه دائرة قمر طالع! والرمح (لعل الصحيح: والريح) تلعب بها يميناً وشمالاً.

فالتفتت زينب «عليها السلام»، فرأت رأس أخيها، فنطحت جبينها بمقدّم المحمل، حتّى رأينا الدّم يخرج من تحت قناعها، وأومت إليه بخرقة (لعل الصحيح: بخرقة) وجعلت تقول:

يا هلالاً لما استتمّ كمالاً	غاله خسفه فأبدى غروباً
ما توهّمّت يا شقيق فوادي	كان هذا مقدراً مكتوباً
يا أخي فاطم الصغيرة كلّها	فقد كاد قلبها أن يذوباً

يا أخي قلبك الشفيق علينا ما له قد قسى وصار صليبا
يا أخي لو ترى علياً لدى مع اليتم لا يطيق وجوبا
كلما أوجعوه بالضرب ناداك بذلّ يفيض دمعاً سكوبا
يا أخي ضمّه إليك وقربه وسكن فؤاده المرعوبا
ما أدلّ اليتيم حين ينادي بأبيه ولا يراه مجيباً^(١)

ونقول:

قبل أن نلقي نظرة موجزة على هذه النصوص نذكر معاني بعض
الألفاظ، فنقول:

الكناس، والكناسة: موضع بالكوفة، وكل فسحة في فناء منزل تلقى
فيها الزباله والأتربة والحجارة.

الشقة: الشظية، أو القطعة المشقوقة من لوح أو خشب، أو غيره.

السبج: حجر أسود شديد السواد، براق، له فوائد طبية. وهو معرّب
شبة.

نصل الخضاب: أي خرجت اللحية من الخضاب بسبب نمو الشعر،
أو لأي سبب آخر.

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٤ و ١١٥ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧
ص ٣٧٣ وينابيع المودة ص ٤٧١ و (ط دار الأسوة) ص ٨٦ و ٨٧ وعن
المنتخب للطريحي ص ٢٦٣.

هل كان هناك عسكريان؟!:

ذكرت الرواية المتقدمة برقم [١]: أن سهل بن حبيب سأل شيخاً عن سبب تعطيل الأسواق، وتجمع الناس، فأخبره أن عسكريين التقيا، فكان أحدهما ظافراً منصوراً، والآخر مهزوماً مكسوراً..

وهذا التعبير مجاف للحقيقة، فلم يكن لدى الحسين «عليه السلام» عسكري، بل كان معه أهل بيته، ونساؤه وأطفاله، وبعض أصحابه، الذين قد يحتاج إليهم في سفره الطويل، في صحراء قاحلة، لا تخلو عادة من المخاطر، مثل اللصوص، وقطاع الطرق، والوحوش الكاسرة..

وهم بمجموعهم أقل من مئة رجل كما تقدم، وقد جاء «عليه السلام» تلبية لدعوة من يزعمون أنهم بحاجة إليه لحل مشاكلهم، وإصلاح أمورهم، فهو قد جاء إلى العراق مصلحاً، ولم يأت مقاتلاً.

ولأجل ذلك لم يجمع الجيوش، ولا طلب من الناس في الأقطار أن يلتحقوا به. بل هو قد طلب من الناس الذين التحقوا به: أن يتفرقوا عنه، ورغبهم في ذلك موضحاً لهم: أن الأمور سوف لا تجري كما يحبون أو يتوقعون.

ولكن بني أمية بادروا إلى أخذ الطريق عليه، وجعلوه أمام خيارين:

إما أن يؤخذ أسيراً مخفوراً، ويسلم إلى ابن زياد، ليرى فيه رأيه الذي لن يكون إلا القتل بصورة ذليلة ومهينة..

أو القتل عطشاناً في تلك الصحراء، على يد جيش يحيط به من مختلف الجهات، قد يزيد على ثلاثين ألفاً، فضلاً عن الآلاف الأخرى، المنتشرة في المناطق القريبة أو البعيدة.

فإن كان الهدف من إيراد هذا النوع من التعابير، هو الإيحاء: بأن الحسين «عليه السلام» قد جاء مقاتلاً، ومعه عسكر وجيش، وقد هزمه عسكر يزيد وكسره.. فهذا افتئات على الحق والحقيقة، وتحريف للوقائع بمهارة وذكاء.

ظهور النار في القصر:

وذكرت رواية سهل بن حبيب المتقدمة: أن النار حين خرجت من القصر، وهرب منها ابن زياد، ناداه الرأس الشريف: «إلى أين تهرب يا لعين؟! إن عجزت عنك النار في الدنيا، فما تعجز عنك في الآخرة».

وهذا الكلام أيضاً غير معقول، ولا مقبول، فإن هذه النار إنما خرجت من القصر بطريقة إعجازية، وبفعل إلهي، بهدف إظهار القدرة الإلهية المطلقة، والضعف والعجز لدى أعداء الله، ليعرف الناس: أن قتلهم للحسين «عليه السلام» لا يعني أن الله تعالى عاجز عن أخذهم أخذ عزيز مقتدر.. ولا يعني: أن الله تعالى قد صرف النظر عن أوليائه وأحبابه، وأن منزلتهم عنده قد تلاشت.

فالنار لم تعجز عن ابن زياد، لأنها لم تكن بصدد الوصول إليه، بل كان الغرض منها شيئاً آخر، هو ما ذكرناه.

والإلا، فإن عجز النار عن ابن زياد لو صح لكان معناه: أن الله تعالى هو الذي عجز عنه..

وقال بعض الإخوة الأكارم: المراد: إنها إن عجزت عن ابن زياد بحسب ظنه أو زعمه، لأجل هروبه، فلن تعجز عنه في الآخرة، لأنه لن يستطيع حينها أن يهرب منها.

تدابير احترازية في الكوفة:

أما ما ذكره الحائري في معالي السبطين، فلا نعرف مصدره، ولم نجده فيما بين أيدينا من الكتب المعتمدة. فإن كان قد أخذه من أمثال كتاب روضة الشهداء، فهذا الكتاب ليس من الكتب المعتمدة، وقد توفي مؤلفه: الحسين بن علي الكاشفي سنة ٩٣٠ هـ. وقد سجل كثير من العلماء مؤاخذات على هذا الكتاب، ومنهم أبو الحسن الشعراني، كما ذكر في المقدمة التي طبعت في أول كتاب روضة الشهداء.

كما أن عبد الله أفندي - مساعد العلامة المجلسي - قد سجل تحفظه عليه^(١).

وكذلك المحدث النوري في كتابه: اللؤلؤ والمرجان، والسيد محسن الأمين^(٢)، والسيد محمد علي القاضي^(١).

(١) رياض العلماء ج ٢ ص ١٩٠.

(٢) أعيان الشيعة ج ٦ ص ١٢٢.

ونسب ذلك أيضاً إلى الشهيد مطهري.

وقد أورد بعض الإخوة أمثلة على ما في هذا الكتاب من عجائب وغرائب، مثل:

١ - أن عدد الجراح في جسم الإمام الحسين «عليه السلام» بلغ اثنين وعشرين ألفاً^(٢).

٢ - التصاق الرؤوس بأجساد أولاد مسلم^(٣).

٣ - إن هاشم المرقال كان في كربلاء^(٤). مع أن هاشماً استشهد في صفين.

وأضاف إلى ما تقدم:

٤ - قصة زعفر الجني^(٥). مع أن هذه القصة قد يكون لها أصل، وليس لدينا ما يدل على أنها مختلفة.

٥ - عرس القاسم^(٦). ونقول فيه كما قلنا في قصة زعفر الجني.

غير أن ما يربينا هو عدم وجود هاتين القصتين في المصادر التي بين أيدينا، مما هو سابق على زمانه.

(١) تحقيق حول أربعين سيد الشهداء (فارسي) ص ٦٦.

(٢) روضة الصفا ص ٦٠.

(٣) روضة الصفا ص ٢٤١.

(٤) روضة الشهداء ص ٣٠٠.

(٥) روضة الشهداء ص ٣٤٦.

(٦) روضة الشهداء ص ٣٤٦.

الشعر الذي قاله السجاد X:

وعن الشعر الذي يقال: إن السجاد «عليه السلام» قد أنشده
نقول:

ألف: إن هذه الأبيات التي تنسب إلى الإمام زين العابدين «عليه
السلام» لا تخلو من ملاحظات، فمثلاً:

١ - قوله في الشطر الثاني من البيت الأول:

يا أمة السوء لا سقياً لربعكم يا أمة لم تراعي جدنا فينا

فإن استقامة الوزن تحتاج إلى المد الذي يظهر الياء في كلمة
تراعي، مع أنها مجزومة بـ «لم»، وهذا يقتضي حذف الياء، فلو أنه
قال: «لم تراقب جدنا» لسلم من هذا المحذور.

٢ - في البيت الثالث قال:

تسيرونا على الأفتاب عارية كأننا لم نشيد فيكم ديننا

فكلمة «تسيرونا» فعل مضارع، وهي من الأفعال الخمسة التي
ترفع بثبوت النون، فلماذا إذن حذف نون الرفع، واكتفى بضمير جمع
المتكلمين، وهو كلمة «نا».

٣ - قوله في البيت الرابع:

بني أمية ما هذا الوقوف تلك المصائب لا تلبون داعينا

قد أخرج فيه هذا الشعر عن الوزن الصحيح. ولو قال مثلاً:

بني أمية ما هذا الوقوف تلك المصائب لم تصغوا لداعينا

لاستقام الوزن.

٤ - ولو بدل قوله:

تصفقون علينا كقكم فرحاً

بقوله:

أتصفقون علينا كقكم فرحاً لكان أولى.

٥ - وقوله في البيت السادس:

أهدى البرية من سبل المضلينا

ظاهر الركاقة والاضطراب.

ب: بالنسبة للأبيات المنسوبة لزينب «عليها السلام»، نقول:

١ - ورد في هذه الأبيات قولها في البيت الثالث:

يا أخي، فاطم الصغيرة كلمها فقد كاد قلبها أن يذوبا

مع أن فاطمة بنت الحسين «عليه السلام» لم تكن صغيرة، بل كانت متزوجة من الحسن المثنى، وقد ذكروا: أن الحسن هذا خطب إلى عمه الحسين إحدى ابنتيه.

فقال له الحسين «عليه السلام»: اختر يا بني أحبهما إليك.

فاستحى الحسن، ولم يجر جواباً.

فقال الحسين «عليه السلام»: فإنني قد اخترت لك ابنتي فاطمة، وهي أكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه

وآله»^(١).

وعن الزبير بن بكار: أن الحسن لما خيّر عمة اختار فاطمة^(٢)، وعن مصعب الزبيري نحوه^(٣).

وكان هذا التزويج في السنة التي قتل فيها الحسين «عليه السلام»^(٤) على الظاهر.

وأم فاطمة هي أم إسحاق^(٥)، التي كانت زوجة للإمام الحسن

(١) الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٢٥ والعدد القوية ص ٣٥٥ والأغاني ج ٢١ ص ١١٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٢١ ص ٧٩ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٦٧ وإسعاف الراغبين ص ٢٢٩ و ٢٣٠ والكنى والألقاب ج ٢ ص ٤٦٥ ومقاتل الطالبين ص ١٨٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ١٢٢ ولباب الأنساب ج ١ ص ٣٨٥ وعمدة الطالب ص ٩٨ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢ ص ٧٥٠ وإعلام الوري ج ١ ص ٤١٧ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٠٥ و (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٢٠٢ وسر السلسلة العلوية ص ٦ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٣١٤ والدر النظيم ص ٥١٩.

(٢) مقاتل الطالبين ص ١٨٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ١٢٢ والأغاني ج ٢١ ص ١١٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٢١ ص ٧٩.

(٣) نسب قريش ص ٥١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٧٠ ص ١٧ والأغاني (ط دار إحياء التراث العربي) ج ١٦ ص ٣٦٢.

(٤) لباب الأنساب ج ١ ص ٣٨٥ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٧٠ ص ١٧ والمعارف لابن قتيبة ص ٢١٣ ونسب قريش ص ٥٩.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٣١٩ والمحرر للبغدادي ص ٤٠٤

«عليه السلام»، فتزوجها الإمام الحسين «عليه السلام» بعده، فولدت فاطمة.

ويبدو: أن فاطمة ولدت سنة خمسين. وكانت أكبر من سكينه.

٢ - كما أن مضمون البيت الرابع يقول: إن قلب الحسين كان شفيقاً، ثم تغير وأصبح قاسياً وصليباً.

وهذا أمر مرفوض وغير صحيح.

٣ - ذكرت الأبيات: أن علياً الأسير لا يطيق مع يتمه وجوباً، وفي هذا مؤاخذه من جهتين:

أولاهما: إنه وصف زين العابدين «عليه السلام» باليتيم في هذا البيت الخامس، ثم أكد ذلك في البيت الأخير، مع أن عمر الإمام السجاد يوم عاشوراء كان ثلاثاً وعشرين سنة، بل أكثر من ذلك بناء على بعض الأقوال الأخرى. فهل يمكن وصف من يكون بهذه السن يتيماً؟! **الثانية:** قولها:

يا أخي لو ترى علياً لدى مع اليتم لا يطيق وجوباً

فحتى إذا فسرنا الوجوب بالثبوت، فإنه لا معنى لقول القائل: فلان لا يطيق ثبوتاً، ولا يكون بمعنى الثبات والتماسك.

والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٠ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٨ ص ٩٥ وصبح الأعشى ج ١ ص ٥٠٠ والمحاضرات والمحاورات ص ٤٢٣ وجمهرة أنساب العرب ص ٤١.

٤ - ورد في هذه الأبيات قولها «عليها السلام»: إن الإمام زين العابدين «عليه السلام»:

كَلَّمَا أَوْجَعُوهُ بِالضَّرْبِ نَادَاكَ بَذَلَ يَغِيضُ دَمْعاً سَكُوباً

ولنا على هذا البيت ثلاث مؤاخذات، هي:

ألف: إن المناسب هو: أن يفيض الدمع السكوب، كلما أوجعوه بالضرب، لا أن يغيض ويجف، إلا إن كانت كلمة يفيض قد تعرضت للتصحيف، فصارت يغيض.

ب: هل صحيح: أن الأعداء كانوا يوجعون الإمام السجاد «عليه السلام» بالضرب؟!!

فلو كان الأمر كذلك لنقل إلينا بكثافة، لتوفر الدواعي على نقله من الأعداء، لإظهار ذلة الإمام «عليه السلام»، ومن الأولياء لإظهار شدة مظلوميته «عليه السلام»، وقد رُفِجَ أَعْدَائُهُ، ولغير ذلك من أهداف.

ج: هل صحيح: أنه «عليه السلام» كان حين يضربه الأعداء ينادي أباه بذر، وتفيض عيناه بالدموع؟! حيث قالت:

كَلَّمَا أَوْجَعُوهُ بِالضَّرْبِ نَادَاكَ بَذَلَ يَغِيضُ دَمْعاً سَكُوباً

٥ - هل صحيح: أن فؤاد الإمام السجاد «عليه السلام» كان مرعوباً من الأعداء، أم أنه كان صابراً محتسباً، وراسخاً كالجبل، ومسلماً أمره إلى الله سبحانه؟!!

الصدقة علينا حرام:

وتذكر الرواية: أن أم كلثوم صاحت بأهل الكوفة، حين صاروا يناولون الأطفال بعض التمر، والجوز، والخبز، وقالت: يا أهل الكوفة، إن الصدقة علينا حرام.

وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال، وأفواههم، وترمي به إلى الأرض.

والسؤال هو: إن الصدقة الواجبة هي: الزكاة، وهي المحرمة على بني هاشم، لأنها من أوساخ الناس^(١).

أما الصدقة المستحبة، فلا تحرم عليهم.. فكيف قالت لهم أم كلثوم ذلك؟! وما معنى أخذ هذه الأشياء من أيدي الأطفال وأفواههم، ورميها إلى الأرض؟! أليس هذا إتلافاً للمال من دون مبرر؟!!

ونجيب:

إن الصدقة المستحبة إذا كانت مظهراً من مظاهر الذل والمهانة للآخذ.. ودليلاً على ضعفه وانكساره، ومن موجبات التبعية والوهن، والنظر إليه بعين الازدراء، والاستضعاف.

(١) كشف الغمة للشعراني ص ١٥٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٩ ص ٢٦٨ و (الإسلامية) ج ٦ ص ١٨٥ و ١٨٦ والإستبصار ج ٢ ص ٣٥ والكافي ج ٤ ص ٥٨ وتهذيب الأحكام ج ٤ ص ٥٨ ومرآة العقول ج ١٦ ص ١٩٠ ونور الثقلين (تفسير) ج ٢ ص ٢٣٥ ومنتقى الجمان ج ٢ ص ٤٠٢.

ومن موجبات غرور المعطي، وتعاليه، وشموخه بأنفه، ونظره في عطفه، وتبرئته نفسه من أعظم الجرائم وأفظعها، - إن كان الأمر كذلك، كما هو غير بعيد - فإن هذه الصدقة تصبح حراماً على الآخذ، كما أنه يحرم إعطاؤها من الذي يريد ذلك.

زينب نطحت رأسها بمقدم المحمل:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن زينب «عليها السلام» نطحت رأسها بمقدم المحمل، فرأى الناس الدم يخرج من تحت قناعها.

وهذا إن صح، فهو يدل على جواز أن يدمي الإنسان نفسه حزناً على الإمام الحسين «عليه السلام»، لاسيما مع وجود الإمام السجاد «عليه السلام»، ولم يظهر أنه لا يستطيع النهي عن الحرام.. وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في كتاب: «مراسم عاشوراء»، وذكرنا عشرات الشواهد على ذلك، فلا بأس بالرجوع إلى ما ذكرناه هناك.

رأس الحسين X في شوارع الكوفة:

وتقدم: أنهم حين كانوا يطوفون بالسبايا في أزقة الكوفة، أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين «عليه السلام». وهذا يدل على أن الطواف برأس الحسين في الكوفة كان بعد وصول السبايا إليها.

مئة ألف إنسان في شوارع الكوفة:

ذكر عماد الدين الطبري: أن عبيد الله بن زياد أمر أن يضعوا الرأس المقدس على الرمح، ويطاف به في سكك الكوفة، وأسواقها.

وقد قدمنا هذا النص، عن الإرشاد للمفيد، وغيره، وتحدثنا عنه بما ظهر لنا منه..

لكن عماد الدين الطبري زاد هنا قوله: «واجتمع مئة ألف إنسان للنظر إليه (أي إلى الرأس الشريف)، منهم من كان يهنئ، ومنهم من كان يعزي»^(١).

وهذا تجمع هائل، قلما يحصل مثله في تلك الأزمنة.. وهو يدل على أن الكوفة كانت مدينة عامرة ومتسعة، ومقصودة للسكنى.

ويشهد لصحة الرقم المذكور هنا: ما تقدم في كتابنا هذا، من أن أهل الكوفة كتبوا إلى الإمام «عليه السلام» بعد موت معاوية: إن لك في الكوفة مئة ألف سيف.

فإذا كان له «عليه السلام» في الكوفة هذا العدد من المؤيدين، وانضم إليهم أتباع بني أمية، وهم يعدون بعشرات الألوف أيضاً.. فضلاً عن الجماعات التي عزلت نفسها، ولم ترد أن تجاهر بالولاء، أو بالعداء.. - إذا كان الأمر كذلك - فإن العدد يصير هائلاً وكبيراً قد يصل إلى مئتي ألف إنسان..

أضف إلى ذلك، قولهم: إنه كان في الكوفة ما يقرب من خمسة وستين ألفاً^(٢)، ومثلهم من مواليهم^(١).

(١) كامل البهائي ص ٢٩٠.

(٢) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٥٩ والكامل في التاريخ ج ٣

وقد سير علي «عليه السلام» من الكوفة تسعون ألفاً^(٢).

ص ٣٤٠ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ١٧٢.

(١) حياة الشعر في الكوفة ص ١٦٨.

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٧٥ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٣٢٥ والفتوح لابن

أعثم ج ٢ ص ٥٤٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٤٩٨.

الفصل الثاني:

خطبة زينب وأم كلثوم، وفاطمة في الكوفة..

هكذا جرت الأحداث في الكوفة:

يبدو من سياق النصوص والأحداث: أنها كانت على النحو

التالي:

١ - إن عمر بن سعد أرسل رأس الإمام «عليه السلام» إلى الكوفة في اليوم العاشر، مع خولي، وسانان، وربما مع شخص ثالث أيضاً.

٢ - إنهم وصلوا إلى الكوفة، فوجدوا القصر مغلقاً، لأن ابن زياد كان بالنخيلة.

٣ - الظاهر: أنهم وصلوا بالرأس إلى الكوفة ليلاً، لأن شهادة الإمام «عليه السلام» كانت بعد العصر من اليوم العاشر. والمسير من كربلاء إلى الكوفة يحتاج إلى العديد من الساعات.

٤ - من أجل ما تقدم، أخذ خولي الرأس إلى بيته، وبقي عنده تلك الليلة، وجرى بينه وبين زوجته ما جرى.

٥ - لما وصل ابن زياد إلى الكوفة جاءه خولي ومن معه بالرأس الشريف، فرآه، ولكنه لم يجرؤ على إظهاره، خوفاً من تحريك خطير من أهل الكوفة، بسبب الهيجان العاطفي الذي يتوقعه، ولم يكن لدى ابن زياد ما يكفي لدفع غائلة ذلك عن نفسه. فأبقاه عند خولي ليلة أخرى.

٦ - في اليوم الثاني عشر من المحرم، وصل ابن سعد بجيوشه، ومعه السبايا، وبقية رؤوس الشهداء إلى الكوفة، فدخلها نهاراً. فاطمأن عبيد الله إلى قوته، وقدرته على قمع أي تحرك.

٧ - لما دخل عمر بن سعد بالسبايا إلى الكوفة، قرر أن يطاف بهن وبالرؤوس التي معه في شوارعها. وكان جيشه معه، وهو يضمن أنه قادر على قمع أي تحرك.

٨ - حين واجه السبايا الناس، ومعهم رؤوس الشهداء، جاؤوا برأس الحسين «عليه السلام» وجعلوه في المقدمة، فلما رآته زينب «عليها السلام» نطحت رأسها بمقدمة المحمل، كما قيل.

٩ - بعد أن طيف بالرأس الشريف في الأزقة والطرقات نصبت الرؤوس في ساحات الكوفة..

١٠ - في هذا الوقت دعا ابن زياد إلى جلسة عامة في القصر، وجيء إليه برأس الإمام، وبالسبايا والأسرى إلى مجلسه، وجرى بينه وبين زيد بن أرقم، وأنس، والسيدة زينب، والإمام زين العابدين «عليه السلام» ما جرى، مما سيأتي بيانه.

١١ - لما انتهى هذا المجلس بادر ابن زياد من فوره إلى إجراءات إرسال السبايا، والأسرى من بني هاشم.. ورؤوس الشهداء من بني هاشم إلى الشام. أما رؤوس الأصحاب، فقد شفع فيها أهل الكوفة، فلم ترسل.

١٢ - غاب الإمام السجاد «عليه السلام» من محبسه في الكوفة

في هذه الفترة الوجيزة، ثم تبين أنه قد ذهب إلى كربلاء لدفن الأجساد، ثم عاد كما سنرى أيضاً.

خطبة زينب ÷ في أهل الكوفة:

ونذكر هنا خطبة السيدة زينب «عليها السلام» حين دخولها الكوفة، وحين قال الإمام السجاد «عليه السلام»: لنساء أهل الكوفة: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَبْكَونَ عَلَيْنَا! فَمَنْ قَتَلَنَا غَيْرَهُمْ؟

فَأَوْمَاتُ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «عليه السلام» إِلَى النَّاسِ بِالسُّكُوتِ.

قَالَ حَذِيمُ الْأَسَدِيِّ: لَمْ أَرَ وَاللَّهِ خَفِرَةً قَطُّ أَنْطَقَ مِنْهَا، كَأَنَّهَا تَنْطِقُ وَتُفْرَغُ عَلَى لِسَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عليه السلام»، وَقَدْ أَشَارَتْ إِلَى النَّاسِ بِأَنْ أَنْصِتُوا، فَارْتَدَّتِ الْأَنْفَاسُ، وَسَكَنَتِ الْأَجْرَاسُ، ثُمَّ قَالَتْ - بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ «صلى الله عليه وآله»:-

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يَا أَهْلَ الْخَنْزَلِ وَالْغَدْرِ وَالْخَذَلِ وَالْمَكْرِ، أَلَا فَلَا رَقَاتِ الْعَبْرَةَ وَلَا هَدَاةِ الزَّفَرَةَ، إِنَّمَا مَتَلَّكُمْ كَمَثَلِ (الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ)^(١).

هَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصَّلَفُ وَالْعُجْبُ، وَالشَّنْفُ وَالْكَذِبُ، وَمَلَقُ الْإِمَاءِ، وَغَمَزُ الْأَعْدَاءِ، أَوْ كَمَرَعَى عَلَى بِيْمَنَةٍ، أَوْ كَفِضَّةٍ عَلَى مَلْحُودَةٍ؟! أَلَا بئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَفِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ.

(١) الآية ٩٢ من سورة النحل.

أَتَبْكُونَ أَخِي؟! أَجَلٌ وَاللَّهِ، فَابْكُوا فَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ أَحْرِياءُ بِالْبُكَاءِ، فَابْكُوا
كَثِيراً وَاضْحَكُوا قَلِيلاً، فَقَدْ بُلِيتُمْ بِعَارِهَا، وَمُنِيتُمْ بِشَنَارِهَا، وَلَنْ
تَرْحَضُوهَا أَبَداً، وَأَتَى تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتِمِ النَّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ
الرِّسَالَةِ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَلَاذِ حَرِيمِكُمْ، وَمَعَاذِ حَزْبِكُمْ، وَمَقَرِّ
سَلِيمِكُمْ، وَآسِي كَلِمِكُمْ، وَمَفْزَعِ نَازِلَتِكُمْ، وَالْمَرَجِعِ إِلَيْهِ عِنْدَ مُقَاتَلَتِكُمْ،
وَمَدْرَةِ حُجَجِكُمْ، وَمَنَارِ مَحَجَّتِكُمْ.

أَلَا سَاءَ مَا قَدَّمْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ، وَسَاءَ مَا تَزِرُونَ لِيَوْمَ بَعْتِكُمْ. فَتَعَسَا
تَعَسَا! وَتُكْسَا تُكْسَا! لَقَدْ خَابَ السَّعْيُ، وَتَبَّتِ الْأَيْدِي، وَخَسِرَتِ الصَّفَقَةُ،
وَبُؤْتُمْ بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمُ الدُّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ.

أَتَدْرُونَ وَيَلِكُمْ أَيَّ كَبِدٍ لِمُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله» فَرَنْتُمْ
[فَرَيْتُمْ؟! وَأَيَّ عَهْدٍ نَكُنْتُمْ؟! وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ؟! وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ
هَنَكْتُمْ؟! وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ؟! (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِذَا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) (١).

لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا شَوْهَاءَ صَلْعَاءَ، عَنَقَاءَ، سَوْدَاءَ، فَقْمَاءَ، خَرْقَاءَ، [شَرَهَا]
طِلَاعَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ. أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ تَمُطَرَ السَّمَاءُ دَمًا، (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ) (٢). فَلَا يَسْتَخَفُّكُمْ الْمَهْلُ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُخْفِرُهُ
الْبِدَارُ وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ قَوْتُ النَّارِ، كُلَّا إِنَّ رَبَّكَ لَنَا وَلَهُمْ لِبِالْمِرْصَادِ.

(١) الآيتان ٨٩ و ٩٠ من سورة مريم.

(٢) الآية ١٦ من سورة فصلت.

ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ «عَلَيْهَا السَّلَامُ»:

مَاذَا تَقُولُونَ إِذْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ مَاذَا صَنَعْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأَمَمِ
بِأَهْلِ بَيْتِي وَأَوْلَادِي وَتَكْرِمَتِي مِنْهُمْ أَسَارَى وَمِنْهُمْ ضُرَجُوا
مَا كَانَ ذَاكَ جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ أَنْ تَخْلُفُونِي بِسَوْءٍ فِي ذَوِي
إِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ يَحِلَّ مِثْلُ الْعَذَابِ الَّذِي أَوْدَى عَلَى إِرَمِ
ثُمَّ وَلَّتْ عَنْهُمْ.

قَالَ حَذِيمٌ: فَرَأَيْتُ النَّاسَ حَيَارَى قَدْ رَدَّوْا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ،
فَالْتَفَتْتُ إِلَى شَيْخٍ [مَنْ بَنِي جَعْفِي]، [فِي الْفَتْوح: مِنْ قَدَمَاءِ أَهْلِ مَكَّةَ] إِلَى
جَانِبِي يَبْكِي وَقَدْ اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ بِالْبُكَاءِ، وَيَدُهُ مَرْفُوعَةٌ إِلَى السَّمَاءِ،
وَهُوَ يَقُولُ: أَبَايَ وَأُمِّي كُھُولُكُمْ خَيْرُ الْكُھُولِ، وَنِسَاؤُكُمْ خَيْرُ النِّسَاءِ،
وَشَبَابُكُمْ خَيْرُ الشَّبَابِ، [فِي الْفَتْوح: إِذَا نَطَقُوا نَطَقَ سَحْبَانٌ] وَنَسْلُكُمْ نَسْلٌ
كَرِيمٌ، وَفَضْلُكُمْ فَضْلٌ عَظِيمٌ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

كُھُولُكُمْ خَيْرُ الْكُھُولِ وَنَسْلُكُمْ إِذَا عُدَّ نَسْلٌ لَا يَبُورُ وَلَا يَخْزَى

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: يَا عَمَّةُ! أَسْكَنْتِي، فَفِي
الْبَاقِي عَنِ الْمَاضِي اعْتِبَارٌ، وَأَنْتِ بِحَمْدِ اللَّهِ عَالِمَةٌ غَيْرُ مُعَلِّمَةٍ، فَهَمَّةٌ
غَيْرُ مُفَهِّمَةٍ، إِنَّ الْبُكَاءَ وَالْحَنِينَ لَا يَرُدُّانِ مَنْ قَدْ أَبَادَهُ الدَّهْرُ. فَسَكَتَتْ.

ثُمَّ نَزَلَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وَضَرَبَ فُسطاطَهُ، وَأَنْزَلَ نِسَاءَهُ، وَخَلَّ

الفسطاط^(١).

ونقول:

لا بأس بالنظر إلى ما يلي:

توضيحات:

الخفر: شدة الحياء.

الختل: والختر: الخداع والغدر.

رقأت الدمعة: جفت وسكنت.

الزفرة: التنفس.

الصلف: مواجهة صاحبك بما يكرهه، والتمدح بما ليس عندك.

(١) الإحتجاج ج ٢ ص ١٠٩ ح ١٧٠ و (ط دار النعمان) ج ٢ ص ٢٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١١٥ نحوه، وليس فيه ذيله من «ثم ولت عنهم»، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٦٢ و ١٠٨ و ١٨٨ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٦٨ وقريب منه في بلاغات النساء ص ٣٧ و (نشر مكتبة بصيرتي) ص ٢٤ عن يحيى بن الحجاج. وراجع أيضاً المصادر التالية: الأمالي للطوسي ص ٩٢ الرقم ١٤٢ والملهوف ص ١٩٢ و (نشر أنوار الهدى) ص ٨٦ عن بشير بن خزيم الأسدي، ومثير الأحزان ص ٨٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٦٦ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٦٥ الرقم ١٨ والفتوح لابن أعمش ج ٥ ص ١٢١ عن خزيمة الأسدي، ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٤٠ عن بشير بن حذيم الأسدي، وكلها نحوه. وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٢٦٩ وتاريخ الكوفة ص ٢٩٣ والدر النظيم ص ٥٥٩.

الشف: النظر إلى الشخص كالمعترض عليه، والكاره له، أو المتعجب منه.

الملق: أن يعطي بلسانه ما ليس في قلبه.

الغمز: الطعن لأجل إظهار عيب الآخر، الغمر: الحقد والغل.

الأجراس: جمع جرس، وهو: الصوت الخفي.

الدمنة: ما تدمنه المواشي بأبعارها، وما يتلبد منه، فيكون النبات فيه نضيراً حسناً.

قصته على ملحودة: القصة الجص بلغة أهل الحجاز. وإن قرئ بفضة فمعناها واضح. والملحودة: التي غيبت بالحد.

أحرياء: جمع حري، وهو الخليق واللائق.

الشنار: أقبح العيب. والأمر المشهور بالشنعة.

رحض: غسل.

الآسي: المعالج للجرح.

الكلم: بتسكين الميم: الجرح.

المدرّة: زعيم القوم والمتكلم فيهم، والسيد الشريف، والمقدم في اللسان والسيد عند الخصومة والقتال.

المحجة: جادة الطريق. أي معظمه، ووسطه.

باء: رجع.

الفرث: تفتيت الكبد بالغم والأذى.

إدّا: منكراً.

الصلعاء: الخطة المشهورة والمنضوحة. وطلع الرأس: انحسر شعره عن مقدمه.

العنقاء: الداهية. أو المرأة اللينة العنق.

النقماء: مائلة الحنك. وقيل: تقدم الثنايا السفلى حتى لا تقع عليها العليا.

خرقاء: الخرق: الشق. وخرقاء: مشقوقة، أو كثيرة الشقوق.

طلاع الأرض: ملؤها.

يحفزه: يدفعه.

يخفره: ينقض عهده.

البدار: المسارعة.

أخضلت: ابتلت.

أودى: هلك.

راوي خطبة زينب:

قالوا: إن راوي هذه الخطبة هو: حذلم بن ستير، أو حذيم بن شريك الأسدي، أو حزام بن بشير الأسدي، أو بشير بن خزيم (أو بن خزيم) الأسدي، أو يحيى بن الحجاج، عن الإمام الصادق «عليه السلام» كما في بلاغات النساء..

والتصحيفات في الكلمات واضحة بين حذيم، وحذلم، وخزيم أو

حزيم، أو حزام أو حدام. وبين شريك وستير، وبشير، ولا يهمننا كثيراً التحقيق في ذلك.

أين كانت هذه الخطبة؟!:

قد يخطر ببال البعض: أن يكون احتمال أن تكون هذه الخطبة قد أُلقيت عند العودة إلى المدينة عند مشارفها، وذلك استناداً إلى ما ورد في الاحتجاج في آخر الرواية، حيث قال الراوي: «ثم نزل، وضرب فسطاطه، وأنزل نساءه، ودخل الفسطاط».

أو في كربلاء عند عودتهم إليها من الشام..

والسبب في ذلك: أنه لم يكن للإمام «عليه السلام» فسطاط حين حمل من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام، كما أنه لم يكن له خيار أو اختيار لمواضع نزوله، ولا لمساكنه، بل يودع هو والسبايا معه في السجن.

ونقول:

إن لنا على هذا الكلام مؤاخذات

أولاً: إن أهل المدينة لا يستحقون منها هذا الخطاب اللاذع والقسى.. والذي بلي بنارها وشنارها هم أتباع يزيد و بني أمية من أهل الكوفة..

وأهل المدينة لم يقتلوا سليل خاتم النبوة وسيد شباب أهل الجنة، ولم يبرزوا كرائم الرسالة، ولم يهتكوا حرمة النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يسفكوا دماً له «صلى الله عليه وآله».

ثانياً: تقدم أنها صرحت: بأنها تخاطب أهل الكوفة، حيث قالت: «أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر الخ..».

ثالثاً: بالنسبة لكون الخطبة في كربلاء نقول: لم يكن أهل الكوفة في كربلاء حين عودة السبايا إليها من الشام، بل كان هناك جابر بن عبد الله الأنصاري، وعطية مولاة. فلمن كانت توجه خطابها إذن..

رابعاً: إن الإمام السجاد «عليه السلام» كان حين دخل مع السبايا إلى الكوفة مريضاً، وفي غاية الضعف، والوهن وقد انهكتة العلة - كما تقدم - ومن كان هذا حاله هل يقدر على ضرب الفسطاط؟!

من أجل ذلك نقول:

لعل الصحيح هو أن تقرأ كلمة «ضرب» بالبناء للمجهول أي غيره قد ضرب الفسطاط ثم دخله الإمام السجاد ومن معه..

والظاهر: أن من فعل ذلك هم اتباع ابن زياد، الذين كانوا يحيطون بهم من كل اتجاه.

خامساً: الفسطاط بيت من الشعر دون السرادق. وليس بالضرورة أن يكون للإمام السجاد فسطاط يملكه ويستفيد منه حال أسره، فقد يكون الفسطاط لأسريه، ولكنه ينسب إليه على سبيل التوسع لعلاقة الحال والمحل. والإضافة تكفي فيها أنى مناسبة.

وقد يسجن الأسير، وتوضع السبايا في بيت من الشعر، أو في غيره، ويمنعون من الاتصال بالغير، ويمنع الآخرون من الدخول عليهم، أو الوصول إليهم.

ولا يجب أن يكون السجن مبنياً بالحجارة والطين، وقد قرأنا عن السجن الذي بناه أمير المؤمنين «عليه السلام» من القصب وسماه نافعا^(١).

لم يكن مبنياً بالطين والحجر، أو الجص والآجر، بل كان من قصب.. ولذا اخترقه الناس، يفرجون ويخرجون منه، فبناه «عليه السلام» بالجص والآجر، وسماه مخيساً. أي مذلاً.

وقد قال «عليه السلام» مشيراً إلى هذا:

ألا تراني كيساً مكيساً بنيت بعد نافع مخيساً
حصناً حصناً وأميناً كيساً^(٢).

الكوفيون بنظر زينب ÷:

١ - قد أظهرت خطبة زينب في أهل الكوفة، من ساعة وصولها أسيرة إليها بعد غياب حوالي عشرين سنة عن ذلك البلد - أظهرت :- أنها «عليها السلام» تمتلك معرفة عميقة ودقيقة بأحوال أهلها، وأخلاقهم، ونفسياتهم، وسلوكهم، وما إلى ذلك.

(١) راجع: بحار الأنوار ج ٣٤ ص ٤٢١ وج ٦٤ ص ٣٠٨ والدر المختار للحصفي ج ٥ ص ٥١٧ والغارات للثقي ج ٢ ص ٧٢٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٦ ص ١٧٥ وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج ٢ ص ١١٦ والفايق في غريب الحديث ج ١ ص ٣٥٠ والنهاية لابن الأثير ج ٢ ص ٩٢ والقاموس المحيط ج ٢ ص ٢١٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٤ ص ٤٢١ و ٣٥٢ وج ٦٦ ص ٣٠٨.

٢ - لقد بدأت «عليها السلام» خطبتها، التي وضعت فيها النقاط على الحروف، بوصف أهل الكوفة بأنهم:

ألف: أهل الختل.

ب: أهل الغدر.

ج: أهل الخذل.

د: أهل المكر.

وهي صفات ظهرت أثارها العملية في تعاملهم مع الإمام الحسين «عليه السلام»، فإن أكثر الذين كتبوا إليه يطلبون منه بإصرار: أن يقدم عليهم، لينظر في أمورهم، ويصلح ما فسد منها، قد أعطوا ممثله العقود والعهود، والوعود القاطعة بالوفاء والنصيحة.

٣ - ثم بمجرد وصول ابن زياد إلى الكوفة، بدأوا يتحولون إلى معسكره، فجعل ابن زياد منهم رأس حربة، ضد الإمام، وضد مبعوثه مسلم بن عقيل، وظهرت هذه الصفات الأربع فيهم بأجلى ما يكون الظهور، فقد خذلوا الحسين، وغدروا به وبمسلم بن عقيل، وتعاملوا معهما بالمكر. وبالختل الذي معناه التربص بالغافل ليورد ضربته به. كما يتربص الصياد بفريسته، ويتخفى لاصطيادها.

٤ - ثم ألمحت إلى أنهم قد أصبحوا (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ

أُمَّة(١).

فهم كالمرأة التي تغزل الغزل وتقويه، وتشد خيوطه، ثم تنقضه وتجعله أنكاثاً، ومتفرقاً مبدداً، ليس فيه قوة ولا فائدة.

وهم يعطون العهود والمواثيق، ويؤكدونها بالأيمان، ثم يجعلون منها وسيلة للغدر والخيانة، فينقضون أيمانهم بعد توكيدها.

وسبب نقضها: هو أنهم يريدون أن يكون هذا النقض، والنكث والغدر، والخيانة سبباً في زيادة نصيب فريقهم من حطام الدنيا على نصيب الفريق الآخر الذي يعتبرونه منافساً لهم.

ثم تتابع زينب وصفها لأهل الكوفة، فتضيف الصفات التالية:

هل فيكم إلا:

١ - الصَّلفُ.

٢ - العُجبُ.

٣ - الشَّنَفُ. أي النظر إلى الشيء نظر كراهة وامتعاض.

٤ - الكَذِبُ.

٥ - مَلَقُ الإمام.

٦ - غَمَزُ الأعداء، وهو الطعن الخفي باللسان. أو غمر الأعداء،

وهو الغل والحقد.

(١) الآية ٩٢ من سورة النحل.

٧ - هم كَمَرَعَى عَلَى دِمْنَةٍ، وهي الأرض التي تلبدت بالروث والأبعار.

٨ - هم مثل فِضَّةٍ عَلَى مَلْحُودَةٍ (أو قصة وهي الجص) ولكنه جص على ما غيب في اللحد..

وما أقبح هذه الصفات، وما أشد منافرتها للطبع السليم، والفطرة المستقيمة، وما أقبح الأعمال التي تسوق هذه الصفات إلى ممارستها، وما أخطر ثمراتها وأقساها، وأمرّها وأضرّها عليهم.. وزينت لهم، وأنتجت هذه الجرائم والعظائم الهائلة.

ثمرات ونتائج:

وقد كان من نتائجها وثمراتها: العدوان على الله ورسوله بقتل أهل بيته، وسبي عياله، المتمثل بقتل الحسين «عليه السلام» وأصحابه، وأهل بيته، وأطفاله على ذلك النحو الفظيع، والفجيع، والمريع..

لقد انتهت بهم هذه الصفات إلى جلب البلايا والرزايا، والعار والشنار إلى أنفسهم. وقد بلغ الخذلان الإلهي إلى حد أنهم كانوا يحرصون، إن لم نقل: يتلذذون، بقتل من هو سر بقائهم، ورمز سعادتهم، ومصدر كل خير وصلاح لهم، وهو مظهر القداسة، والطهر، وهو فخرهم، وعزهم، وقد ذكرت الحوراء زينب من صفاته «عليه السلام» ما يلي:

ألف: سليل خاتم النبوة، وقتله معناه:

أولاً: العدوان على النبي الخاتم.

ثانياً: إرادة قطع الامتداد، والاستمرار لنهج النبوات، باستئصال رموز هذا النهج وحملة أعبائه، والمضطلعين بمسؤولياته، وذوي الخبرات العميقة فيه. وهذه جريمة بحق الإنسانية والمخلوقات كلها، لا يوجد أعظم وأخطر منها، لا تهدف إلا تضييع جهود الأنبياء وتضحيات الأبرار والشهداء، من خلال العدوان على النبي «صلى الله عليه وآله» وتقويض جهوده، وإذا كان خاتم الأنبياء ووارثهم، فالعدوان عليه عدوان عليهم، وتقويض لجهودهم.

ثالثاً: إن هذا استهداف لدين الله، لاجتثاثه من جذوره، من خلال طمس معالمه، وتقويض دعائمه، من حيث إن الحسين «عليه السلام» هو معدن رسالة دين الله في الأمة، ومنه تلتبس أحكامه، وهو المقيم لدعائمه. فقتله «عليه السلام» قتل للدين، وعدوان على رب العالمين. ولذا قالت زينب «عليها السلام» عن الحسين: ومعدن الرسالة..

رابعاً: ثم قالت عنه «عليه السلام»: وسيد شباب أهل الجنة.. وهذا يعني: أنه «عليه السلام» في جميع أحواله، وكل حركته في الحياة هو التجسيد الحي، والنموذج التطبيقي للغرس الإلهي، الذي يثمر الخير والبركات على امتداد الحياة الدنيا والآخرة على حد سواء.

خامساً: ثم وصفته «عليه السلام» بقولها: «مَلَاذِ حَرِيمِكُمْ» للدلالة على أن من أعظم وظائف الأنبياء والمرسلين، والعلماء المصلحين هو الذود عن الحريم الذي هو كل موضع تلزم حمايته، وصونه، والدفع عنه.

فهم بقتل الحسين «عليه السلام» يصبحون مستباحين لكل طامع، وطامح. أما الحكام المبطلون والمتغلبون، فإنهم لا يهتمون لصون الحرمات، بل بجلب المنافع لأنفسهم من حلال وحرام، فإذا ظنوا أن استباحة الحرمات يجلب لهم نفعاً، فسوف يشاركون هم فيه، وينغمسون في متاهاته، بل قد يكونون أشد من غيرهم حماساً، وأصعب مراساً، وأقوى عزيمة، وشكيمة..

والشاهد على ذلك: ما ظهر من لؤم وحقد، ووقاحة، وصلف في من غدروا بالحسين «عليه السلام»، ونكثوا أيمانهم، وخانوا عهودهم. **سادساً:** ثم قالت زينب «عليها السلام» عن الحسين «عليه السلام»: «ومَعَاذِ حِزْبِكُمْ». ولعل الصحيح: حربكم. فصحفها الرواة، فصارت: «حِزْبِكُمْ».

ويشهد لذلك: قولها بعد ذلك مباشرة: «ومَقَرَّ سَلِمِكُمْ»، فيتم بذلك الحديث عن موقع الحسين «عليه السلام» في الأمة في حالتي الحرب والسلام معاً.

إن الحسين «عليه السلام»، وكذلك سائر الأنبياء، والأئمة والأوصياء، هم: المعاذ والملجأ للناس في اتخاذ قرار الحرب وعدمه، لأنهم المأمونون على هذا القرار، فلا يتاجرون بأرواح الناس للحصول على شيء من حطام الدنيا، ولأجل ثقة الناس بهم في ذلك تجدهم ينضوون تحت جناحهم، ويأتمرون بأمرهم، ويركنون إلى تدبيرهم، لأنهم يدركون أنهم مسددون من الله، ولا يريدون شيئاً

لأنفسهم.. فما معنى أن يقتل الناس من هو بهذه المثابة بالنسبة إليهم؟!
 سابعاً: ثم قالت «عليها السلام» عن أخيها «صلوات الله وسلامه عليه»: «ومَقَرَّ سِلْمُكُمْ»، لتدل على أن السلم أيضاً لا يأتي بصورة عفوية، بل هو يحتاج إلى راع، يهيئ له الظروف للتحقق، ويهيئ له عناصر البقاء والاستمرار أيضاً. وبدون ذلك، فإن هاجس انهياره وتلاشيهِ في كل لحظة يبقى قائماً، يفرض نفسه على الجو العام بقوة..
 وإذا كان الإمام المعصوم هو الراعي له، والحافظ، والباذل نفسه وجهده في توفير مقومات تحققه وبقائه، فإن القلوب تطمئن، والنفوس ترتاح لسلم كهذا..

ثامناً: ثم قالت عن الإمام الحسين «عليه السلام»: «وآسي كلُّمُكُمْ» أي الطبيب المداوي لجراحهم. وهذا يشير إلى أنه لا مشكلة لهم معه، وأنهم بحاجة إليه حاجة حقيقية، لأنهم هم المتألمون، والمربكون بجراحاتهم التي تعيق حركتهم، وتحد من فاعليتهم. فكيف يقتل الإنسان من يداوي جراحه ويدفع الآلام عنه، ويعيد البهجة إلى حياته؟!!

تاسعاً: ثم قالت «عليها السلام»: «ومَفَزَعَ نازِلَتُكُمْ». أي أنكم حين تنزل بكم النوازل، مثل الكوارث الطبيعية، كالزلازل، وسواها، وما كان نتيجة فعل السفهاء، أو الأعداء، كما لو أقدموا على كسر السدود على الأنهار، أو تسببوا بإحراق الزراعات، بصورة شاملة، أو أحرقوا معظم الأشجار المثمرة، أو نحو ذلك. فإن الناس يلجأون إلى

الأنبياء وأوصيائهم ليعالجوا المشكلات، ويدبروا الأمور، بنحو سليم وقويم.

وهذا النوع من القادة هم الذين يعملون لوجه الله لا يريدون منهم جزاء ولا شكوراً..

عاشراً: ثم قالت «عليها السلام»: «وَالْمَرْجِعُ إِلَيْهِ عِنْدَ مُقَاتَلِكُمْ»
 وحين لا بد من قتال العدو، فإن مسار القتال في الخطط الحربية، وفي الخيارات المرتبطة بأساليب القتال ووسائله، وفي الخيارات العملية التطبيقية، كاختيار المواقع، وتحديد مواقع الكمائن، وتركيبه أفرادها، وحتى نوع أسلحتهم، وأسلوب عملهم. وغير ذلك من شؤون وتفصيل كثيرة - إن ذلك - إنما يرجع فيه إلى من يوثق بحكمته، وبمعرفته، وبتسديده، ورعايته من قبل الله تعالى، وما إلى ذلك..

ولا يرجع الناس - لو خلوا وطبعهم، وكان الخيار لهم - إلى الفساق والفجار، والظالمين، وغير المأمونين من العقلاء على الدنيا ولا على الدين..

فكيف يقتل أهل الكوفة مرجعهم عند مقاتلتهم؟!!

حادي عشر: ثم قالت «عليها السلام»: «وَمَدَرَهُ حُجَجُكُمْ». وإذا كان التعامل مع العدو والصديق يجب أن يتسم بالواقعية، تبرز الحاجة إلى الإعلام الصحيح، القادر على إيصال الحقائق الراهنة بصورة صحيحة، فتمس الحاجة إلى من يستطيع إقناع الآخرين، سواء في ذلك الأعداء، أو الأولياء بالحق الذي يلتزم، ويدعو إليه، ويجعله

أساساً لمواقفه، ولتعامله مع سائر الفئات. ومن مثل الإمام الحسين «عليه السلام»، وهو الإمام المعصوم المسدد من الله في قدراته الفائقة على البيان، وعرض الدلائل والحجج على الحق، التي لا تبقي عذراً لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة.

ثاني عشر: ثم قالت «عليها السلام» عن أخيها الإمام الحسين «عليه السلام»: «وَمَنَارَ مَحَجِّتِكُمْ». فإذا كان «عليه السلام» هو الذي ينير الطريق للسالكين، وهو كما في الحديث الشريف: «مصباح هدى، وسفينة نجاة»، فما معنى أن يطفئ هؤلاء المخذولون منار طريقهم. ولماذا يطفئون هذا المصباح، ويختارون المشي في الظلمات، يخبطون خبط عشواء، ويعرضون أنفسهم للشقاء والبلاء؟!

وإذ قد ظهر من جميع ما تقدم: أن هؤلاء الناس لم يقتلوا عدوهم، ولا قتلوا من لا أثر لفقده عليهم، بل قتلوا رمز سعادتهم، وسر بقائهم، ومدبر أمورهم، وحافظهم، وراعيهم، والباذل لنفسه دونهم، والآسي لجراحهم، إلى آخر ما تقدم.

فهم إذن، الخاسرون المخذولون، لأنهم إنما قتلوه ليحصلوا على شيء من حطام الدنيا، والحال أنهم خسروا بقتله الدنيا كلها. وخسروا الآخرة أيضاً، وذلك هو الخسران المبين.

وهذا ما أشارت إليه «عليها السلام» حين عيّبت على ما وصفت به الحسين «عليه السلام»، فقالت:

«أَلَا سَاءَ مَا قَدَّمْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ، وَسَاءَ مَا تَرْزُونَ لِيَوْمَ بَعَثْتُمْ.

فَتَّعَسَا تَعَسَا! وَتُكْسَا تُكْسَا! لَقَدْ خَابَ السَّعْيُ، وَتَبَّتِ الْأَيْدِي، وَخَسِرَتِ الصَّفَقَةُ، وَبُؤِثِمَ بَغْضَبِ مَنْ اللَّهِ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمْ الدَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ..»

فبعد أن أَلَمَحَت «عليها السلام» إلى خسرانهم في الدنيا، وخسرانهم في الآخرة طلبت من الله تعالى أن يتواصل التعس، وهو الانكباب على الوجه، وأن تتولى الانتكاسة لهم مرة بعد أخرى.. وذلك بملاحظة ما توخوه من الختل والغدر، والخيانة للإمام الحسين «عليه السلام». فقد جاءت النتائج معكوسة، ومنكوسة، كما بينته سائر الفقرات اللاحقة.

المقصود هو رسول الله ﷺ :

١ - بَيَّنَّت «عليها السلام»: أن المستهدف الحقيقي هو رسول الله «صلى الله عليه وآله». وهذا ما دل عليه قول يزيد، وقول ابن زياد أيضاً حين جيء بالرأس الشريف إليهما: «يوم بيوم بدر».

وقد بينت «عليها السلام» هذه الحقيقة بأسلوب بياني رفيع، يقدم الوقائع بإثارات وجدانية، وواقعية بالغة التأثير، حيث عبّرت عن شدة الغم والأذى الذي لحق برسول الله «صلى الله عليه وآله»: بأنهم قد فرثوا كبده «صلى الله عليه وآله». أي فتتوها بالغم والأذى. أو أن سيوفهم، وسهامهم ورماحهم قد أصابت كبده ففرتها وقطعتها.

ويمكن أن يكون ذلك أيضاً على سبيل التنزيل بجعل كبد الحسين «عليه السلام» بمثابة كبد الرسول، فمن يفري كبد الحسين كأنه يفري كبده «صلى الله عليه وآله».

واعتبار ما جرى على الحسين «عليه السلام» قد جرى على رسول الله «صلى الله عليه وآله» يظهر مدى جرأتهم، وقبح جريمتهم.. كما أن وضع هذا المعنى في قالب السؤال الهادف إلى تعظيم وتهويل مضمونه، يزيد في إحداث الأثر المطلوب إحداثه، ويزيد الصورة وضوحاً..

٢ - ثم تحدثت عن نكثهم العهد. ونكث العهد في حد ذاته قبيح، ومبغوض مع أي كان من الناس. ولكنها حين نسبت العهد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» تكون قد زادت نكثه قبحاً على قبح. وجعلت الأمر أكثر أهمية وحساسية، وأظهرت إلى أي حد بلغ بغيتهم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما أن نسبة العهد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ليست اعتباطية، بل ثمرة فهم دقيق لمآل الأمور، وتوضيح لأبعادها وخلفياتها لمن يحتاج إلى التوضيح.

٣ - وبعد أن ذكرت إيغالهم في الإجرام، حتى ضد أكرم الخلق، وخاتم الأنبياء، الأمر الذي يعرف الناس بمدى توحشهم.

ثم ذكرت نكثهم لعهد بالغ الخطورة، شديد الأهمية، لارتباطه برسول الله «صلى الله عليه وآله»، لتدل بذلك على أنهم ليست لديهم قيم ومبادئ يمكن البناء عليها في التعامل معهم، لأنهم غدره فجرة، وخونة أيضاً.

ثم بعد أن ذكرت هذا وذاك، انتقلت إلى أمر يرتبط بالكرامة، والغيرة، والنبل، الذي لم يكن له أي ذكر في قاموس حياتهم

وممارساتهم، فهم يبرزون كرائم رسول الله، ولا يراعون له حرمة، مع أن المفروض هو حفظ المرأة وصونها، وإبعادها عن مثل هذه المواقف، حتى لو كانت تعيش حياة الجهل، والبعد عن التخلق بالأخلاق الرضية، والتأدب، ولو بالآداب العامة.

ويتأكد لزوم هذا الصون، ويتجلى قبح هذا الإبراز في النساء اللواتي لسن كغيرهن، لأنهن غاية في الأدب والصون، والخلق الرضي.. وبعضهن عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهمة..

كما أن هؤلاء الكرائم ينتسبن لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو خاتم الأنبياء، وسيد الخلق أجمعين..

٤ - ثم ذكرت: أن الحرمات التي هتكوها، واعتدوا عليها هي حرمات رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً..

٥ - وذكرت: أن الدم الذي سفك هو دمه..

٦ - إن هذا البيان يعطي أيضاً: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حاضر وناظر، وأنه يتألم لما يجري.. ويشعر بالطعنات والضربات، ويتألم لإبراز كرائمه، وهتك حرماته، وسفك دمه، ويتفتت كبده من شدة الغم والأذى.

وقد أشرنا إلى هذا الأمر في مواضع سابقة من هذا الكتاب..

هول الجريمة:

ثم إنها «عليها السلام» بدأت بوصف هذه الجريمة، وشدة هولها،

وبالغ قبحها، والأثر العظيم الذي يمكن أن تتركه ليس على مرتكبيها، بل على جميع الموجودات، وعلى الكون والحياة، ولأجل ذلك قالت لهم: «أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ تَمُطَرَ السَّمَاءُ دَمًا» وقد تحدثنا عن هذا الأمر فيما سبق. واستشهدت بالآية المباركة: (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا)^(١).
أنت بحمد الله عالمة غير معلمة:

١ - وبعد انتهائها من خطبتها «عليها السلام» قال لها الإمام السجاد «عليه السلام»: «أَنْتِ بِحَمْدِ اللَّهِ عَالِمَةٌ غَيْرُ مُعَلِّمَةٍ، فَهَمَّةٌ غَيْرُ مُفَهِّمَةٍ». ثم أشار «عليه السلام» إلى عقم ما يفعله أهل الكوفة من بكاء وحنين، فإن جريمتهم لا تجبر بذلك، ولا يعوضها شيء، سوى إعادة الأمور إلى نصابها.

وهذا لا يكون إلا برد الأرواح إلى الأجساد. فلا محيص عن انتظار جزاء الآخرة بعد عقوباتهم في الدنيا، وظهور خزيهم فيها، وقد قال تعالى: (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ)^(٢).

٢ - وعن كلمة الإمام السجاد «عليه السلام» لعمة زينب «صلوات الله عليها»، نقول في معناها:

علينا ملاحظة الأمور التالية:

(١) الآيتان ٨٩ و ٩٠ من سورة مريم.

(٢) الآية ١٦ من سورة فصلت.

أولاً: إنها غير معلمة لأنها «عليها السلام» ذات عقل راجح، وفطرة سليمة، وسلوك قويم، فلا تتعامل مع الأمور من خلال الرغبات والميول، والأهواء، بل هي تتأمل وتتدبر فيها، وتوازن بينها، ولديها من المعايير، والقيم، ما يجعلها قادرة على إدراك الحسن فيما هو حسن، والقبح فيما هو قبيح، فتتجنب القبائح، وتلتزم محاسن الأعمال، فلا تحتاج إلى من يدلها على حسن الصبر، وجميل العزاء في مصابها هذا، ولا إلى من يعرفها ويدعوها إلى الكون في مواقع رضا الله، في جميع الأحوال.

ثانياً: إنها غير معلمة، لأنها بلغت في جهاد النفس، والتقوى، والمحبة لله، والإخلاص له مراتب جليلة، ونالت من درجات القرب عنده ما جعلها جديرة بتلقي الإلهامات الإلهية، والهدايات الربانية، على قاعدة: **وَفَتَحَتْ بَابَ فَهْمِي بِلَذِيذِ مُنَاجَاتِهِمْ^(١)**، حتى صقل ذلك فكرها، وأثار دفائن عقلها، وأيقظ فطرتها..

فأصبحت من أجلى مصاديق قوله تعالى: **(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ)^(٢)**.

وقد ورد هذا المعنى في الروايات أيضاً، ومنها:

(١) المزار لابن المشهدي ص ٥٥ والمزار للشهيد الأول ص ٦٥ والمصباح للكفعمي ص ٤٧٣ وبحار الأنوار ج ٩٧ ص ١٦٠ و ٣٧١ وج ٩٩ ص ٨٣ و ١٤٥.

(٢) الآية ١٧ من سورة محمد.

ألف: ما روي عن الإمام الرضا «عليه السلام»، عن آبائه «صلوات الله وسلامه عليهم»، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما أخلص عبد الله عز وجل أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^(١).

ب: عن النبي «صلى الله عليه وآله»: نور الحكمة الجوع.. وقال: لا تشبعوا فيطفا نور المعرفة في قلوبكم^(٢).

ج: في الحديث القدسي: قال تعالى: يا أحمد، إن العبد إذا جاع بطنه، وحفظ لسانه علمته الحكمة.. فإن كان كافراً تكون حكمته حجة عليه ووبالاً.

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٧٤ وبحار الأنوار ج ٦٧ ص ٢٤٢ و ٢٤٩ و ٢٤٠ وج ٥٣ ص ٣٢٦ وعدة الداعي ص ٢١٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٣٥٧ وج ٣ ص ١٤٧ وج ٤ ص ٦٢ ومسند الإمام الرضا للطاردي ج ١ ص ٢٩٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ١٣١ ومسند الشهاب ج ١ ص ٢٨٥ والترغيب والترهيب ج ١ ص ٥٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١١ ص ٢١٣ والجامع الصغير ج ٢ ص ٥٦٠ والعهود المحمدية ص ١٢ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ٣ ص ٢٠٨ وكشف الخفاء ج ٢ ص ٢٢٤.

(٢) مكارم الأخلاق للطبرسي ص ١٥٠ وبحار الأنوار ج ٦٣ ص ٣٣١ عنه، وج ٦٧ ص ٧١ ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ١٣٤ وروضة الواعظين (منشورات الشريف الرضي) ص ٤٥٧ وفيض القدير ج ٤ ص ٣١٩ وإحياء علوم الدين ج ٨ ص ١٥٥ والمحجة البيضاء ج ٥ ص ١٥٥.

وإن كان مؤمناً تكون حكمته، له نوراً، وبرهاناً، وشفاء، ورحمة،
فيعلم ما لم يكن يعلم، ويبصر ما لم يكن يبصر.

فأول ما أبصره عيوب نفسه، حتى يشتغل عن عيوب غيره.
وأبصره دقائق العلم، حتى لا يدخل عليه الشيطان^(١).

ثالثاً: ربما كانت غير معلمة، من قبل البشر، بل هي معلمة من
خلال فطرتها، وإدراكات عقلها، وحديث الملائكة لها، كما كان الحال
بالنسبة لسلمان الفارسي «رحمه الله»^(٢). وغيره من الصفوة الأخيار.
بل قد روى غير الشيعة: أن عمر بن الخطاب كان محدثاً
أيضاً^(٣).

(١) إرشاد القلوب ج ١ ص ٢٠٥ وبحار الأنوار ج ٧٤ ص ٢٩ و ٢٢ ومستدرك
سفينة البحار ج ٢ ص ١٣٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٢٧ و ٣٥٠ و ٣٣١ و ٣٤٩ وج ٢٦ ص ٦٧
ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٢٤٠ وإختيار معرفة الرجال (رجال
الكشي) ج ١ ص ٦٤ و ٧٢ و ٥٥ و ٦١ والدرجات الرفيعة ص ٢١٠ و
٢١١ وراجع: بصائر الدرجات ص ٣٤٢ وعلل الشرائع ج ١ ص ١٨٣
ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢٧ ص ١٤٦ و (الإسلامية) ج ١٨ ص ١٠٦
وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٤٧٦ و ٤٧٧ ونفس الرحمن ص ٢٢ و ٣١٢ و
٣١٣.

(٣) راجع: كنز العمال ج ١١ ص ٥٨٠ وج ١٢ ص ٦٠٠ وتاريخ مدينة دمشق
ج ٤٤ ص ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٥ وصحيح البخاري ج ٤ ص ٢٠٠ ومسنند

وكانت الزهراء «عليها السلام» أيضاً محدثة، كما تدل روايات (مصحف فاطمة)، فراجع.

فزينب «عليها السلام» عالمة إذن بتعليم الله تعالى، وليست عالمة بالذات، والعالم بالذات هو الله تعالى دون سواه.

خطبة أم كلثوم:

عن زيد بن موسى: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي [الصَّادِق] «عليهما السلام»: خَطَبَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ ابْنَةَ عَلِيٍّ «عليه السلام» فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ

أحمد ج ٦ ص ٥٥ و سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٨٥ والغدير ج ٥ ص ٤٢ و ٤٤ و ٤٦ و ج ٨ ص ٩٠ و فضائل الصحابة للنسائي ص ٨ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٨٦ وعمدة القاري ج ١٦ ص ١٩٨ وتحفة الأحوزي ج ١٠ ص ١٢٥ والسنن الكبرى ج ٥ ص ٤٠ وأسد الغابة ج ٤ ص ٦٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٢٦٠ والبدایة والنهاية ج ٦ ص ٢٢٤ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٩٩ و ٢٣٨ ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص ٢٢٠ وتفسير السلمي ج ٢ ص ٣٨٠ والإستذکار ج ٥ ص ١٢٤ والمصنف ج ٧ ص ٤٧٩ والنهاية في غريب الحديث ج ١ ص ٣٥٠ ومسند ابن راهويه ج ٢ ص ٤٧٩ وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١١٤ وعلل الدارقطني ج ٩ ص ٣١٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ١٧٧ ولسان العرب ج ٢ ص ١٣٤ وتاج العروس ج ٣ ص ١٩٢ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٥٣ والجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ١٩٣ وتغليق التعليق ج ٤ ص ٦٤ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٥٦٩ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص ٤١ و ١٣٥.

وَرَاءَ كَلَّتِهَا، رَافِعَةً صَوْتَهَا بِالْبُكَاءِ، فَقَالَتْ:

يَا أَهْلَ الْكَوْفَةِ، سُوءَ أَلكُمْ، مَا لَكُمْ خَذَلْتُمْ حُسَيْنًا وَقَتَلْتُمُوهُ، وَأَنْتَهَبْتُمْ
أَمْوَالَهُ وَوَرِثَتُمُوهُ، وَسَبَّيْتُمْ نِسَاءَهُ وَنَكَبْتُمُوهُ؟! فَتَبَّ لَكُمْ وَسُحْقًا.

وَيَلَّكُمْ، أَتَدْرُونَ أَيَّ دَوَاهٍ ذَهَبَتْكُمْ؟ وَأَيَّ وَزَرَ عَلَى ظُهُورِكُمْ حَمَلْتُمْ؟ وَأَيَّ
دِمَاءٍ سَفَكْتُمُوهَا؟ وَأَيَّ كَرِيمَةٍ اهْتَضَمْتُمُوهَا؟ وَأَيَّ صَبِيَّةٍ سَلَبْتُمُوهَا؟ وَأَيَّ
أَمْوَالٍ نَهَبْتُمُوهَا؟ فَتَلَّكُمْ خَيْرَ رَجَالَاتٍ بَعْدَ النَّبِيِّ «صلى الله عليه وآله»،
وَنُزِعَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ قُلُوبِكُمْ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ، وَحِزْبُ
الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ.

ثُمَّ قَالَتْ:

قَتَلْتُمْ أَخِي صَبْرًا فَوَيْلٌ لِمَكِّكُمْ	سَنُجْزُونَ نَارًا حَرُّهَا يَتَوَقَّدُ
سَفَكْتُمْ دِمَاءَ حَرَمِ اللَّهِ سَفَكَهَا	وَحَرَمَهَا الْقُرْآنُ ثُمَّ مُحَمَّدٌ
أَلَا فَابْشِرُوا بِالنَّارِ إِنَّكُمْ عِدَا	لَفِي قَعْرِ نَارٍ حَرُّهَا يَتَصَعَّدُ
وَإِنِّي لَأَبْكِي فِي حَيَاتِي عَلَى	عَلَى خَيْرِ مَنْ بَعْدَ النَّبِيِّ سَيُولَدُ
بِدَمْعٍ غَزِيرٍ مُسْتَهْلٍ مُكَفَكَفٍ	عَلَى الْخَدِّ مَنِي دَائِبٍ لَيْسَ يُحْمَدُ

قَالَ الرَّأَوِي: فَضَجَّ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ وَالنَّوْحِ، وَنَشَرَ النِّسَاءُ
شُعُورَهُنَّ، وَحَتَّيْنَ التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ، وَخَمَشْنَ وُجُوهَهُنَّ، وَلَطَمْنَ
خُدُودَهُنَّ، وَدَعَوْنَ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ.

وَبَكَى الرِّجَالُ، وَنَتَفَوْا لِحَاهُمْ، فَلَمْ يُرَ بَاكِئَةٌ وَبَاكِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ

اليوم^(١).

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

هل هذه زينب؟!:

قالوا: إن أم كلثوم بنت الزهراء، وبنت أمير المؤمنين «عليهما السلام» قد توفيت، في حياة الإمام الحسن «عليه السلام»^(٢).

فالمقصود بأم كلثوم التي كانت في كربلاء: إما بنت أخرى لأمير المؤمنين «عليه السلام» بهذا الاسم، ولكنها ليست بنت الزهراء «عليها السلام». أو يكون المقصود: هو زينب الكبرى «عليها

(١) الملهوف ص ١٩٨ و (نشر أنوار الهدى) ص ٩١ ومثير الأحزان ص ٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٦٨ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٨١ وتسليية المجالس ج ٢ ص ٣٥٩ ولواعج الأشجان ص ٢٠٥.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٤٦٤ وأنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٢ وأسد الغابة ج ٧ ص ٣٧٨ و (ط دار الكتاب العربي) ج ٥ ص ٦١٥ وبحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٨٢ ونصب الراية ج ٢ ص ٣١٧ وذخائر العقبى ص ١٧١ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٤ ص ١٩٥٦ والوافي بالوفيات ج ٢٤ ص ٢٧٢ والذرية الطاهرة ص ١٦٤ والدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص ٦٢ ونور الأبصار (ط سنة ١٣٨٤هـ) ص ١٩٣ ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٦٢ وتهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ٦ ص ٣٠ وأخبار الزينبات ص ١٢٤.

السلام»، حيث كان يقال لها: أم كلثوم أيضاً^(١). وتكون هذه خطبة أخرى لها «عليها السلام» في موقف آخر، وبجمع آخر لنساء الكوفة. **ويلاحظ:** أن ثمة تشابهاً بين سياق هذه الخطبة وطريقة الخطاب فيها مع سياق وطريقة الخطبة المتقدمة لزینب «عليها السلام» ولكن الخطبة المتقدمة أبلغ من هذه..

وعلى كل حال، فقد ورد ذكر أم كلثوم في كربلاء في عدد من المصادر^(٢).

وقالوا: إنها تسمى زينب الصغرى^(٣) أيضاً.

وقد نستشف من هذا: ترجيح القول: بأنها نفس زينب العقيلة، لكنها وُصِفَتْ بالصغرى اجتهداً من الرواة.

(١) راجع: الإشارات إلى أماكن الزيارات - المسمى زيارات الشام ص ١٣٣ و ١٣٤ العوالم ج ٢ ق ٢ ص ٩٤٦ و ٩٤٧ وأعيان الشيعة ج ٧ ص ١٣٧ ومراقدة العقيلة زينب ص ١١٧ - ١٣٤.

(٢) راجع: موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ١٩١ عن: الأخبار الطوال ص ٢٢٨ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٣٨ وشرح الأخبار ج ٣ ص ١٩٨ ومقاتل الطالبين ص ١١٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٩ ومثير الأحزان ص ٨٨ و ٩٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٦٨ و ٧٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٥٥.

(٣) راجع: موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ١٩١ عن: مجموعة نفيسة (تاج الموالي) ص ٩٤.

خطبت من وراء كلتها:

وقد قالت الرواية: إن أم كلثوم خطبت من وراء كَلَّتِها، والكَلَّة - بكسر الكاف - هي الستر الرقيق.

ولكن قد تقدم تحت عنوان: «هؤلاء يبكين علينا، فمن قتلنا»؟! : أنه لما قارب السبي الكوفة اجتمع أهلها للنظر إليهن. وأن إحدى النساء لما عرفت أنهن أسارى آل محمد، أعطتهن ملاءً، وأزرأً، ومقانع، فتغطين.

ولكن لم نجد في المصادر التي راجعناها: أنها أعطتهن كِللاً أيضاً.

نشرن شعورهن:

وتقدم: أنه لما سمع نساء أهل الكوفة خطبة أم كلثوم نشرن شعورهن، وحثين التراب الخ..

والسؤال هو: كيف يمكن أن يفعل النساء ذلك؟! أليس كشف الرأس محرماً على المرأة؟!

ونجيب:

أولاً: بأن نساء أهل الكوفة لسن من أهل العصمة عن الخطأ والذنب.

ثانياً: لعل بعضهن قد نشرن شعورهن، من دون كشف الشعر للرجال، فإن المرأة قد تنشر شعرها، ويبقى على رأسها ما يستتره عن

الناظر الأجنبي.

الشعر المنسوب لأم كلثوم:

ولا نجد في الشعر المنسوب إلى أم كلثوم جزالة وقوة تجعله لاثقاً بها أو بغيرها.

على أننا لم نفهم المراد من قولها: «على خير من بعد النبي سيولد»، فإن الحسين «عليه السلام» قد ولد في عهد النبي «صلى الله عليه وآله» لا بعده، فلا بد أن يكون المقصود شخصاً آخر تبكي عليه، وهو لم يكن قد ولد بعد، فهل هو الإمام المهدي «عليه السلام»، أو غيره من الأئمة «عليهم السلام»؟!

إلا أن يقال: المراد: أنها تبكي على الحسين، الذي هو خير من كل من سيولد بعد النبي «صلى الله عليه وآله»؟! فلا يبقى إشكال في البين.

ملاحظة: قولها في شعرها في البيت الأخير: ليس يحمد. لعل الصحيح: يجمد بالجيم لا بالحاء، وقد صحفها الرواة، أو النسّاخ.

خطبة فاطمة الصغرى:

عن زيد بن موسى: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي [الصَّادِق] «عليه السلام»: خَطَبَتِ فَاطِمَةُ الصُّغْرَى بَعْدَ أَنْ وَرَدَتْ مِنْ كَرْبَلَاءَ، فَقَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى، وَزِنَةَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى، أَحْمَدُهُ، وَأُؤْمِنُ بِهِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ

مُحَمَّدًا «صلى الله عليه وآله» عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ دُرِّيَّتَهُ دُبحُوا بِشَطِّ
الْفُرَاتِ بِغَيْرِ دَحْلٍ وَلَا تِرَاتٍ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَرِيَ عَلَيْكَ الْكَذِبَ، وَأَنْ أَقُولَ عَلَيْكَ
خِلَافَ مَا أَنْزَلْتَ مِنْ أَخَذِ الْعُهُودِ لَوْصِيَّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «عليه
السلام»، الْمَسْلُوبِ حَقُّهُ، الْمَقْتُولِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ - كَمَا قُتِلَ وَلَدُهُ بِالْأَمْسِ -
فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، فِيهِ مَعَشَرٌ مُسْلِمَةٌ بِالسِّنَنِتِهِمْ.

تَعَسَّاءَ لِرُؤُوسِهِمْ، مَا دَفَعَتْ عَنْهُ ضَيْمًا فِي حَيَاتِهِ، وَلَا عِنْدَ مَمَاتِهِ،
حَتَّى قَبِضَتْهُ إِلَيْكَ، مَحْمُودَ النِّقِيَّةِ، طَيِّبَ الْعَرِيكَةِ [في الإحتجاج:
الضربية]، مَعْرُوفَ الْمَنَاقِبِ، مَشْهُورَ الْمَذَاهِبِ، لَمْ تَأْخُذْهُ اللَّهُمَّ فِيكَ
لَوْمَةٌ لَائِمٌ، وَلَا عَذْلٌ عَازِلٌ.

هَدَيْتُهُ يَا رَبَّ لِلْإِسْلَامِ صَغِيرًا، وَحَمَدْتَ مَنَاقِبَهُ كَبِيرًا، وَلَمْ يَزَلْ
نَاصِحًا لَكَ وَلِرَسُولِكَ «صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ» حَتَّى قَبِضَتْهُ إِلَيْكَ، زَاهِدًا
فِي الدُّنْيَا، غَيْرَ حَرِيصٍ عَلَيْهَا، رَاغِبًا فِي الْآخِرَةِ، مُجَاهِدًا لَكَ فِي
سَبِيلِكَ، رَضِيئَةً، فَاخْتَرْتُهُ، وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

أَمَّا بَعْدُ، يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ! يَا أَهْلَ الْمَكْرِ، وَالْعَدْرِ، وَالْخِيَلَاءِ! فَإِنَّا
أَهْلُ بَيْتِ ابْنِ آلِنَا اللَّهُ بِكُمْ، وَابْنِ آلِكُمْ بِنَا، فَجَعَلَ بِلَاءَنَا حَسَنًا، وَجَعَلَ عِلْمَهُ
عِنْدَنَا، وَفَهْمَهُ لَدَيْنَا، فَتَحْنُ عَيْبَهُ عِلْمِهِ، وَوَعَاءُ فَهْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَحُجَّتُهُ
عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فِي بِلَادِهِ لِعِبَادِهِ، أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ، وَفَضَّلَنَا بِنَبِيِّهِ
مُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله» عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا بَيِّنًا.

فَكَذَّبْتُمُونَا، وَكَفَرْتُمُونَا، وَرَأَيْتُمْ قِتَالَنَا حَلَالًا، وَأَمْوَالَنَا نَهَبًا! كَأَنَّا
أَوْلَادُ ثُرَكٍ أَوْ كَابُلٍ، كَمَا قَتَلْتُمْ جَدَّنَا بِالْأَمْسِ، وَسُيُوفُكُمْ تَقَطَّرُ مِنْ دِمَائِنَا

أَهْلَ الْبَيْتِ، لِحَقْدٍ مُتَقَدِّمٍ، قَرَّتْ لِدَلِكْ عُيُوبُكُمْ، وَفَرَحَتْ قُلُوبُكُمْ، افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ، وَمَكْرًا مَكْرُثًا، (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (١).

فَلَا تَدْعُوَكُمْ أَنْفُسُكُمْ إِلَى الْجَدَلِ بِمَا أَصَبْتُمْ مِنْ دِمَائِنَا، وَنَالَتْ أَيْدِيكُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا، فَإِنَّ مَا أَصَابَنَا مِنَ الْمَصَائِبِ الْجَلِيلَةِ وَالرَّزَايَا الْعَظِيمَةِ (فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُبْرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (٢).

تَبَّ لَكُمْ، فَانْتَظِرُوا اللَّعْنَةَ وَالْعَذَابَ، فَكَأَنَّ قَدْ حَلَّ بِكُمْ، وَتَوَاتَرَتْ مِنَ السَّمَاءِ نِقْمَاتٌ، فَيُسْحِطُكُمْ بِعَذَابٍ، وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بِأَسَ بَعْضٍ، ثُمَّ تُخَلَّدُونَ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا ظَلَمْتُمُونَا، (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (٣).

وَيَلَّكُمْ، أَتَدْرُونَ آيَةَ يَدٍ طَاعَتِنَا مِنْكُمْ؟! وَآيَةَ نَفْسٍ نَزَعَتْ إِلَى قِتَالِنَا؟! أَمْ بِآيَةِ رَجُلٍ مَشِيئَةٍ إِلَيْنَا تَبْغُونَ مُحَارَبَتَنَا؟!!

قَسَتْ وَاللَّهُ قُلُوبُكُمْ، وَغَلْظَتْ أَكْبَادُكُمْ، وَطُبِعَ عَلَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَخُتِمَ عَلَى أَسْمَاعِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ، وَسَوَّلَ لَكُمْ الشَّيْطَانُ وَأَمْلَى لَكُمْ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِكُمْ غِشَاوَةً فَأَنْتُمْ لَا تَهْتَدُونَ.

فَقَبَّ لَكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَيُّ تِرَاتٍ لِرَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»

(١) الآية ٥٤ من سورة آل عمران، والآية ٣٠ من سورة الأنفال.

(٢) الآية ٢٢ من سورة الحديد.

(٣) الآية ١٨ من سورة هود.

قَبْلَكُمْ، وَدُحُولٍ لَهُ لَدَيْكُمْ، بِمَا عِنْدْتُمْ بِأَخِيهِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «عليه السلام» جَدِّي، وَبَنِيهِ، وَعِتْرَةِ النَّبِيِّ الْأَخْيَارِ «صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ»، وَافْتَخَرَ بِذَلِكَ مُفْتَخِرُكُمْ فَقَالَ:

نَحْنُ قَتَلْنَا عَلِيًّا وَبَنِي عَلِيٍّ بِسُيُوفٍ هِنْدِيَّةٍ وَرِمَاحٍ
وَسَبَبْنَا نِسَاءَهُمْ سَبِيَّ ثَرْكِ وَنَطَحْنَاهُمْ فَأَيَّ نِطَاحٍ

بِفَيْكِ أَيُّهَا الْقَائِلُ الْكَتَكْتُ وَالْأَتْلُبُ، افْتَخَرْتَ بِقَتْلِ قَوْمٍ زَكَاهُمْ اللَّهُ، وَأَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً! فَاكْظِمِ وَأَقْعِ كَمَا أَقْعَى أَبُوكَ، فَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا اكْتَسَبَ وَمَا قَدَّمْتَ يَدَاهُ.

أَحْسَدْتُمُونَا - وَيَلَا لَكُمْ - عَلَى مَا فَضَّلْنَا اللَّهُ؟!

فَمَا ذُنُوبُنَا أَنْ جَاشَ دَهْرًا وَبَحَرُكَ سَاجٍ لَا يُوَارِي
...
(ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (١)،
(وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) (٢).

قَالَ: وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْبُكَاءِ، وَقَالُوا: حَسْبُكَ يَا بَنَةَ الطَّيِّبِينَ،
فَقَدْ أَحْرَقْتَ قُلُوبَنَا، وَأَنْضَجْتَ نُحُورَنَا، وَأَضْرَمْتَ أَجْوَافَنَا.
فَسَكَتَتْ (٣).

(١) الآية ٢١ من سورة الحديد.

(٢) الآية ٤٠ من سورة النور.

(٣) الملهوف ص ١٩٤ و (نشر أنوار الهدى) ص ٨٨ والإحتجاج ج ٢ ص ١٠٤ - ١٠٨ ح ١٦٩ و (نشر دار النعمان) ج ٢ ص ٢٧ عن زيد بن موسى بن

ونقول:

إيضاحات:

الدَّحْل: الوتر، وطلب المكافأة بجناية جنيت عليه من قتل أو جرح، أو غيره. والدَّحْل: العداوة. والوتر: الظلم في الدحل.

الترّة: جمعها ترات.

النَّقِيبَةُ: النَّفْسُ، وقيل: الطبيعة والخلقة.

العَرِيكَةُ: الطبيعة.

الضَّرِيبَةُ: الطبيعة والسجية.

العيبة: الوعاء.

الجنل: الفرح.

يسحتكم: يهاككم، ويستأصلكم.

نطحه: أصابه بقرنه.

الكثكت: بوزن جعفر، وزبرج: التراب، الأثلب: التراب والحجارة، أو فتاتها، وفتات الحجارة.

جعفر، عن أبيه، عن آبائه، ومثير الأحزان ص ٨٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٦٧ نحوه، من دون إسنادٍ إلى أحدٍ من أهل البيت «عليهم السلام»، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٠. ونضيف: تسلية المجالس ج ٢ ص ٣٥٥ - ٣٥٩.

أقعى: جلس جلسة الكلب. أي ألصق إليتيه بالأرض، ونصب ساقيه، ووضع يديه على الأرض.

ساج: ساكن.

الدعامص: جمع دعموص: دويبة سوداء، تكون بالغدران، إذا قل مأوها.

للتذكير.. والبيان:

إن خطب السيدة زينب والإمام السجاد، والإمام الحسين «عليهم السلام»، وكلماتهم، ومواقفهم هي التي نحاول التوقف عندها، لنتصيد بعض فرائدها وخزائدها، بالمقدار الذي يتسع له صدر القارئ الكريم.. أما خطب وكلمات ومواقف وتصرفات غير هؤلاء، فنحاول الإقتصار على ما هو ضروري مما أشارت إليه.

أو ما يفيد إirاده كشاهد، أو قرينة على أمر بعينه..

ولأجل ذلك يلاحظ القارئ: أننا لا نريد أن نتوسع في الكلام حول خطبة أم كلثوم، وفاطمة الصغرى.

فكذبتُمونا وكفّرتمونا:

ويلفت النظر جداً: أن فاطمة بنت الحسين «عليه السلام»، بعد أن ذكرت: أن أهل البيت «عليهم السلام» هم عيبة علم الله، وحجته على أهل الأرض، تابعت كلامها لتقول لأهل الكوفة: «فكذبتُمونا، وكفّرتمونا» ولم نسمع ولم نقرأ: أن أهل الكوفة قد كفّروا الحسين «عليه

السلام» وأهل البيت «صلوات الله وسلامه عليهم» إلا منها..

وهذا الأمر من أعظم الموبقات، لأنه يتضمن تكذيباً للقرآن، ومضادة صريحة لآياته، وقد ورد في الأحاديث عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما مضمونه: من كفر مسلماً فهو كافر. فكيف إذا كفر من طهرهم الله في كتابه، ومن هو إمام منصوب من قبل الله تعالى على لسان رسوله «صلى الله عليه وآله».. ومن هو سيد شباب أهل الجنة..

كأننا أولاد ترك أو كابل:

١ - كابل: عاصمة الأفغان إلى يومنا هذا.. ولم يكن أهلها قد دخلوا الإسلام آنئذ، بل كانوا أعداء محاربين للإسلام وأهله. والمراد هاهنا واضح، فإنها تريد أن تقول: إنهم قتلونا، وسبونا، وعاملونا كما يعامل الكافر المحارب.

٢ - أشارت فاطمة بنت الحسين «عليها السلام» بقولها لحقد متقدم إلى قول يزيد في الشام وابن زياد في الكوفة، ومروان في المدينة حين أحضروا لهم رأس الحسين «عليه السلام»: يوم بيوم بدر، وأشعار يزيد التي استعار قسماً منها من ابن الزبيرى أشهر من النار على المنار، ومن الشمس في رابعة النهار.

نحن قتلنا علياً وبني علي:

وتقدم قولها «عليها السلام» أن أحد المنتسبين إلى الخط الأموي قال

مفتخراً:

نَحْنُ قَتَلْنَا عَلِيًّا وَبَنِي عَلِيٍّ

ونقول:

أولاً: إن هذا الشطر غير موزون، لا بلحاظ بقية الشعر المتقدم، ولا بلحاظ أي وزن آخر من أوزان الشعر..

ولو قال مثلاً:

قَدْ قَتَلْنَا عَلَيْكُمْ وَبَنِيهِ لكان أوفق بالوزن

ولعله حرفه المحرّفون حتى أخرجوه عن دائرة الأوزان الشعرية بالكلية.

ثانياً: إن هذا نص منها على أن قتل الخوارج لم يكن مجرد عمل فردي من خارجي وخارجية، بل كانت هناك أيدٍ لمعاوية قد هيات وحرّضت ودبّرت، ولعلها موّلت حتى استشهد علي «عليه السلام» على يد ابن ملجم في الظاهر، وتدبير معاوية في الباطن.

قتلتم جدنا بالأمس:

ومما يرجح أن يكون المراد بفاطمة التي خطبت هذه الخطبة هي بنت الحسين «عليه السلام» قولها: «كَمَا قَتَلْتُمْ جَدَّنَا بِالْأَمْسِ»، ليكون مرادها: جدها علي «عليه السلام»، الذي وصفته بقولها قبل ذلك: «المَقْتُولُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ».

وفاطمة بنت الحسين هي زوجة الحسن المثنى الذي حضر

كربلاء.

وأما ما يذكر، من أن للحسين «عليه السلام» فاطمة أخرى هي الصغرى، تركها في المدينة، فقد قلنا: إنه موضع نقاش وريب. وقد تحدثنا عن قصتها مع الغراب في موضع سابق من هذا الكتاب.

الفصل الثالث:

خطبة السجاد × في الكوفة..

السجاد x يخاطب أهل الكوفة:

وقالوا أيضاً:

إِنَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ «عليه السلام» أومأ إلى الناس أن اسكتوا، فسكتوا،
فَقَامَ قَائِماً، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَرَ النَّبِيَّ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، فَصَلَّى
عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي فَأَنَا أَعْرِفُهُ
بِنَفْسِي:

أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَا ابْنُ الْمَذْبُوحِ بِسَطِّ
الْفُرَاتِ، مِنْ غَيْرِ دَحْلٍ وَلَا تِرَاتٍ، أَنَا ابْنُ مَنْ انْتَهَكَ حَرِيمَهُ، وَسُلِبَ
نَعِيمُهُ، وَانْتَهَبَ مَالَهُ، وَسُبِيَ عِيَالُهُ. أَنَا ابْنُ مَنْ قُتِلَ صَبِراً، وَكَفَى بِذَلِكَ
فَخْراً.

أَيُّهَا النَّاسُ! نَاشِدْتُكُمْ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَتَّكُمُ كَتَبْتُمْ إِلَى أَبِي،
وَحَدَّعْتُمُوهُ، وَأَعْطَيْتُمُوهُ مِنْ أَنْفُسِكُمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، وَالْبَيْعَةَ،
وَقَاتَلْتُمُوهُ، وَحَذَلْتُمُوهُ؟!

فَتَبَّأَ لِمَا قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، وَسَوْءاً لِرَأْيِكُمْ، بِأَيَّةِ عَيْنٍ تَنْظُرُونَ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» إِذْ يَقُولُ لَكُمْ: قَتَلْتُمْ عِزَّتِي، وَانْتَهَكْتُمْ حُرْمَتِي،

فَلَسْتُمْ مِنْ أُمَّتِي؟!!

قال الراوي: فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُ النَّاسِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَلَكْتُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ.

فَقَالَ «عليه السلام»: رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً قَبْلَ نَصِيحَتِي، وَحَفِظَ وَصِيَّتِي فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَإِنَّ لَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً. فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ: نَحْنُ كُلُّنَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ سَامِعُونَ مُطِيعُونَ، حَافِظُونَ لِإِمَامِكَ، غَيْرَ زَاهِدِينَ فِيكَ، وَلَا رَاغِبِينَ عَنْكَ، فَأَمْرُنَا بِأَمْرِكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِنَّا حَرْبٌ لِحَرْبِكَ، وَسَلْمٌ لِسَلَامِكَ، لِنَأْخُذَنَّ بِزَيْدٍ، وَنَبْرَأَ مِمَّنْ ظَلَمَكَ وَظَلَمَنَا.

فَقَالَ «عليه السلام»: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! أَيُّهَا الْغَدْرَةُ الْمَكْرَةُ، حِيلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ شَهَوَاتِ أَنْفُسِكُمْ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ كَمَا أَتَيْتُمْ إِلَى أَبِي مِنْ قَبْلُ؟!!

كَلَّا وَرَبَّ الرَّاqِصَاتِ، فَإِنَّ الْجُرْحَ لَمَّا يَنْدَمِلُ، قُتِلَ أَبِي صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْأَمْسِ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ مَعَهُ، وَلَمْ يُنْسِنِي تُكُلْ رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»، وَتُكُلَ أَبِي وَبَنِي أَبِي، وَوَجَدُهُ بَيْنَ لَهَوَاتِي، وَمَرَارَتُهُ بَيْنَ حَنَاجِرِي وَحَلْقِي، وَغُصَصُهُ تَجْرِي فِي فِرَاشِ صَدْرِي، وَمَسْأَلَتِي أَنْ لَا تَكُونُوا لَنَا وَلَا عَلَيْنَا. ثُمَّ قَالَ:

لا غرو إن قتل الحسين قد كان خيراً من حسين وأكرماً
فلا تفرحوا يا أهل كوفان أصاب حسيناً كان ذلك أعظماً

قَتِيلٌ بِشَطِّ النَّهْرِ رُوحِي فِدَاؤُهُ جَزَاءُ الَّذِي أَرَادَهُ نَارُ جَهَنَّمَ

ثُمَّ قَالَ «عَلَيْهِ السَّلَام»: رَضِينَا مِنْكُمْ رَأْسًا بِرَأْسٍ، فَلَا يَوْمَ لَنَا وَلَا عَلَيْنَا^(١).

ونقول:

إيضاحات:

الراقصات: هي الإبل إذا مشت مشي الخبب، وهي: أن يراوح بين يديه ورجليه.

اللاهوات: جمع لاهة، وهي اللحم المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

قتل صبراً: أي حبس لكي يقتل.

لا غرو: الغرو: العجب، أي لا عجب من هذا الأمر.

اللاهزم - واحدتها لهزمة -، وهي: أصول الحنكين.

الذمة والذمام: العهد، والأمان، والحرمة، والحق..

(١) الملهوف ص ١٩٩ و (نشر أنوار الهدى) ص ٩٢ والإحتجاج ج ٢ ص ١١٧ ح ١٧١ و (نشر دار النعمان) ج ٢ ص ٣١ عن حذيم بن شريك الأسدي، ومثير الأحزان ص ٨٩ و ٩٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٦٩ و ٧٠ كلاهما نحوه، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٢ - ١١٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٨١ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١١٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٦١.

الذحل: الوتر، وطلب المكافأة بجناية جنيت عليه، من قتل، أو جرح، أو غيره. والذحل: العدو والحق.

الترات - جمع ترة - وهو: الظلم في الذحل.

الإغراء بالإصغاء والانتباه:

لقد بدأ الإمام السجاد «عليه السلام» كلامه بطريقة تغري سامعه بالإصغاء إليه، والانتباه لما سيقوله، وما يعرف به نفسه. فمن يعرفه «عليه السلام»، يريد أن يعرف ما الذي سوف يختاره للتعريف بنفسه في هذه المناسبة الحساسة، ومن لا يعرفه، - كتلك المرأة التي سألت النساء: من أي الأسارى أنتن؟! - سيكون مهتماً بمعرفة هؤلاء الذي يبكي عليهم أكثر المجتمع الكوفي، ولا يظهر الفرح بأسرهم سوى أعوان السلطة، وجلالوتها.

هكذا عرفهم نفسه X:

وقد عرف نفسه «عليه السلام» للناس على النحو التالي:

١ - إنه بعد أن خطبت زينب، وفاطمة، وأم كلثوم، وأوضح للناس أنهم سبايا آل محمد، وأنهم أهل بيت الرسول، وذريته، فإن الإمام السجاد «عليه السلام»: ركز على انتسابه لسيد الأوصياء علي أمير المؤمنين «عليه السلام».. الذي عاش بين أهل الكوفة سنوات خلافته «عليه السلام»، واستشهد في مسجد الكوفة، ودفن في ظاهر الكوفة أيضاً.. وإن لم يعرف الناس مكان دفنه آنئذٍ بالتحديد.

وعلي «عليه السلام» يعرفه الكوفيون، فهو الذي ركز فيهم راية

الإيمان، وعرفهم حدود الحلال والحرام^(١)، وقد عرفوا سياسات علي «عليه السلام»، وذاقوا حلاوة عدله فيهم، كما عرفوا سياسات مناوئيه، وذاقوا مرارات عسفهم وظلمهم لهم.

ويفترض فيهم: أن لا تنسيهم ميولهم وأهوائهم، وحبهم للدنيا حلاوة عدله فيهم، وبره بهم، وحسن سياسته لهم، وأن تبقى ذكرياتها تراودهم، وأن تكون الحسرة عليها، والشوق إليها، والأمل بها، كامناً في أعماق نفوسهم، ومستقراً في حنايا قلوبهم.

ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: «أنا عليُّ بنُ الحسين بن عليِّ بن أبي طالبٍ..».

٢ - ثم عطف «عليه السلام» على هذا الانتساب الصريح التعريف بأبيه، وبيان ما جرى عليه من أهل الكوفة، الذين جاؤوا ليكون وينوحون على والده الحسين «عليه السلام»، بعد أن قتلوه، وسبوا نساءه.

فإذا كانوا يقرون بفضل علي «عليه السلام» عليهم، وعظيم إحسانه إليهم، وبالغ رفيقه بهم، فما بالهم يكافئونه في ولده على هذا

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ١ ص ١٥٤ وبحار الأنوار ج ٣٤ ص ٢٠٩ والمراجعات ص ٦٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٣٧٣ و ٣٨٠ وينايع المودة ج ١ ص ٨٤ وج ٣ ص ٤٣٢ وأعلام الدين للدليمي ص ١٢٨ وغاية المرام ج ٢ ص ٣١٧.

النحو الذي جمع بين أعظم القبائح الإنسانية، والأخلاقية، والسلوكية، فقد جمعوا بين الغدر، والخيانة، والختل، والقسوة، ونكران الجميل، والتعدي على الحرمات، وفقدان الحمية، والغيرة، وإظهار الشره والطمع إلى حد الدناءة والخسة، مع ادّعاءاتهم الفارغة للشرف، والشهامة، والغيرة..

وهذا ما حملته لنا كلماته التالية، حيث قال «عليه السلام»:

«أَنَا ابْنُ الْمَذْبُوحِ بِشَطِّ الْفُرَاتِ، مِنْ غَيْرِ دَحْلٍ وَلَا تِرَاتٍ، أَنَا ابْنُ مَنْ أَنْتَهَكَ حَرِيمَهُ، وَسَلَبَ نَعِيمَهُ، وَأَنْتَهَبَ مَالَهُ، وَسُبِّيَ عِيَالَهُ».

ويلاحظ: أن الإمام الحسين «عليه السلام»، قد واجه أنواعاً كثيرة من وسائل الأذى والقتل، وكيفياته، من الرمي بالسهام، إلى الطعن بالرمح، والضرب بالسيوف، إلى منع الماء، والعطش الذي لا يحتمل، إلى الرمي بالحجارة، والضرب بالخشب، وإلى محاولة حرق البيوت بما ومن فيها بالنار، وغير ذلك من نوائب ومصائب، مثل: ذبح الأطفال، فضلاً عما لحق قتله «عليه السلام» من قطع الرؤوس، وسبي العيال والأطفال، وما صاحب ذلك من تحقير وإهانات، وحمل للسبايا على أقتاب الجمال..

ولكن الإمام السجاد «عليه السلام» قد اختار من كل ذلك أن يتحدث عن الذبح، فإنه الأكثر فظاعة، والأشد بشاعة، وأوضح دلالة على الحقد والقسوة، والجرأة على الله، وعلى أحبائه وأوليائه.

فإن سائر الوسائل، والكيفيات التي واجه الأعداء بها الحسين «عليه السلام»، تبقى آثارها، وخفايا نتائج استعمالها في دائرة الحدس والتخمين،

من حيث الحجم، والمدى الذي تبلغه، والأثر الذي تحدثه، والألم الذي ينتج عنها.

أما الذبح، فإن الذابح يدرك مدى تأثير كل لمسة وحركة، وحجمها، ومداهها، ونتائجها على صعيد معاناة الآلام، وغير ذلك.

٣ - فإذا كان هذا المذبوح، الذي يواجه بهذا القدر من الأذى، والضغينة لم يصدر منه تجاه الذابح ومن وراءه ما يوجب شيئاً من ذلك، فإن بشاعة هذا العمل ستصبح أكثر وضوحاً وسطوعاً..

وقد اختار «عليه السلام» لبيان هذا الأمر كلمتين بالغتي الدلالة، فقال: «مِنْ غَيْرِ دَحْلٍ وَلَا تِرَاتٍ»، وذلك:

أولاً: لأن الدحل، إن كان هو العداوة، فلم تكن هناك عداوة شخصية بينه وبينهم..

وإن كان المراد به المكافأة على قتل، أو جرح، أو أي شيء أحدثه فيهم، فإنه لم يكن هناك ما يوجب المطالبة بشيء من ذلك، لأن مبرر المكافأة، وهو القتل، أو الجرح، أو أي نقص آخر غير موجود من أساسه.

ثانياً: إنه مع انتفاء الموضوع ينتفي الحكم، وحيث لا يوجد عرش، فلا يوجد نقش، فلا يوجد الدحل (وهو العداوة، أو الحقد، أو طلب المكافأة على نقص أحدثه فيهم)، لكي يقال: إنه ظلمهم في الدحل..

الفخر بقتل الصبر!!:

١ - وبعد أن ذكر «عليه السلام» الذين ذبحوا الإمام الحسين «عليه السلام» بشط الفرات، من غير ذحل، ولا ترات، ذكر «عليه السلام» أموراً أخرى، لها دلالاتها وإشارات، فقال:

«أَنَا ابْنُ مَنْ أَنْتَ هَكَ حَرِيمُهُ» ومن ينتهك حريمه، ويذبح من دون ذحل ولا ترات، لا يمكن إلا أن يكون مظلوماً، ولا يمكن أن يثق، أو أن يتعامل، أو أن يهادن من يفعل به ذلك.. لاسيما وأن حرمة «عليه السلام» جزء من حرمة النبوة والرسالة، والدين، والإنسان بكل ما له من صفات كمال وجمال..

كما أن الذين يفعلون ذلك بأهل بيت النبوة، وسبط الرسول، وابن علي الذي عرفنا فضله، حتى على هؤلاء الذباحين لأولاد الأنبياء، والمنتهكين لحرمتهم، وعلى رأسهم سيد شباب أهل الجنة، لا يمكن أن يطلب من أبناء الحسين أن يثقوا بهم، ويركنوا إلى صدقهم ووفائهم، ويتعاملوا معهم، بعد أن خانوا وغدروا، وذبحوا وانتهكوا حريم أبيهم قبل ساعات، أو أيام، قلّت أو كثرت.

ولن يرحض عنهم عار ما فعلوه بكاء ولا نواح، ولا تفيد الأيمان والعهود والوعود.

وانتهاكهم حريم مثل الإمام الحسين «عليه السلام»، والكل يعرف موقعه من هذا الدين يعطي: أنهم لن يحجزهم أي شيء عن انتهاك حريم أي مخلوق آخر، فإنه مهما علا شأنه، فإن شأن الحسين «عليه

السلام» يبقى هو الأرفع، ويبقى جانبه هو الأرفع.

- ٢ - وهكذا يقال بالنسبة إلى سلبهم نعيم الإمام الحسين، وانتهابهم لماله، طمعاً منهم بحطام الدنيا، فإن هذا أظهر مدى دناءتهم وخستهم.
- ٣ - وأما سبي عيال الإمام الحسين «عليه السلام»، فيدل على فقدان الشهامة والغيرة لدى هؤلاء الناس، وحسبهم بذلك خزيًا، وسقوطًا، وذلاً في الدنيا والآخرة.

- ٤ - والأهم من ذلك كله: أنه «عليه السلام» قد حبس ومنع من الضرب في الأرض من لحظة لقائه بالحر الرياحي، إلى أن وصل إلى كربلاء، حيث حوَصِر ومنع عن التحرك في أي اتجاه، لكي يختار بين أن يُقتل هو وجميع من معه من أهل بيته وأصحابه، أو يخضع لإرادة يزيد وابن زياد.

فصبر على هذا البلاء، وفاز بدرجات القرب لدى رب السماء، ولم يستجب للظالمين، ولم يتزحزح قيد شعرة عما يرضي رب العالمين..

وهذا موقف جميل وجليل، وهو من أعظم المآثر والمفاخر، وكفى به فخراً كما قال الإمام زين العابدين «عليه السلام».

السجاد X يستنطق أهل الكوفة:

- ١ - وجه الإمام السجاد «عليه السلام» أسئلة تقريرية لأهل الكوفة، تفيد: أنهم هم الذين كتبوا إلى الإمام الحسين «عليه السلام» وخذعوه، وأعطوه العهد، والميثاق، والبيعة، ثم خذلوه.. فهم بعد هذا

أمام احتمالين:

أولهما: أن يكون هذا منهم منطلقاً من شعورهم بأن هذا يحقق لهم أهدافهم، ويوصلهم إلى مطامعهم فيما مهدوه وقدموه، ولم يصلوا إلى ما يريدون.

ثانيهما: أن يكون هذا الذي فعلوه كان رأياً لهم بداعي الصالح العام، ولكن ليت شعري، ما هذا الرأي الذي يقوم على النكت والغدر والخيانة، وقتل الأئمة والأولياء، وسلالة الأنبياء، على هذا النحو الفجيع، وسبي نسائه، فسوءاً وقبحاً، وتباً لهذا الرأي الغثيث والخبيث..

٢ - ثم انتقل «عليه السلام» بكل عفوية ووضوح ليصل الفرع بأصله، حين ذكرهم بأمر لا ريب ولا لبس فيه، وهو أن الأمر لا ينتهي عند قتل الحسين وأهل بيته وأصحابه، فهناك قيامة وحساب، فإما فوز ومثوبة، أو عذاب وعقوبة، وهناك لقاء مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيسألهم عما أحدثوه بعده من انتهاك لحرمة وقتل لذريته، فبأي عين ينظرون إليه يومئذ..

فهل الإمام «عليه السلام» يفترض: أن تبقى لدى هؤلاء بقية من حياء، أو نفحة من إباء، يخلجون من أنفسهم حين لقائه «صلى الله عليه وآله»؟!!

أو أنه يريد أن يقول لهم: إن حاجتكم لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وانقطاع السبل بكم يوم القيامة، حيث لا تملكون لأنفسكم في ذلك الموقف نفعاً ولا ضرراً، سوف يضطركم للبحث عن مناص

وخلص.. لا تجدونه إلا عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته الطاهرين..

فإذا واجهتم رسول الله «صلى الله عليه وآله» مواجهة المحتاج للمعونة، والطالب للشفاعة، فبأي عين تنظرون إليه؟!!

إنكم - ولا شك - سترجعون خائبين خاسئين، ولن ينفعكم قوله «صلى الله عليه وآله»: «أدّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» لأنكم لستم من هذه الأمة، لأنكم قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمتي. وهذا حكم صريح بكفرهم، فإن قاتل إمامه كافر.

هلكتم وما تعلمون:

وبعد.. فإننا لا نصدق قول القائل منهم: «هَلَكْتُمْ وما تَعْلَمُونَ». لأنهم قد علموا من خلال الخطب والمواقف، والإحتجاجات عليهم، من قبل الإمام الحسين، وأصحابه، وأهل بيته.. فضلاً عن الآيات القرآنية الكثيرة التي تقرر حق أهل البيت ومكانتهم عند الله، وموقعهم في الأمة، وكذلك التصريحات الكثيرة من رسول الله «صلى الله عليه وآله» التي لم تترك عذراً لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة..

هل هذا استدراج؟!:

وقد يرى الباحث الأريب، والمتدبر اللبيب في قوله «عليه السلام»: «رحم الله امرءاً قبل نصحيتي، وحفظ وصيتي في الله، وفي رسوله، وأهل بيته الخ..».

إنه بمثابة استدراج لأهل الكوفة، لينبسطوا معه في الحوار، والإعراب عن المقاصد.

حيث جعلهم يظنون: أنه سيطلب منهم أموراً لها طابع العمل معه في المجال العام، أو أنه سوف يصدر لهم توجيهات ترتبط بعلاقتهم معه ومع سائر أهل البيت الذين نجوا من القتل على أيديهم.

ولاسيما حين حدد مورد وصيته لهم: بأنها سيكون لها ارتباط بالله، فظنوا أنه سيأمرهم بطاعته، والعمل بأوامره ونواهيه، ويطلب منهم أن يصلحوا علاقتهم برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن يعودوا لنصرة أهل البيت، ومعاونتهم على دفع عدوهم عنهم.

ولعل ظنهم هذا جعلهم يتبارون في إظهار الطاعة، والوعد بحفظ ذمامه، والتأكيد على أنهم سيواصلون تأييدهم له بكل قوة وثبات، وأعلنوا أنهم حرب على من حاربه، وسلم لمن سالمه، بل تمالى بهم الحماس إلى حد أنهم وعدوه بالقبض على يزيد بالذات..

ثم تقدموا خطوة أخرى، ليدعوا براءتهم ممن ظلمهم وظلمه.. وكأنهم لم يكونوا هم أنفسهم أداة الظلم الذي مورس ضد أبيه، وأهل بيته، وأصحابه. وهل استأجر بنو أمية أناساً من الترك أو الديلم لقتل الحسين «عليه السلام»؟!!

فظهر بذلك: أنهم بنفس كلامهم هذا لم يحددوا عن سنة الغدر والمكر، التي انتهجوها مع أبيه وأهل بيته. وقد وجد «عليه السلام» في هذا الحماس في تقديم العروض، وهذا السخاء بالوعود، وإعطاء

العهود، وسرعة إنكارهم لجريمتهم التي لم يمض على ارتكابهم إياها يومان، واعتبار أنفسهم مظلومين كما هو مظلوم.

إن ذلك أوضح شاهد، على أن الأمر لا يعدو كونه شنشنة يعرفها اللبيب من أخزم.

وتبين بذلك: أن هدفهم من هذا كله، هو اتباع الهوى، والاستجابة لنوازع شهواتهم وأهوائهم. وأنهم يريدون تكرار نفس ما فعلوه مع أبيه بالأمس، ولذلك قال لهم «عليه السلام»:

«هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! أَيُّهَا الْغَدْرَةُ الْمَكْرَةُ، حِيلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ شَهَوَاتِ أَنْفُسِكُمْ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ كَمَا أَتَيْتُمْ إِلَى أَبِي مِنْ قَبْلُ؟! كَلَّا وَرَبِّ الرَّاقِصَاتِ، فَإِنَّ الْجُرْحَ لَمَّا يَنْدَمِلُ الْخ..».

ورب الراقصات!!:

بقي أن نشير إلى أنه «عليه السلام» قد أقسم هنا برب الراقصات، ولم يقسم برب الكعبة، أو برب محمد «صلى الله عليه وآله» مثلاً، أو بالله الذي لا إله إلا هو، أو نحو ذلك..

ولعل السبب في ذلك: أنه «عليه السلام» بعد أن حكم بكفرهم، وأنهم ليسوا من أمة محمد «صلى الله عليه وآله»، لم يشأ أن يقسم لهم بما يدل على أنهم يؤمنون بالمقدسات التي يؤمن بها المسلمون كالكعبة، أو محمد، أو نحو ذلك، بل أقسم لهم برب الراقصات، معتبراً إياهم من أهل الجاهلية، أو من الأعراب الذين هم أشد كفراً ونفاقاً، وأجدر أن لا

يعرفوا حدود ما أنزل الله..

على أن من يعلن أنه إنما أراد أن ينتقم من النبي «صلى الله عليه وآله» بقتل أهل بيته، ويقول: «يا محمد، يوم بيوم بدر» كما فعل يزيد، وعبيد الله بن زياد، ومروان بن الحكم، الذي يقال: إنه ضرب قبر النبي «صلى الله عليه وآله» برأس الحسين «عليه السلام»، ثم قال تلك الكلمة الخبيثة.

إن من يكون هذا حاله لا يهمله الحنث باليمين إذا كان برب الكعبة، أو النبي، أو القرآن، أو غير ذلك.

ثكل رسول الله وثكل أبي:

وقد اعتبر «عليه السلام»: أن المتكول بقتل الإمام الحسين «عليه السلام»، هم:

- ١ - رسول الله «صلى الله عليه وآله»..
 - ٢ - علي أمير المؤمنين «عليه السلام». وقد قال جيش يزيد للحسين «عليه السلام»: نقاتلك بغضاً منا لأبيك.
 - ٣ - بنو علي «عليه السلام»، والإمام السجاد «عليه السلام» منهم.
- وهذا تأكيد آخر على ما كان أهل البيت يؤكدون عليه، وأيدت صحته أفعال وكلمات الطواغيت، من أن القضية هي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو المستهدف في أهل بيته، وفي شرعه، ودينه.

لا تكونوا لنا ولا علينا:

وبعد كل ما تقدم، كان الطلب الوحيد للإمام «عليه السلام» من أهل الكوفة هو ما ذكره بقوله: «ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا»، ثم كرر ذلك، فقال في آخر كلامه: «رضينا منكم رأساً برأس، فلا يوم لنا ولا علينا».

ويبدو: أن المقصود بهذا الطلب: هو خصوص المشاركين بقتل الحسين «عليه السلام» وأهل بيته وأصحابه، وأسري عياله وأطفاله.

وليس المقصود: جميع من سكن الكوفة، وقد كانوا يعدون بعشرات الألوف، حتى ليقال: إن المختار قد قتل منهم ثمانية عشر ألفاً^(١)، عدا من قتلهم الحسين وأصحابه، وأهل بيته يوم عاشوراء، وهم ألوف أيضاً، كما أنه «عليه السلام» لا يقصد جميع أهلها، أو من سكن، أو من ولد فيها، ولو بعد مئات السنين، إذ لا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى..

هذا الشعر لا يستقيم:

أما بالنسبة للأبيات التي وردت في كلام الإمام زين العابدين «عليه السلام»، فيلاحظ:

١ - أن وزن البيت الأول قد جاء على بحر مختلف عن وزن البيتين اللذين بعده، وعن البحر الذي اعتمده..
فلكي يكون البيت الأول متوافقاً مع ما يليه في وزنه وبحره،

(١) راجع: ذوب النضار في الأخذ بالثار لابن نما ص ١٤٥.

يمكن أن يكون هكذا:

فَلَا عَرَوْا مَنْ قَتَلَ الْحُسَيْنِ لَقَدْ كَانَ خَيْرًا مِنْ حُسَيْنِ
 فَلَا تَفْرَحُوا يَا أَهْلَ كُوفَانِ أَصَابَ حُسَيْنًا كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمًا
 قَتِيلٌ بِشَطِّ النَّهْرِ رُوحِي فِدَاؤُهُ جَزَاءُ الَّذِي أَرَادَهُ نَارُ جَهَنَّمَ
 ٢ - ونشير إلى أن كلمة جهنم الواردة في عجز البيت الثالث، قد
 جاءت مفتوحة، حيث قال:

جَزَاءُ الَّذِي أَرَادَهُ نَارُ جَهَنَّمَ
 وسبب ذلك: أن هذه الكلمة ممنوعة من الصرف للعلمية،
 والعجمة. قيل: هي فارسية، وقيل: عبرانية، أصلها كهَنَام^(١).

(١) أقرب الموارد ج ١ ص ٤٧.

الفصل الرابع:

املاً ركابي فضة وذهبا..

الرأس الشريف عند ابن زياد:

وحين وصل الرأس الشريف إلى عبيد الله بن زياد، كان حامل الرأس يحلم بالجائزة العظيمة من ابن زياد، وهي: أن يملأ ركابه فضة وذهباً.. لأنه يرى أنه حقق بقتله الحسين «عليه السلام» إنجازاً عظيماً..

فقد قتل من وصفه: بأنه خير الناس أمّاً وأباً، وخير الناس نسباً، وهو الملك المحجب..

ولكن أحلامه هذه ليس فقط قد تبخرت، بل هي قد انقلبت عليه، فكان نصيبه من ابن زياد: الغضب والحرمان من الجائزة.. بل يقال: إنه ضرب عنقه أيضاً، فلاحظ ما يلي:

١ - عن عبد الله بن منصور، عن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه [زين العابدين] «عليهم السلام»: «أقبلَ سِنَانٌ لَعَنَهُ اللهُ حَتَّى أَدْخَلَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ «عليه السلام» عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ «لَعَنَهُ اللهُ»، وَهُوَ يَقُولُ:

إِذَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّبَا إِمْلَأْ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمَّاً وَأَبَاً وَخَيْرَهُمْ إِذَا يُنْسَبُونَ نَسَبَا

فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : وَيَحْكُ! فَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ أَبًا
وَأُمًّا، لِمَ قَتَلْتَهُ إِذَنْ؟

فَأَمَرَ بِهِ، فَضْرِبَتْ عُنُقُهُ، وَعَجَّلَ اللَّهُ بِرُوحِهِ إِلَى النَّارِ^(١).

٢ - وروى في الطبقات ما هو قريب من هذا، لكنه قال: أَدْخَلَ خَوْلِي
الْأَصْبَحِيَّ الرَّأْسَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ - وَكَانَ الَّذِي يَتَوَلَّى حَمْلَهُ بَشِيرُ بْنُ
مَالِكٍ - فَقَدَّمَهُ إِلَيْهِ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ^(٢).

٣ - وذكر آخرون عبارة موهمة تقول عن سنان: «وَنَزَلَ مَعَهُ
[أَي مَعَ سِنَانِ بْنِ أَنَسٍ] خَوْلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الْأَصْبَحِيَّ، فَاحْتَرَّ رَأْسُهُ، ثُمَّ
أَتَى بِهِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، فَقَالَ:

أَوْقِرْ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا إِنِّي قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّبَا

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٩١ عن: الأُمالي للصدوق ص ٢٢٧
ح ٢٣٩ وروضة الواعظين ص ٢٠٩ و (منشورات الشريف الرضي)
ص ١٨٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١١٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣
ص ٢٦٠ نحوه، وكلاهما من دون إسنادٍ إلى أحدٍ من أهل البيت، وبحار
الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٩٠ و (نشر
دار الحديث) ج ٢ ص ٨٢٨ نحوه، من دون إسنادٍ إلى أحدٍ من أهل البيت.
والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ١٧١ وراجع: مرآة الجنان ج ١
ص ١٠٨ وشذرات الذهب ج ١ ص ٦٧
(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٣٩.

قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَمَّا وَأَبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَبًا

قال: فَلَمْ يُعْطِهِ عُبَيْدُ اللَّهِ شَيْئًا»^(١).

٤ - أَرْسَلَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بِالرَّأْسِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَجَاءَهُ الرَّجُلُ بِالرَّأْسِ، وَاسْمُهُ بَشْرُ بْنُ مَالِكٍ، حَتَّى وَضَعَ الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ:

إِمْلَأْ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا إِنِّي قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّبَا

وَمَنْ يُصَلِّي الْقِبْلَتَيْنِ فِي وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُذَكَّرُونَ النَّسَبَا

قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَمَّا وَأَبَا

فَعَضِبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِذْ عَلِمْتَ أَنَّهُ كَذَلِكَ فَلِمَ قَتَلْتَهُ؟ وَاللَّهِ، لَا نِلْتَ مِنِّي خَيْرًا، وَلِلْحَقِّكَ بِهِ، ثُمَّ قَدَّمَهُ، وَضَرَبَ عُنُقَهُ^(٢).

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٩٢ عن: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٧٤ ومروج الذهب ج ٣ ص ٧٠ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٠٩ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٦ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٢٠٥ والأُمالي للشجري ج ١ ص ١٩٢ والثلاثة الأخيرة عن عمّار الدهني، عن الإمام الباقر «عليه السلام» وكلها نحوه. وراجع: شرح الأخبار ج ٣ ص ١٥٥ وراجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٤ والمعجم الكبير ج ٣ ص ١١٧ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ١ ص ٣٩٣ ونظم درر السمطين ص ٢١٦.

(٢) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٩٢ عن: الفتوح ج ٥ ص ١٢٠ ومطالب

ونقول:

فقدان المعايير:

لسنا بحاجة إلى التذكير: بأن من أعظم المآسي، والمصائب التي تحل بالناس: أن يفقدوا القدرة على التمييز بين الحق والباطل، وبين الحسن والقبيح، وبين الوهم والحقيقة.. وهذا هو التيه الذي ابتلي به بنو إسرائيل، وهو بلاء كل جاحد معاند، ومبطل وفاسد..

واللافت: أنه تعالى قد أذاق بني إسرائيل جزاء على عنادهم، وعدم انقيادهم، وعلى سوء سرائرهم، وخبائثة ضمائرهم. أذاقهم طعم هذا التيه بأنواعه المختلفة، حيث تاهوا في أرض الله أربعين سنة، كنتيجة طبيعية لتيههم عن الحق، وعماهم عنه (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى) (١).

وقتلة الإمام الحسين «عليه السلام» نموذج لهذا العمى، والضلال، وعدم الإدراك حتى لأبده البديهيّات، وأوضح الواضحات. وقد تجلّى ذلك في الشعر الذي قاله حامل الرأس الشريف لابن زياد..

السؤال ص ٧٦ و (بتحقيق ماجد العطية) ص ٤٠٣ والصواعق المحرقة ص ١٩٧ وليس فيه صدره إلى «بشر بن مالك»؛ وكشف الغمّة ج ٢ ص ٢٦٣ و (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٢٦٢ والحدائق الوردية ج ١ ص ١٢٣ نحوه.

(١) الآية ٧٢ من سورة الاسراء.

فهو لم يدرك بشاعة وقبح وتناقض ما جعله وسيلة لنيل الجائزة من ذلك الطاغية الجبار. فهو يريد الفضة والذهب مكافأة على فعل أقبح القبائح، وارتكاب أعظم الفضائح. وهو قتله الملك المحجبا، وخير الناس أمأ وأبأ، وخير الناس نسباً ومن صُلَى القبلتين في الصبا.. فمن يفعل ذلك يكون جزاؤه أعظم جزاء المجرمين في الدنيا والآخرة. ولكن حامل الرأس يريد أن يجعل ما هو جريمة يستحق عليها أعظم العقوبات ذريعة للحصول على التكريم والتعظيم، ونيل الجوائز. وليس ذلك إلا لأجل تيهه، وعمى بصيرته، وسقم تفكيره. ولأن الله تعالى ختم على قلبه، وجعل على بصره غشاوة.

وأقوال هذا الرجل الخبيث في شعره تدل على أن هذا الرجل كان عارفاً بحقيقة من أقدم على قتله، بل قد يقال: إنه كان يرى أن صفات الحسين «عليه السلام» التي يتحلى بها هي التي تبرر له قتله، وطلب الجائزة عليه، ثم الافتخار والتباهي بهذه الجريمة. وبلوغ الأمور بالشخص إلى هذا الحد لهو من أعظم الخذلان، حيث يصبح في ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها..

أما أهل الإيمان والتقوى، فإن نورهم يسعى بين أيديهم، وبأيمانهم، وهذه منحة إلهية لهم، هي من آثار رضا الله سبحانه وتعالى عليهم (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)^(١).

(١) الآية ٤٠ من سورة النور.

غضب ابن زياد:

وأما سبب غضب ابن زياد على حامل الرأس الشريف، فليس هو لأجل اهتمامه بمكارم الأخلاق، وحميد الصفات.. وليس لأن هذا الرجل قد قتل هذا الشخص، الذي له هذه الصفات. بل لأنه رأى أنه يشعره هذا إنما يحرض الناس على ابن زياد وبني أمية، ويسقط حرمتهم، ويضعف شوكتهم..

املاً ركابي فضة وذهباً:

١ - نعود لنؤكد على أن سبب غضب وإقدام عبيد الله بن زياد على قتل الذي جاءه بالرأس الشريف - سواء أكان هو بشير بن مالك، أو سنان بن أنس - هو ثناؤه على الإمام الحسين «عليه السلام»، وعلى أبيه وأمه، وآبائه، فإنه كان لا يطيق سماع مثل هذا الثناء..

كما أنه كان يخشى أن يؤثر ذلك على موقف الناس، وربما أثار له مشكلات حقيقية لهم مع الحكم الأموي الذي ارتكب هذه الجريمة العظيمة.

٢ - إن من المعلوم: أن قاتل الإمام الحسين «عليه السلام» هو شمر، وسنان، على الأكثر ومعهم آخرون.. ذكرنا أسماءهم فيما سبق، فما معنى قول بشر بن مالك في رجزه:

أَوْقِرَ رَكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّبَا
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَمَّا وَأَبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَبَا

إن هذه الدعوى الخطيرة هي بسنان بن أنس أنسب منها ببشر بن مالك.

وهذا يجعل ما ورد في عدد من المصادر من نسبة الرجز إلى سنان أولى بالاعتماد..

مصيبة - والله - ما أعظمها:

قال هشام بن محمد: لما وُضِعَ الرأسُ بين يدي ابن زياد، قال له كاهنُهُ^(١): فَمَ فُضِعَ قَدَمَكَ عَلَى فَمِ عَدُوِّكَ.

فَقَامَ فَوَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لِيَزِيدَ بْنِ أَرْقَمَ: كَيْفَ تَرَى؟!
فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» واضِعاً فاهُ حَيْثُ وَضَعْتَ قَدَمَكَ^(٢).

ونقول:

الكاهن: هو من يقوم بأمر الرجل، ويسعى في حاجته، والقيام بأسبابه، وأمر حزانته.

(١) الكاهن: العربُ تُسمِّي كلَّ من يتعاطى علماً دقيقاً: كاهناً، ومنهم من كان

يُسمِّي المنجم والطبيب كاهناً. راجع: النهاية ج ٤ ص ٢١٥ مادة «كهن».

(٢) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٨٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣

ص ٦٧٨ عن التبر المذاب (مخطوط) ص ٨٥.

جبروت واستكبار:

١ - إن أول ملاحظة يجب الإلماح إليها في هذا النص هي: هذه النفسية الطاغية والمتجبرة، والمستكبرة، التي نجدها لدى هؤلاء الناس.

وما هذه الروح الشريرة، والشيطانية التي كانت تزين أقبح الأعمال، وتصورها بصورة مجيدة وسديدة وفريدة، لتصبح بالنسبة إليه من المآثر والمفاخر.. على قاعدة: (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)^(١)، وعلى قاعدة: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ)^(٢).

والعمه: هو عمى البصيرة، كما قال الزمخشري^(٣). والتردد في الضلال.

٢ - كأن ابن زياد «لعنه الله» يريد أن يقدم نموذجاً معاكساً لما ورد في القرآن الكريم على لسان الكفار في يوم القيامة، فقد قال تعالى:

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ

(١) الآية ٢٤ من سورة النمل.

(٢) الآية ٤ من سورة النمل.

(٣) أقرب الموارد ص ٨٣٣.

نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ^(١).

فقد عكس الأمر حين أراد أن يضع قدمه على فم الإمام «عليه السلام»، المفترض على جميع الأمة طاعته، وهو الهادي، والمرشد إلى الخير، والدال على الله سبحانه وتعالى، ومن قال عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنه «مصباح هدى، وسفينة نجاة»^(٢). وهو سيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وبذلك، فإن ابن زياد أشد كفراً ونفاقاً، وأعظم جرماً من الكافرين الذين أشارت إليهم آية سورة فصلت.

٣ - إن هذا الخبيث، وكذلك كاهنه الكافر الفاجر، قد اختار أن يطأ بقدمه على فم الحسين «عليه السلام»، فهل كان ذلك منهما بعد أن بلغهما أن الرأس الشريف كان يقرأ القرآن في أزقة الكوفة؟! فأراد أن يقول للناس: إن أمثال هذه الكرامات لا تخيفهم، وأنها تبقى في نطاقها المحدود، ولا تتعداه.

ولعلمهم يريدون ادّعاء: أنها صنع بشري، لعله لا يبعد عن دائرة السحر، الذي كان المشركون وأذنابهم يرمون به بني هاشم.

(١) الآية ٢٩ من سورة فصلت.

(٢) فرائد السمطين ج ٢ ص ١٥٥ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ١٤ ص ٦٢ وكمال الدين وتمام النعمة ج ١ ص ٢٦٥ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٦٢ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٠٥ وغاية المرام ج ١ ص ١٥٠ وج ٢ ص ١٧٠ و ٢٦٥.

٤ - إنه «لعنه الله» أراد أن يسقط عن الحسين «عليه السلام» هالة القداسة التي يحيطه بها المسلمون، ويجعله إنساناً عادياً، يخطئ ويصيب، وللأمير أن يبقيه، وأن يقتله، أو يحبسه، أو ينفيه إذا رأى أن سلطانه، وهيبته يحتاج إلى ذلك.

٥ - إن سؤال عبيد الله بن زياد لزيد بن أرقم: كيف ترى؟!!

لعله لأجل أن يكسر هيبة كل صحابي، ويكم بالخوف أفواههم، ولعله كان يظن أن خوف زيد سوف يحمله على أن يتكلم بما يوافق هواه. وإذ به يسمع جواباً مرّاً، لا يطيقه ابن زياد، فقد أقسم بالله: أنه رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» واضعاً فمه حيث وضع ابن زياد رجله.

وإذا كان ابن زياد قد سكت عن جواب زيد بن أرقم، فإنه لم يرتدع عن غيّه، كما سنرى في النصوص التالية:

سماجة ووقاحة ابن زياد:

عن حاجب عبيد الله بن زياد: إِنَّهُ لَمَّا جِيَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» أَمَرَ فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي طَسْتٍ مِّنْ ذَهَبٍ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ عَلَى ثَنَائِيهِ، وَيَقُولُ: لَقَدْ أَسْرَعَ الشَّيْبُ إِلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ: مَهْ! فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» يَلْتَمُ حَيْثُ نَضَعُ قَضِيْبَكَ.

فَقَالَ: يَوْمُ بَيْتِ بَدْرٍ^(١).

وفي نص آخر: أن ابن زياد جَعَلَ يَمْسُ الرَأْسَ الشَّرِيفَ بِقَضِيْبِهِ،
وَيَقُولُ: إِنْ كَانَ لَصَبِيحًا، إِنْ كَانَ لَجَمِيْلًا^(٢).

وعن أنس بن مالك: فَجَعَلَ يَنْكُتُ فِي وَجَنَّتِهِ بِقَضِيْبٍ، وَيَقُولُ: مَا
رَأَيْتُ مِثْلَ حُسْنِ هَذَا الْوَجْهِ قَطُّ.

فقلت: إِنَّهُ كَانَ يُشَبِّهُ النَّبِيَّ «صلى الله عليه وآله»^(٣).

وفي نص آخر: أنه جعل يَقُولُ: إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَدْ كَانَ شَمَطًا^(٤).
الشَّمَطُ: بياض شعر الرأس يخالط سواده.

عن ابن سعد: لَمَّا وُضِعَتِ الرُّؤُوسُ بَيْنَ يَدَيِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، جَعَلَ

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٩٥ عن: الأُمالي للصدوق ص ٢٢٩ ح ٢٤٢

وروضة الواعظين ص ٢١٠ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٩٠
وبحر الأنوار ج ٤ ص ٤٥ و العوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٧٥.

(٢) الأُمالي للشجري ج ١ ص ١٦٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٢٣٦ وترجمة
الإمام الحسين لابن عساكر ص ٣٨٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات)

ج ٣٣ ص ٦٧٨ عن مختصر تاريخ دمشق (ط دمشق) ج ٧ ص ١٥٢

(٣) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤٢١ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢٢٢ ومقتل
الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٤٣ وتاريخ مختصر الدول ص ١١٠.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٩٣ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٢٩٦ وأنساب
الأشراف ج ٣ ص ٤٢٤ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢٢٦ والبداية والنهاية
ج ٨ ص ١٧١ و (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ١٨٥.

يَضْرِبُ بِقَضِيْبٍ مَعَهُ عَلَى فِي الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَام»، وَهُوَ يَقُولُ:
يُقْلَقْنَ هَامًا مِنْ أَنْاسٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا
 فَقَالَ لَهُ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ: لَوْ نَحَيْتَ هَذَا الْقَضِيْبَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
 «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» كَانَ يَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ هَذَا الْقَضِيْبِ^(١).
ونقول:

لا بأس بالنظر إلى ما يلي:

طشت من ذهب! لماذا؟:

لم نفهم السبب الذي دعا ابن زياد لأن يضع رأس الحسين «عليه السلام» في طشت من ذهب.

إذ لا شك في أن الهدف ليس هو تكريم الرأس الشريف وتعظيمه، إذ لو كان الأمر كذلك لما جعل ينكته بالقضيب تارة في وجنته، وأخرى على ثناياه!

ولو كان يريد تكريمه لم يقتله، ويسبي عياله، ويرفع رأسه على خشبة، ويطوف بالرأس في الكوفة، مرفوعاً على خشبة.

بل المراد الحقيقي: هو التباهي بالذهب، وإظهار الغنى، بهدف إطماع الناس، والاستئثار بآمالهم وأحلامهم، واستدراج الكثير من تزلفاتهم وتملقاتهم.

(١) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨١ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٧٩.

كما أن من أهداف ذلك: هو إظهار أبهة الملك، وعظمته، وأنه يملك الذهب والمال، بالإضافة إلى الرجال، والشوكة.

هل أسرع الشيب إلى الحسين؟!:

وقد رأينا: ابن زياد ينكت ثنايا الحسين «عليه السلام» المباركة بقضيبه ويقول: «أسرع الشيب إليك يا أبا عبد الله».. وهذا:

١ - كلام إنسان مستهتر عابث، يريد أن يظهر بمظهر غير المكترث ولا المبالي بالجريمة الهائلة التي ارتكبها في حق أقدس، وأفضل، وأعلم، وأكرم الخلق..

٢ - هو يريد صرف الأذهان عن المطالبة بمبررات ارتكاب هذه الجريمة الهائلة التي ارتكبها، لأنه سيكون عاجزاً عن إقناع الناس بها.

٣ - ثم هو يريد أن يهون من أمرها، ويحط من قدرها، وكأن قتله «عليه السلام» وأهل بيته وأصحابه على ذلك النحو الفظيع والمفجع بمثابة ذبح عصفور.

٤ - ما معنى حديث هذا الخبيث عن شيب الإمام في مثل هذا الموقف الذي ينبغي أن تسكب فيه العبرات، وتنفظر فيه القلوب..

مع أنه كلام لا حقيقة له، فإن من يناهز السبع والخمسين من عمره يكون ظهور الشيب فيه قد هاجمه بصورة كبيرة. وهذا أمر عادي ومتوقع لدى أكثر الناس، فما معنى ادّعاء إسراع الشيب إلى الإمام «عليه السلام»، وهو بهذه السن المتقدمة؟!!

يوم بيوم بدر:

ويلاحظ: أنه حين قيل لابن زياد: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يلثم الموضع الذي كان ابن زياد يضربه بالقضيب لم يظهر أي نوع من أنواع التوقير والاحترام لرسول الله، بل ظهر منه الاستخفاف به «صلى الله عليه وآله». حين لم يراع حتى الشكليات. فلم يعتذر، ولم يتراجع، بل تقدم خطوة أخرى إلى الإمام، حين قال: يوم بيوم بدر..

وقد أراد بهذه الكلمة:

١ - تبرير ضربه بالقضيب على ثنایا الإمام. ثم الإعلان عن أنه حين يقتل أقدس البشر فإنما يقتله انتقاماً لأسلافه الذين قتلهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم بدر..

٢ - إن قتل الحسين «عليه السلام»، ومن معه، وسبي نسائه إنما هو انتقام من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٣ - إن هذه الكلمة انتصار للشرك وأهله، ومحاولة لبعث الروح فيهم من جديد..

٤ - إنه تعبير عن هذا الارتباط العاطفي العميق له بأهل الشرك، وأن تقادم الزمن لم يخرج حبهم من قلبه.

ونفس هذا الكلام آتٍ بالنسبة ليزيد الذي أعلن أيضاً أنه يثأر لأهل بدر، وتمثل بأبيات ابن الزبيرى، ما دل به على كفره.

قال بعض الإخوة الأكارم: بل فضح نفسه، ودل على كفره وكفر

فريقه، وذلك لأنه لم يعبر عن مجرد الحب الذي قد يبقى في قلب من اختار الإيمان لبعض المشركين من أسلافه، ولو لضعف إيمانه، بل عبر عن الثأر من الإيمان للشرك. وهذا لا يكون إلا عن مشرك.

٥ - إن الحسين «عليه السلام» وأكثر من قتل معه، وجميع الأسرى والسبايا إنما ولدوا بعد يوم بدر، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» قد استشهد قبل خمسين سنة من يوم عاشوراء، فما معنى أن يكون الانتقام بقتل وأسر وسبي ذريته، وهم لم يشاركوا في بدر بأي نحو من أنحاء المشاركة، بل لم يكن الحسين «عليه السلام» مولوداً حينها؟!!

ألا يدل ذلك على أن المطلوب لهم هو أن يثأر الشرك من الإيمان، والخط من الخط الذي لا يفرق فيه - حسب عقلية هؤلاء - بين من كان يوم بدر وبين من لم يكن، ولأجل ذلك نقول: إن من يقاتل الحسين «عليه السلام» يقاتل رسول الله «صلى الله عليه وآله».

كانوا أعق وأظلماء:

والأعجب والأغرب هنا: أن ينشد عبید الله بن زياد الشعر الذي يقول:

نَفَلِقْ هَامًا مِنْ رَجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقُّ وَأَظْلَمًا

فأولاً: لقد كذب ابن زياد بدعواه: أن الحسين «عليه السلام» كان من الأعزة عليه، لأنه كان هو وأبوه، وسائر بني أمية شديدي البغض لعلي وأهل بيته.

ثانياً: لقد كذب ابن زياد مرة أخرى حين قال: إن الحسين «عليه السلام» وأهل بيته أعق وأظلم منه، وممن هم على شاكلته ونهجه. ولكن أهل البيت والحسين «عليه السلام» منهم، كانوا هم وكل مؤمن بدينه، يكرهون انحراف بني أمية، ويرفضون باطلهم، وظلمهم، وفجورهم، وجورهم.

هل خرف زيد بن أرقم؟!:

١ - عن حميد بن مسلم: دَعَانِي عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ، فَسَرَّحَنِي إِلَى أَهْلِهِ لِأُبَشِّرَهُمْ بِفَتْحِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبِعَافِيَّتِهِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى أَتَيْتُ أَهْلَهُ فَأَعْلَمْتُهُمْ ذَلِكَ. ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّى أَدْخُلَ فَأَجَدَ ابْنَ زِيَادٍ قَدْ جَلَسَ لِلنَّاسِ، وَأَجَدَ الْوَقْدَ قَدْ قَدِمُوا عَلَيْهِ، فَأَدْخَلَهُمْ وَأَذِنَ لِلنَّاسِ، فَدَخَلْتُ فِيمَنْ دَخَلَ، فَإِذَا رَأْسُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» مَوْضُوعٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِذَا هُوَ يَنْكُتُ بِقَضِيبٍ بَيْنَ تَنَبُّيَّتَيْهِ سَاعَةً. [وفي نص آخر: جَعَلَ يَضْرِبُ بِقَضِيبٍ مَعَهُ عَلَى فِي الْحُسَيْنِ «عليه السلام» وَهُوَ يَقُولُ:

يُقَلِّقُنَ هَامًا مِنْ أَنْاسٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ

فَلَمَّا رَأَاهُ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ لَا يُنْجِمُ عَنْ نَكْتِهِ بِالْقَضِيبِ، قَالَ لَهُ: أَعْلُ بِهَذَا الْقَضِيبِ عَنْ هَاتَيْنِ النَّبِيِّتَيْنِ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ رَأَيْتُ شَفَتِي

(١) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨١ وترجمة

الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٧٩.

رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» عَلَى هَاتَيْنِ الشَّقَتَيْنِ يُقْبَلُهُمَا، ثُمَّ انْفَضَّ الشَّيْخُ يَبْكِي.

فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: أَبْكَى اللَّهُ عَيْنَيْكَ [يَا عَدُوَّ اللَّهِ]، فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرَفْتَ، وَذَهَبَ عَقْلُكَ لَضَرَبْتُ عُقْكَ.

قَالَ: فَتَهَضَّ فَخَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ سَمِعَتْ النَّاسُ يَقُولُونَ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ قَوْلًا لَوْ سَمِعَهُ ابْنُ زِيَادٍ لَقَتَلَهُ.

قَالَ: فَقُلْتُ: مَا قَالَ؟

قَالُوا: مَرَّ بِنَا وَهُوَ يَقُولُ: مَلِكٌ عَبْدٌ عَبْدًا، فَاتَّخَذَهُمْ ثُلَدًا^(١)، أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ الْعَبِيدُ بَعْدَ الْيَوْمِ، قَتَلْتُمْ ابْنَ فَاطِمَةَ، وَأَمَرْتُمْ ابْنَ مَرْجَانَةَ، فَهُوَ يَقْتُلُ خِيَارَكُمْ، وَيَسْتَعْبِدُ شِرَارَكُمْ، فَرَضِيئُكُمْ بِالذِّلِّ، فَبَعْدًا لِمَنْ رَضِيَ بِالذِّلِّ^(٢).

(١) التلید: ما وُلِدَ عند غيرك ثم اشتريته صغيراً فثبت عندك. راجع: تاج العروس ج ٤ ص ٣٦٩ مادة «تلد».

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٥٦ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٤٩ وأنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٢ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢١٤ والكمال في التاريخ ج ٤ ص ٨١ وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٨ و (ط دار الكتاب العربي) ج ٢ ص ٢١ و ج ٥ ص ٣٨١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٤٥ والبدایة والنهاية ج ٨ ص ١٩٠ و (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٠٧ كلها نحوه، وراجع: الأخبار الطوال ص ٢٥٩ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣١٠ وذكر هذا المضمون إلى قوله: «فَتَهَضَّ فَخَرَجَ». والإرشاد ج ٢

٢ - عن زيد بن أرقم: كُنْتُ عِنْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَأَتَى بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَأَخَذَ قَضِيْبًا، فَجَعَلَ يَفْتُرُ بِهِ عَن شَفَقَتِهِ^(١)، فَلَمْ أَرَ تَغْرًا كَانَ أَحْسَنَ مِنْهُ كَأَنَّهُ الدُّرُّ، فَلَمْ أَمْلِكْ أَنْ رَفَعْتُ صَوْتِي بِالْبُكَاءِ.

فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ؟

فُلْتُ: يُبْكِينِي مَا رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»، رَأَيْتُهُ يَمَسُّ مَوْضِعَ هَذَا الْقَضِيْبِ، وَيَلْتِمُهُ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ^(٢).

٣ - عن حزام بن عثمان: جِيءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» إِلَى

ص ١١٤ وإعلام الورى ج ١ ص ٤٧١ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٧٥ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٦ وراجع: جواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩١ وراجع: الأمالي للطوسي ص ٢٥٢ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٦٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤١ ص ٣٦٥ وج ٦٢ ص ٨٥ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٨١ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٨٣ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢٤١ والدرجات الرفيعة ص ٤٥٢ والمنظم ج ٥ ص ٣٤١ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٩١ والدر النظيم ص ٥٦٠ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٦٤ ونفس الرحمن ص ١٩٠.

(١) أي يكشف به عن شفتيه حتى تبدو أسنانه. راجع: النهاية ج ٣ ص ٤٢٧ «فرر».

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٢٣٦ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص ٣٨١ و ٣٨٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٩ ص ٤١٠ وج ٣٣ ص ٦٧٨ عن مختصر تاريخ مدينة دمشق (ط دمشق) ج ٧ ص ١٥٢.

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ تَنَائِيَهُ بِقَضِيبٍ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: مَا أَحْسَنَ ثَغَرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَكَانَ قَدْ أَجْلَسَ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ.

فَقَالَ: نَحْ قَضِيبُكَ، أَتَضَعُهُ مَوْضِعاً طَالَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ» يَلْتَمُهُ؟

فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ: إِنَّكَ قَدْ خَرَفْتَ.

فَوَثَّبَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ عَنِ السَّرِيرِ، وَلَصِقَ بِالْأَرْضِ، وَقَالَ: أَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ» وَالْحَسَنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» عَلَى فَخْذِهِ الْيُمْنَى، وَيَدُهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِهِ، وَالْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» عَلَى فَخْذِهِ الْيُسْرَى، وَيَدُهُ الْيُسْرَى عَلَى رَأْسِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكُمَا وَصَالِحَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَكَيْفَ كَانَ حِفْظُكَ لَوَدِيعَةَ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ» إِنْ كُنْتَ مُؤْمِناً؟! (١).

(١) شرح الأخبار ج ٣ ص ١٧٠ وراجع: مثير الأحزان ص ٩٢ و (ط) المكتبة الحيدرية) ص ٧٢ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٨ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٨٥ والرد على المتعصب العنيد ص ٤٢ و ٤٣ والصواعق المحرقة ص ١٩٨ وتذكرة الخواص ج ٢ ص ١٨٤ و (ط) النجف) ص ٢٥٧ والثلاثة الأخيرة نقلاً عن أبي الدنيا نحوه. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٢٣٦ وأسد الغابة ج ٢ ص ٢١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٣٩ والمعجم الكبير ج ٥ ص ٢٣٤ و ١٨٥ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٤ وراجع:

ونقول:**إيضاحات:**

انفضخ: الشيء الأجوف إذا انفتح. والمراد هنا: انفجر باكياً.

التلد: المال القديم.

يفتر عن شفتيه: أي يكشف به عنهما، لكي تبدو أسنانه.

لكن العبارة هنا غير سليمة، فإن قوله: عن شفتيه تفيد: أنه يريد أن يكشف عنهما، لا عن الأسنان .

هكذا يتصرف الوضع:

إن من يكون وضيعاً في حسبه، مطعوناً في نسبه، يعيش عقد الحقارة والمهانة، ويجد في كل نظرة توجه إليه معنى الريب والشك، والازدراء، - إن من يكون كذلك - يصير حريصاً على التطاول على أهل الشرف والنبل، والسعي لإنزالهم عن مقاماتهم، وابتذال شخصياتهم، وتوهين أمرهم، وإظهار أنه فوقهم، وأقوى منهم، وأن مقامه أعلى من مقامهم..

وما فعله ابن زياد من وضع قدمه على في الحسين «عليه السلام»، ومن ضرب ثناياه «عليه السلام» بالقضيب، وغير ذلك، شاهد صدق على ما نقول.

الخرف المزعوم:

وقد تقدم قول ابن زياد لزيد: إنك شيخ قد خرفت، لمجرد بكائه حين رأى ابن زياد ينتهك حرمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أهل بيته. وكذلك حين وصفه زيد بأنه عدو الله.

ولم نعرف السبب في حكمه عليه بالخرف، مع أن ما صدر من زيد هو من أدلة استقامته، وكمال عقله، وسلامة منطقته، وحسن فهمه للأمور، ودليل غيرته على الحق وأهله.

إلا إذا كانت الموازين قد انقلبت، وأصبح الباطل حقاً، والحق باطلاً، والقبيح حسناً، والحسن قبيحاً..

هل كان زيد بن أرقم أعمى؟!:

ونذكروا: أن علياً «عليه السلام»، نشد الناس في مسجد الكوفة على سماع حديث: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، من النبي «صلى الله عليه وآله»، فشهد له به اثنا عشر بديراً.

قال زيد بن أرقم: وكنت في من سمع ذلك، فكتمته، فذهب الله ببصري، وكان يتندم على ما فاتته من الشهادة، ويستغفر»^(١).

(١) الإرشاد للمفيد ص ٣٥٢ والخرائج والجرائح ج ١ ص ٢٠٨ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٩٦ و ٢٠٠ وج ٤١ ص ٢٠٥ وج ٤٢ ص ١٤٨ وخلاصة عباة الأنوار ج ٧ ص ٢٠٩ وج ٩ ص ٢٤ والدرجات الرفيعة ص ٤٥٠ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ١٧٥ وكشف الغمة ج ١

وعند المعتزلي: «وأمسك زيد بن أرقم، فلم يشهد - وكان يعلمها - فدعا علي «عليه السلام» عليه بذهاب البصر، فعمي»^(١).

وقال: «..وكان ممن أنكر عليه ذلك اليوم: زيد بن أرقم، فدعا عليه بالعمى، فكف بصره»^(٢).

وقد يؤيد ذلك: ما روي، من أن علياً «عليه السلام» عاد زيد بن أرقم. «فلما دخل عليه قال: مرحباً يا أمير المؤمنين عائداً، وهو علينا عاتب.

فقال «عليه السلام»: إن ذلك لم يكن يمنعني من عيادتك، إنه من عاد مريضاً الخ.»^(٣).

والظاهر: أنه «عليه السلام» قد دعا على البراء بن عازب بالعمى، لنفس السبب، وبنفس المناسبة^(٤).

ص ٢٨٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٣٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٣٢٠ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٠١.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٧٤ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٠٠ وغاية المرام ج ١ ص ٣٠١ و ٣٠٢ وكشف المهم في طريق خبر غدير خم ص ١٥١ ونفس الرحمن ص ١٩٠ ودلائل الصدق ج ٦ ص ٣٨٩.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج ٣٤ ص ٢٨٨.

(٣) دعائم الإسلام ج ١ ص ٢١٨ ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٨٠ وبحار الأنوار ج ٧٨ ص ٢٢٨.

(٤) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص ٤٤ و (مؤسسة آل البيت لإحياء

ويناقش في هذا:

أولاً: بأن ظاهر سيرة زيد بن أرقم، والروايات التي رويت عنه: أنه قد عاد إلى الاستقامة، كما ذكره صاحب قاموس الرجال في ترجمته في كتابه ج ٤.

ثانياً: بأن الرواية لم تذكر الوقت الذي حصل فيه العمى لزيد، فلعله لحقه في آخر عمره، فيكون حصول العمى استجابة لدعاء علي، وكرامة له «عليه السلام»، وليكفر عن ذنب كتمانته الحق..

وربما يكون قد أعطي هذه الفسحة الطويلة، لأن الله تعالى علم صدق التوبة، وصحة الندامة. فعقوبته بهذا المقدار كانت كافية.

وقد يحاول البعض تسجيل مؤاخذه على زيد وغيره، بحضورهم مجلس ابن زياد، وجلوس زيد مع ابن زياد على السرير، بعد كتمانته الحق في حديث المناشدة.

ونجيب:

إن أولئك الجبارين كانوا يفرضون على الناس المرموقين حضور مجالسهم، لأن ذلك يؤثر في انقياد العامة لهم، ويشهد لذلك: أن أبا برزة الأسلمي (نضلة بن عبید) حين سأله ابن زياد عن حاله مع الحسين «عليه السلام».

التراث) ج ١ ص ٢٤٧ وراجع: بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢١٣ والدرجات الرفيعة ص ٤٥٣.

أجابه بقوله: الحسين يشفع له جده محمد «صلى الله عليه وآله»، ويشفع لك زياد.

فقال له ابن زياد: اخرج. لولا ما جعلت لك لضربت - والله - عنقك. فلما بلغ باب الدار قال: لئن لم تغد علي وترح لأضربن عنقك!!^(١).

أتبكي لفتح الله؟!:

إن الغريب في الأمر: أن يعتبر عبيد الله بن زياد قتل الإمام الحسين «عليه السلام»، وأهل بيته، وأصحابه وسبي عياله فتحاً إلهياً..

فهو إذن ومن معه، مثابون على هذه الجرائم، وهم مجاهدون في سبيل الله، وحري بالناس كلهم، لا بزيد بن أرقم فقط: أن يفرحوا ويحتفلوا، لا أن يحزنوا ويبكوا، وإذا كانت أهدافهم من قتل الحسين «عليه السلام»، ومن معه هي الانتقام من رسول الله «صلى الله عليه وآله» وطمس معالم الدين، وتضييع الحق، وتكريس الباطل، فإن هذه الأهداف لم يحققها الله تعالى لهم. بل الذي تحقق هو العكس، فقد انفضح أمر بني أمية، وظهرت جرأتهم على الله، واستهتارهم برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنهم يريدون الانتقام لقتلهم، الذين قتلوا على الشرك في بدر.

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٤٩ و ٥٠ وراجع: الحقائق الوردية ج ١ ص ١٢٣.

كما أن ما يدَّعونه لأنفسهم، من غيرة وشهامة، وخلق كريم، وغير ذلك قد أظهرت الوقائع: أنهم لا يملكون ولو ذرة منه.
يفلقن هاماً من رجال أعزة:

وقد تحدثنا في موضع سابق: عن أن ابن زياد كان يكذب ويخدع الناس بقوله: إن الحسين «عليه السلام»، ومن قتل معه في كربلاء كانوا أعزة عليه، وعلى سائر من هم وراءه ومعه..
كما أنه قد كذب وافترى على الحسين وأهل بيته وصحبه، حين زعم: أنهم أعق وأظلم.
ولكنه صدق على رغم أنفه بإقراره على نفسه، وعلى سائر فريقه: بأنهم عاقون وظالمون.
يقتل خياركم، ويستعبد شرراكم:

إن زيد بن أرقم قد ألمح هنا إلى أمر أثبتته التجارب، وأكدته الوقائع، فإن الرجل الوضيع، وصاحب النفس الشريرة، يتعامل مع الآخرين بشراسة واستعلاء، ويريد فرض إرادته على الآخرين بتجبر وبطش وهمجية وعنجهية.

فإذا طلب من الأخيار: أن ينفذوا أوامره، فلن يجد لديهم الاستجابة لجميع ما يطلبه منهم، فإنهم إنما يطيعونه فيما فيه رضى الله، دون ما هو معصية وإجرام، وهذا ما لا يتحملة منهم هؤلاء الفجرة، فيبادرون إلى البطش بهم، والتخلص منهم، متوهمين أن ذلك يحفظ هيبتهم، ويقوي

حكمهم وسلطانهم.

وأما الأشرار أمثال ابن زياد، فسيجدهم يسارعون إلى طاعته، ويكونون رهن إشارته، فيتخذهم عبيداً له، لا يرى لهم قيمة، إلا بالمقدار الذي يلبون فيه حاجاته، وينفذون أوامره، فإن وجد منهم أي تلكؤ، أو ضعف تخلص منهم أيضاً بالطريقة التي يتخلص بها الجبابرة من العبيد الأذلاء.

فحياة الأشرار مع أمثال يزيد وابن زياد تكون حياة ذل في الدنيا، وخزي وعذاب وخسران في الآخرة.

أما الأبرار، فلا يعطيهم الجبارون فرصة للحياة في الدنيا، ويكون لهم النجاة والفوز، والعزة في الآخرة.

وهذا ما أشير إليه في قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكُمَا وَصَالِحَ الْمُؤْمِنِينَ»، لأن صالح المؤمنين هم الذين يحفظون الأمانة، ولا سيما إذا كانت هذه الأمانة هي خيار الخلق، وهدايتهم، وأبرارهم وعلمائهم، وأهل الفضل والتقوى فيهم.

أنس.. وابن زياد:

١ - عن أنس بن مالك قال: شهدت عبيد الله بن زياد، حيث أتى برأس الحسين «عليه السلام»، قال: فجعل ينكت بقضيب معه على أسنانه، ويقول: إن كان لحسن الثغر.

قال: فقلت: والله لأسوءنك. فقلت: أما إني رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقبل موضع قضيبك من فيه^(١).

٢ - عن أنس بن مالك: كنت عند ابن زياد، فجاء برأس الحسين، فجعل يقول^(٢) بقضيب له في أنفه ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً.
قال: قلت: أما إنه كان من أشبههم برسول الله «صلى الله عليه

(١) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج ٥ ص ١٦٠ عن الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٢ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٨٠ والمعجم الكبير ج ٣ ص ١٢٥ ومسند أبي يعلى ج ٤ ص ١٠٨ و (نشر دار المأمون للتراث) ج ٧ ص ٦١ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣١٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٤٥ ومثير الأحرار ص ٩١ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٢ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٨. وراجع: العوالم، الإمام الحسين ص ٣٨٥ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٥ والكامل لابن عدي ج ٥ ص ١٩٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٢٣٥ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦٣٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٠٧ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص ٣٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٩ ص ٤١٠ وج ٢٢ ص ٢٤ وذخائر العقبى ص ١٢٦.

(٢) العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال، وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول: قال بيده. راجع: النهاية ج ٤ ص ١٢٤ مادة «قول».

واله». وفي نص البخاري: «قال في حسنه شيئاً»^(١).

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ١٦٠ عن مصادر كثيرة نذكرها، ونضيف عليها غيرها، فنقول: راجع: سنن الترمذي ج ٥ ص ٤٥٩ الرقم ٣٧٧٨ و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٣٢٥ الرقم ٣٨٦٧ والمعجم الكبير ج ٣ ص ١٢٥ الرقم ٢٨٧٩ وتهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٠٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٢٦ و ١٢٧ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٤٥ نحوه، وكنز العمال ج ١٣ ص ٦٥٤ و ٦٧٣ الرقم ٣٧٦٦٠ و ٣٧٧١٨ نقلاً عن أبي نعيم؛ والأمالى للشجري ج ١ ص ١٩٣ والحدائق الوردية ج ١ ص ١٢٣ نحوه.

وراجع: أنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢٢٢ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٨٠ و ٢٨١ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ ومطالب السؤل ص ٣٧٨ وينايع المودة ج ٣ ص ١٠ وراجع: مسند أبي يعلى ج ٥ ص ٢٢٨ وج ٧ ص ٦١ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٢٩ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٩٤ وموارد الظمان ص ٥٥٤ و (ط دار الثقافة العربية) ج ٧ ص ٢٠٠ و ٢٠١ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦٣٢ وتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ١٩١ و ١٩٢ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٩٩ وفتح الباري (المقدمة) ص ٤٧٤ وج ٧ ص ٩٤ و (ط دار المعرفة) ص ٧٥ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢٤١ وذخائر العقبى ج ٢ ص ٦٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٤١٧ وج ١٩ ص ٢٧٥ وج ٢٧ ص ٣٢ و ٣٣ و ٣٦ و ٣٧.

وراجع: صحيح البخاري ج ٣ ص ١٣٧٠ الرقم ٣٥٣٨ و ٣٧٤٨ ومسند أحمد ج ٤ ص ٥٢٠ الرقم ١٣٧٥٠ وج ٢١ ص ٢٨٥ وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٦ عن

ونقول:

أولاً: لعل أنس بن مالك لم يجتمع مع زيد بن أرقم عند ابن زياد، فيبدو: أنه قد دخل على ابن زياد قبل زيد بن أرقم، أو دخل عليه بعد خروج زيد. فرآه يفعل نفس ما فعله أمام زيد، فاعترض عليه أنس بمثل ما اعترض عليه زيد.

ولكن لهجة أنس كانت أخف، فلم يواجهه عبيد الله بنفس الخشونة التي واجه بها زيد بن أرقم.

ثانياً: يبدو: أن ابن زياد «لعنه الله» لم يكن قد رأى الإمام الحسين «عليه السلام» قبل ذلك، ففاجأه ما رآه من جمال رباني وجسماني، وبهاء ورواء، وصفاء إنساني..

ولعل السبب في تعجب ابن زياد من حسن الإمام «عليه السلام»: أن أهل الجاهلية، وأكثر الناس في ذلك الزمان لم يعتادوا على رؤية الجمال الخارق، والحسن الفائق، فكان يبدو لهم غريباً ومستهجناً.

ولعل من أسباب قلة الجمال فيهم، عدا الوراثة للسّمات غير المرغوب فيها، لأنها غالباً ما تتأثر بظلمات النفوس، المتأثرة بالمآثم

محمّد بن سيرين، عن أنس، والردّ على المتعصّب العنيد ص ٤١ عن محمّد بن سيرين، والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٠ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ والعمدة ص ٣٩٦ الرقم ٧٩٨ وكشف الغمّة ج ٢ ص ٢٢٣.

التي يتعاطونها - لعل السبب :- أنهم يعيشون في محيط صعب، يرزح تحت وطأة حرارة الشمس نهاراً، ولسعة البرد ليلاً، بالإضافة إلى عسف الرياح التي تحمل الأتربة والأوبئة، وسواها، فتلفح بها وجوههم، وتنهك أجسادهم..

وإن لم يكن لها أثر ظاهر على الناحية الجمالية، ولكن الانغماس في المعاصي والمآثم، وما تتركه ظلمات القلب والنفس، وما تحدثه من تشويهاات روحية، ومن آثار في التكوين وغيره يضع عوائق أمام ظهور الغضارة والنضارة، ويؤثر على السلامة العامة، وعلى الناحية الجمالية، بنحو أو بآخر.

ثالثاً: ذكرنا في موضع سابق من هذا الكتاب: أن ابن زياد حين تحدث عن دهشته مما يراه من حسن الإمام الحسين «عليه السلام» إنما أراد صرف الأنظار عن الجريمة التي بكت لها السماوات والأرض، وأن يقلل من أهميتها، علماً بأن الحديث عن حسن الإمام إنما هو حديث عن أمر قد انتهى، ولم يعد يشكل خطراً بزعم ابن زياد.

رابعاً: لقد كان ابن زياد يرى أن جواب أنس له غير حميد، ولا سديد، لأن حقد ابن زياد، ومن وراءه على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أعظم وأشد، فلم يكن ابن زياد ليسعد بأن يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله» أجمل الخلق وأكملهم، وأعلمهم وأفضلهم. بل ذلك يحرق قلبه، ويقض مضجعه. فكيف إذا كان الذي قتله هو أشبه

الناس برسول الله، فإن هذا أمر قد يكون له أثره البالغ على الناس، وإشاعته ستكون مضرة بمصلحتهم.

خامساً: يلاحظ: أن رواية البخاري قد حاولت التخفيف من وهج قول ابن زياد عن جمال الإمام، ثم التأثير السلبي على إجابة أنس، لتصبح باهتة، وغير ذات أثر.

سادساً: يبدو: أن إجابة أنس أيضاً قد تعرضت لبعض التصرف السهوي أو العمدي من بعض الرواة.. فقد ذكر: أن أنساً قال: كان (من) أشبههم برسول الله «صلى الله عليه وآله». فقد جعل الحسين «عليه السلام» واحداً من مجموعة تشبه رسول الله «صلى الله عليه وآله». وكان في ضمن هذه المجموعة، مجموعة أخرى أشد شبهاً برسول الله «صلى الله عليه وآله»، والحسين «عليه السلام» كان واحداً من هذه المجموعة، كما قالوا.

ويمكن تصور هذا على أساس ما روي من شبه جعفر الطيار وعلي الأكبر، والإمام الحسن «عليه السلام».. وربما غيرهم، فيكون الحسين «عليه السلام» من أشبههم برسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو أشبههم به.

وبذلك يكون هذا الراوي قد خفف من وقع إجابة أنس، ولم يعد لها الأثر المطلوب.

مع أننا قد قدمنا أوائل كتابنا هذا: أن ثمة نصوصاً تقول: إنه «عليه السلام» كان أشبه الناس برسول الله «صلى الله عليه وآله». فراجع ما

ذكرناه في كتابنا هذا ج ٢ ص ٣٣٠.

وقد صرح أنس: بأنه «عليه السلام» كان أشبههم برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليس فيه كلمة «من»^(١).

(١) راجع: صحيح البخاري، فضائل أصحاب النبي، باب ٢٢ (ط دار سحنون، ودار الدعوة، وط دار الفكر) ج ٤ ص ٢١٦ ومسند أحمد ج ٣ ص ٢٦١ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢٥ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢٤٠ و ٢٤١ وفتح الباري (المقدمة) ص ٤٧٥ وج ٦ ص ٤١١ وج ٧ ص ٧٥ وتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ١٩١ و ١٩٢ ومسند أبي يعلى ج ٥ ص ٢٢٨ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٢٩ وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ج ٣ ص ٢٧٥ وموارد الظمان ج ٧ ص ٢٠١ وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٠ وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ج ٦ ص ٢٥٧٧ ومرآة الجنان وعبرة اليقظان ج ١ ص ١٠٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٠٦ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٢١ والعمدة لابن البطريق ص ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٤٠١ و ٤٠٤ ومطالب السؤل ص ٣٧٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٧ ص ٣٢ و ٣٣ وج ٣٣ ص ٧٠١ وذخائر العقبى ص ١٢٨ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٣٠ والآحاد والمثاني ج ١ ص ٣٠٧ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٩٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٠.

الفصل الخامس:

زينب والسجاد في مواجهة ابن زياد..

زينب وابن زياد:

قد جرت بين زينب «عليها السلام» وبين ابن زياد مساجلة معروفة، نقلها الرواة والمؤرخون، وفي نقولاتهم تقديم وتأخير، واختصار وحذف، ونحن نذكر منها ما هو أجمع وأعم، فنقول:

عن حميد بن مسلم: لَمَّا دُخِلَ بِرَأْسِ حُسَيْنٍ «عليه السلام» وصبيانه وأخواته ونسائه على عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، لَبَسَتْ زَيْنَبُ ابْنَةُ فَاطِمَةَ «عليها السلام» أَرْدَلَ ثِيَابِهَا، وَتَنَكَّرَتْ، وَحَقَّتْ بِهَا إِمَاؤُهَا، فَلَمَّا دَخَلَتْ جَلَسَتْ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ: مَنْ هَذِهِ الْجَالِسَةُ؟
فَلَمْ تُكَلِّمُهُ، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ لَا تُكَلِّمُهُ.

فَقَالَ بَعْضُ إِمَائِهَا [في الفتوح: رجل من أصحابه]: هَذِهِ زَيْنَبُ ابْنَةُ فَاطِمَةَ «عليها السلام».

قَالَ: فَقَالَ لَهَا عُبَيْدُ اللَّهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَحَكُمْ وَقَتَّلَكُمْ، وَأَكْذَبَ أَحَدُوتَكُمْ!
[في رواية الصدوق: أحاديثكم].

فَقَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِمُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله» وَطَهَّرَنَا

تطهيراً، لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر. [أضاف ابن طاووس وهو غيرنا].

قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ [في الملهوف: بأخيك وأهل بيتك].

قالت: [في الملهوف: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء القوم] كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ، فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيِّجَمُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَتَحَاجُّونَ إِلَيْهِ، وَتَخَاصِمُونَ عِنْدَهُ. [في الملهوف وغيره: تحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، هبلتك (تكلتك) أمك يا ابن مرجانة].

قال: فغضب ابن زياد، واستشاط.

قال: فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير! إنما هي امرأة، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقتها؟ إنها لا تؤاخذ بقول، ولا تلام على خطئ.

فقال لها ابن زياد: قد أشقى [في الملهوف: شفا] الله نفسي من طاغيتك [الحسين]، والعصاة المردة من أهل بيتك.

قال: فبكت، ثم قالت: لعمرى لقد قتلت كهلي، وأبرت أهلي، وقطعت فرعي، واجتنتت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفت.

فقال لها عبيد الله: هذه شجاعة [في الملهوف وغيره: سجاعة]، قد لعمرى كان أبوك شاعراً شجاعاً [سجاعاً].

قالت: ما للمرأة والشجاعة [والسجاعة]! إن لي عن الشجاعة

لشُعْلًا، وَلَكِنَّ نَفْثِي مَا أَقُولُ^(١).

لماذا تنكرت زينب؟!:

تقدم أنهم يقولون: إن زينب ابنة فاطمة «عليهما السلام» حين أدخلت هي وصبيان الحسين، وأخواته ونساؤه على ابن زياد لبست أرذل ثيابها، وتنكرت، فجلست، وحفت بها إمائها.

فقال ابن زياد: من هذه الجالسة؟!!

فلم تجبه، فكرر ذلك ثلاث مرات، فقال: بعض إمائها، أو رجل من أصحابه: هذه زينب ابنة فاطمة الخ..

وفي هذه الفقرات مواضع عديدة تحتاج إلى بيان، فلاحظ ما

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ١٦١ - ١٦٢ عن: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٥٧ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٤٩ و ٣٥٠ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٢ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٣ والإرشاد ج ٢ ص ١١٥ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٧١ وكشف الغمّة ج ٢ ص ٢٧٥ كلها نحوه. وراجع: تذكرة الخواصّ ص ٢٥٨ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٦٤ و ٤٦٥. واختصر في الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨١. وذكر ما يقرب مما ذكرناه في المصادر التالية: الملهوف ص ٢٠٠ ومثير الأحران ص ٩٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٠ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٥ والعوالم، الإمام الحسين ص ٣٨٣ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٤٢ وراجع: الحقائق الوردية ج ١ ص ١٢٤.

يلي:

إن أول ما يواجه الباحث، هو السؤال عن سبب تنكرها «عليها السلام» في هذا الموقف بالذات.

ويمكن أن يجاب:

أولاً: الإعلان بأن القيمة للإنسان إنما هي بإنسانيته، وفضله، وتقواه، وعلمه، وخلقه، ودينه، واستقامته، وليست بماله، وجيوشه، وسلطانه، ولا هي بجهله، وقلة دينه، وبهيميته، وعدوانيته، وفقدانه للأخلاق النبيلة، وشيطنته، وبعده عن الله، وما إلى ذلك.

فرذالة الثوب لا توجب المهانة، ولا الاستهانة، ما لم تسر إلى رذالة الروح، وموت القلب، وفقدان المعاني الإنسانية..

ثانياً: قال بعض الإخوة: قد تكون «عليها السلام» أرادت أن لا يعرفها، ولا يقصدها بالكلام، فتضطر إلى مخاطبة مثله.

غير أننا نضيف إلى ذلك: أن الأمور إذا جرت على غير هذا النحو، فسيكون لها معه مقاماً آخر.. وهذا ما حصل بالفعل، حيث إنها بهذا الأسلوب قد أذلت ذلك الطاغية، الذي اعتاد من الناس أن يراقبوا قسما ت وجهه، وكل حركة، وإشارة منه، حتى لا تفوتهم تلبية شيء من أغراضه، ولمحاته، وإشاراته.. ولكن زينب قد أثارت فضوله بتنكرها، واستدرجت لديه الشعور بالحاجة إلى السؤال عنها.

وأكدت له ولغيره أنها غير مكترثة لرغباته، ولا منقادة لمطالبه، الأمر الذي أظهر أنها لا تقيم له كبير وزن، إلا إذا أراد أن يقهرها

بسلطانه.

وفي هذا إلماح: إلى أنه لا يملك قدرة ذاتية، بل هو يستعير قدرات أخرى لدى غيره، ويوظفها في تلبية حاجاته، والوصول إلى غاياته. دون أن يعني ذلك: أنه محق في ذلك، فلعله ظالم فيه وآثم..

ثالثاً: إنها «عليها السلام» حين دخلت جلست، ولم تنتظر الأذن من أحد، ولم تر نفسها أسيرة أو سبية له، ولا شعرت أن له الحق أن يطالبها بالخضوع الذليل، كما هو حال الأسارى والسبائا.

لقد أكدت السيدة زينب هذا المعنى، ورسخته حين سألت عنها ثلاث مرات، فلم تكلمه، وإنما أجابته إحدى إمائها.. ولعل بعض أعوانه قد شارك في إيصال فحوى كلام تلك الأمة إليه.

ولعله لأجل ذلك روي تارة: أن إحدى إماء زينب أجابته، وروي أخرى: أن الجواب جاءه من رجل من أصحابه..

ولعله أجابه على سبيل الحدس والتخمين، للعلم بأن زينب «عليها السلام» لم تكن تبرز وجهها للرجال. ولا كان بإمكان أي رجل كان - من غير محارمها - أن يدل عليها.

رابعاً: يلاحظ: أن حميد بن مسلم الراوي لما جرى قد وصف زينب: بأنها ابنة فاطمة.. كما أن من عرفها لابن زياد، قد أطلق عليها نفس هذا الوصف، أعني «زينب ابنة فاطمة» «عليهما السلام».

ويدلنا هذا:

ألف: على لؤم حميد بن مسلم، الذي كان في جملة من حارب الحسين «عليه السلام» في كربلاء.. ثم كان في جملة من حمل الرأس الشريف إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة بأمر من عمر بن سعد، وها هو هنا يدلنا أيضاً على أنه ممن يتعمدون أن لا ينسبوا أبناء علي «عليه السلام» وبناته إليه، وذلك بغضاً منهم لعلي «عليه السلام». كما يدل عليه قولهم للإمام الحسين «عليه السلام» يوم عاشوراء: «نقاتلك بغضاً منا لأبيك».

إلا أن يزعم زاعم: أن حميد بن مسلم أراد أن يجاري ابن زياد ويداريه في التعابير التي يستعملها.. وحميد هذا كان أكثر ملائمة، وألين عريكة من سائر جلاوزة ابن زياد وابن سعد. ولكن هذا الإدعاء يحتاج إلى شاهد ودليل، ولا دليل إلا ما رواه حميد نفسه عن نفسه.

ب: إنه بالرغم من كل شيء، فإن من مصلحة بني أمية أن لا يلفتوا الأنظار إلى صلة الحسين «عليه السلام» بالنبي «صلى الله عليه وآله»، لأن ذلك يؤلب الناس ضدهم، ويزيد النقمة عليهم.

ولكن بغضهم لعلي «عليه السلام»، وخذلان الله تعالى لهم قد دعاهم إلى نسبة الحسين «عليه السلام» إلى فاطمة «عليها السلام».

ثم تمادى بهم هذا الخذلان حتى صاروا يصرحون - كما فعل يزيد، وابن زياد، ومروان - بأن ما فعلوه بالحسين «عليه السلام» وأهل بيته كان انتقاماً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي قتل أسلافهم في حرب بدر. وقديماً قيل: على نفسها جنت براقش.

إنما يفتضح الفاسق:

رأينا في مواقف زينب، ومن معها كيف أن المرأة المسلمة المؤمنة الواعية تعيش روح العزة ومعنى الكرامة، ونعمة الوعي، وشموخ الإباء في أقصى مداها، وأجل وأسمى معانيها.

وهي تشعر بالرضا والسعادة بالحق والهدى الذي هي عليه، ولو ظن الناس أنها في منتهى التعاسة، والضعف، وفي أشد حالات الحرمان، مع أنها تسبح في آفاق الرضا والسعادة، والسكينة والأمل..

وما ذلك، إلا لأنها تعرف: أن المرأة الخاوية من الإيمان، والوعي، والمفعمة بالغرور، وبالمظاهر الممسوسة بجنون الأهواء، وطغيان الشهوات، مسكونة بالذل والهوان، تعيش معنى التعاسة، والضياع والشقاء، والخبية، والخوف من المصير في أقصى الدرجات، وأشد الحالات.

وقد تجلت هذه المعاني الجليلة والجميلة التي تعيشها المرأة المؤمنة في هؤلاء النسوة، اللاتي يظن الناس أنهن مسبيات، مع أن السبي والأسر، والضعف والهوان، والذل، كان من نصيب نفس آسريهن.

والحوار الذي جرى بينهن وبين عبيد الله بن زياد في الكوفة، ثم بينهن وبين يزيد في الشام شاهد صدق على ذلك، فقد أجابت زينب «عليها السلام» على قول ابن زياد: الحمد لله الذي فضحك، وأكذب ألدوتكم، بقولها: «الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد «صلى الله عليه وآله»، وطهرنا من الرجز تطهيراً، وإنما يفتضح الفاسق، ويكذب

الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله».

وحين قال لها ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟

قالت له: «مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلاً، هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ، فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَتَحَاجُّونَ إِلَيْهِ، وَتُخَاصِمُونَ عِنْدَهُ، فَانْظُرْ لِمَنِ الْفَلَجُ يَوْمَئِذٍ، هَبْلَتَكَ (تَكَلَّتْكَ) أُمُّكَ يَا ابْنَ مَرْجَانَةٍ».

وهذه أجوبة صاعقة للطغاة، مذلة للجبارين، وهي أيضاً رصينة، وواضحة، وقريبة المأخذ، وقوية المبنى والمعنى.

أما خطبة زينب في الشام وتقريعها الشديد ليزيد، فهي واسطة العقد، ودرة التاج في المواقف التي لا تبارى، ولا تجارى.

ويكفي منها قولها ليزيد:

«وَلَيْنَ جَرَّتْ عَلَيَّ الدَّوَاهِي مُخَاطَبَتُكَ، إِنِّي لَأُسْتَصْغِرُ قُدْرَكَ، وَأُسْتَعْظِمُ تَقْرِيعَكَ، وَأُسْتَكَثِرُ تَوْبِيخَكَ، لَكِنِ الْعُيُونُ عَبْرَى، وَالصُّدُورُ حَرَى».

أَلَا فَالْعَجَبَ كُلَّ الْعَجَبِ، لِقَتْلِ حِزْبِ اللَّهِ الثُّجَبَاءِ، بِحِزْبِ الشَّيْطَانِ الطُّلَقَاءِ».

وتقول له: «وَتَهْتَفُ بِأَشْيَاخِكَ، زَعَمْتَ أَنَّكَ تُنَادِيهِمْ، فَلْتَرِدَنَّ وَشَيْكاً مُورَدَهُمْ، وَلْتَوَدِّنَنَّ أَنَّكَ شُلِّلْتَ وَبَكِمْتَ، وَلَمْ تُكُنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ».

وتقول له: «فوالله! مَا قَرَيْتَ إِلَّا جِلْدَكَ، وَلَا حَزَزْتَ إِلَّا لَحْمَكَ الخ..».

والأمر المهم هنا: أن قسوة الكلام لم توجب الخروج عن جادة الصواب والحق، والشرع، والإنصاف، ولو في حرف واحد..

بينما نجد ابن زياد ويزيد، وسواهما من رموز وأركان الظلم والتعدي يشتمون، ويتهمون، ويغضبون، ويتهددون.

فابن زياد يصف زينب «عليها السلام»: بأنها سَجَّاعة. ويصف أباهما علياً «عليه السلام»: بأنه كان سَجَّاعاً أيضاً، كما يستشيط غضباً، فيتدخل عمرو بن حريث لصدّه عن القيام بتصرف عدواني على زينب، أو غيرها من النساء قد يسبب لهم مشكلة مع الناس، أو يوجب وقوع الخلاف فيما بينهم أنفسهم..

هل هذا صنع الله؟!:

وقد رأينا: أن عبيد الله بن زياد يدّعي: أن ما فعلوه بالحسين «عليه السلام»، وأهل بيته وأصحابه في يوم عاشوراء، كان من فعل الله تعالى (أو صنعه) بهم.

وسيأتي: أنه حين سأل عن الإمام زين العابدين، فأخبروه بأنه علي بن الحسين «عليهما السلام» قال: «أَلَيْسَ قَدْ قَتَلَ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ؟»

فقال له السجّاد: «كَانَ لِي أَخٌ يُسَمَّى عَلِيًّا قَتَلَهُ النَّاسُ».

فقال له ابن زياد: بَلِ اللَّهُ قَتَلَهُ..

فلاحظ: أن محاولات نسبة هذه الأفعال التي ارتكبوها إلى الله

سبحانه إنما هي محاولات لتسويق عقيدة الجبر الإلهي في الناس.. هذه العقيدة التي كانت لدى أهل الجاهلية، ثم لما جاء الإسلام حاربها، وفندها، وألغاه.

ثم عاد الحكام المناوئون، لأهل البيت إلى التشبث بها، وترويجها بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بتشجيع من علماء أهل الكتاب، ولاسيما اليهود منهم.

إن هذه العقيدة الباطلة التي تطعن في عدل الله، وفي قدرته، وفي غير ذلك من صفاته، تصد الناس عن مقاومة إرادات الحكام، وتمنعهم من الاعتراض عليهم، وتخفف من حدة مؤاخذاتهم بذنوبهم، وتسهل عليهم استعباد الناس، وإذلالهم وقهرهم، واضطهادهم.

بل تجعل الناس يتنافسون في طاعتهم، حتى في معصية الله، لأن كل ما يفعلونه لا ذنب لهم فيه، لأن الله هو الذي يفعل ويتصرف، ومن يعارض ما يريده الله يخرج من دين الله تبارك وتعالى، ومن يفعل ذلك ينبغي أن يعاقب، بل يجب أن يقتل.

رد زينب والسجاد :

وقد بادرت «عليها السلام» إلى الرد على هذه الأباطيل، فبينت: أن الله تعالى لم يقتل الحسين ولا أهل بيته وأصحابه، ولا سبى عياله.. بل ما فعله هو أنه أمر الحسين «عليه السلام» ومن معه بالدفاع عن أنفسهم، كما أنه قد أمرهم ونهاهم، وحملهم مسؤوليات، كما حمل

الأمة كلها، فكان الحسين «عليه السلام» وأصحابه هم الذين اختاروا أن يطيعوا أوامرهم، وأن يعملوا بنواهيهم، فأمرُوا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، ودعوا الناس إلى الحق، والخير، وسعوا في إصلاح أمورهم. وكذلك الحال بالنسبة للفريق الآخر، فإن القاتل للحسين «عليه السلام»، وأصحابه، وأهل بيته، ومن سبى عياله، هو ابن زياد وجيشه بأمر من يزيد، وهم الذين اختاروا هذا الفعل من دون إكراه ولا إجبار.

وهذا ما سيسأل الله عنه هؤلاء في يوم القيامة، وسوف يحتج الله عليهم بما لا يجدون له جواباً. وسيكون الفلج لمن قُتِلَ وظلِمَ على القاتل والظالم.

كما أن الإمام السجاد «عليه السلام» قد رد على ما ادَّعاه ابن زياد، من أن الله هو الذي قتل أخاه علياً، فقال له «عليه السلام»: كان لي أخ يسمى علياً، قتله الناس.

ففاعل القتل إذن ليس هو الله، بل الفاعل هو الناس. فلما أعاد ابن زياد قوله: بل الله قتله..

بادر الإمام «عليه السلام» إلى التفريق بين أمرين:

أولهما: أن العبد هو الذي يختار الفعل، ويبادر إليه، ويتصرف فيه. فيضرب الضربة التي من شأنها أن تجرح، أو تقتل، أو تقطع يداً أو رجلاً.

الثاني: إن حصول الأثر، وهو نفس القطع، والجرح والموت هو ما

تقتضيه السنة التي وضعها الله في مخلوقاته، فقد أخذ الله على نفسه أنه إذا اختار إنسان أن يضرب أخاه بسيفه على يده أن تقطع يده. وإن ضربه على عنقه أن ينفصل رأسه عن جسده، وتتحقق الوفاة بخروج الروح..

ولأجل ذلك استشهد الإمام «عليه السلام» هنا بقوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى النَّفْسَ حِينَ مَوْتِهَا)^(١).

ولكن القاتل يبقى مديوناً للمقتول، كما قال «عليه السلام»: «فَقَتَلْتُمُوهُ، وَإِنَّ لَهُ مَطْلًا مِنْكُمْ». والمطل: هو الدين والحق الذي يطالبكم به. وهذه المطالبة ستكون في الآخرة.

تشقي ابن زياد:

وقد قال ابن زياد لزينب «عليها السلام»: «قَدْ أَشْفَى (شفأ) الله نفسي من طَاغِيَتِكَ، وَالْعُصَاةِ الْمَرْدَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ».

وهذا كلام موبوء وسقيم..

فأولاً: ما معنى أن يصف ابن زياد الإمام الحسين «عليه السلام»: بأنه طاغية؟! وكيف ومتى ظهر هذا الطغيان منه «صلوات الله وسلامه عليه»؟!!

إن القوة العسكرية والحاكمية، والأموال والرجال، والسلطة، لم تكن في يد الحسين «عليه السلام»، بل كانت طيلة سنوات كثيرة في

(١) الآية ٤٢ من سورة الزمر.

يد بني أمية.

ثانياً: ما معنى أن يصف ابن زياد سائر أهل بيت زينب بأنهم عصاة؟! والحال أنهم لم يسلوا سيفاً، ولا أعلنوا حرباً أو قتالاً.. بل إن رأس العصاة، وزعيم الطغاة هو يزيد وحزبه، فقد قلنا: إنهم قد بايعوا الحسين «عليه السلام»، ثم نكثوا^(١)، وإنما بايعه يزيد تطبيقاً للشرائط التي وردت في كتاب الصلح مع الإمام الحسن «عليه السلام»، ومن هذه الشرائط: أن الأمر بعد معاوية للحسن «عليه السلام»، ثم للحسين^(٢).

وصرح عبد الله بن الزبير: بأن يزيد قد بايع الحسين حينئذ، انسجماً مع هذا الشرط، ثم نقض بيعته، ونكث عهده، وقد قال تعالى: (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) (٣) «(٤)».

هل اختطف السجاد X؟!:

وقالوا:

وَمَضَوْا بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَكْبَرِ، الْبَاقِي مِنْ وَلَدِهِ، وَهُوَ شَدِيدُ الْعِلَّةِ... وقال عليُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»: فَمَا فَهْمُهُ وَعَقْلُهُ مَعَ

(١) راجع: الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٤٩.

(٢) عمدة الطالب ص ٦٧.

(٣) الآية ١٠ من سورة الفتح.

(٤) راجع: الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٤٩.

عَلَّتِي وَشِدَّتْهَا: أَنَّهُ أَتَى بِي إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِي أَعْرَضَ عَنِّي، فَبَقِيتُ مَطْرُوحًا لِمَا بِي.

فَأَتَانِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَاحْتَمَلَنِي، فَمَضَى بِي وَهُوَ يَبْكِي، وَقَالَ لِي: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ فَكُنْ عِنْدِي.

وَمَضَى بِي إِلَى رَحْلِهِ، وَأَكْرَمَ نُزُلِي، وَكَانَ كُلُّمَا نَظَرَ إِلَيَّ يَبْكِي. فَكُنْتُ أَقُولُ فِي نَفْسِي: إِنْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ، فَعِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ.

فَلَمَّا صِرْنَا إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ سَأَلَ عَنِّي. فَقِيلَ: قَدْ تُرِكَ.

وطلبتُ فلم أوجد، فَنَادَى مُنَادٍ: مَنْ وَجَدَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ، فَلْيَأْتِ بِهِ وَلَهُ ثَلَاثُمِئَةِ دِرْهَمٍ.

فَدَخَلَ عَلَيَّ الرَّجُلُ الَّذِي كُنْتُ عِنْدَهُ - وَهُوَ يَبْكِي - وَجَعَلَ يَرِبِطُ يَدَيَّ إِلَى عُنُقِي، وَيَقُولُ: أَخَافُ عَلَى نَفْسِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنْ سَتَرْتُكَ عَنْهُمْ أَنْ يَقْتُلُونِي.

فَدَفَعَنِي إِلَيْهِمْ مَرْبُوطًا، وَأَخَذَ الثَّلَاثُمِئَةَ دِرْهَمَ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ. وَمُضِيَ بِي إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ اللَّعِينِ، فَلَمَّا صِرْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: مَنْ أَنْتَ؟

قُلْتُ: أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ.

قَالَ: أَوَلَمْ يَقْتُلِ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ؟

قُلْتُ: كَانَ أَخِي، وَقَدْ قَتَلَهُ النَّاسُ.

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ: بَلْ قَتَلَهُ اللَّهُ.

فَقَالَ عَلِيٌّ «عليه السلام»: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) (١).

فَأَمَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ اللَّعِينُ بِقَتْلِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام».

فَصَاحَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ «عليها السلام»: يَا ابْنَ زِيَادٍ، حَسْبُكَ مِنْ دِمَائِنَا، أَنَا شِدُّكَ اللَّهُ إِنْ قَتَلْتَهُ إِلَّا قَتَلْتَنِي مَعَهُ (٢).

ونقول:

إن هذا الحديث لا يمكن قبوله، وذلك لما يلي:

أولاً: إن الإمام السجاد «عليه السلام» يعتبر الملاذ والملجأ، والمفرج للسيايا، فمن الطبيعي أن يبقى موضع رصد ورقابة منهن، وتفقد له

(١) الآية ٤٢ من سورة الزمر.

(٢) شرح الأخبار ج ٣ ص ١٥٦ و ١٥٧ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٠ والطبقات الكبرى (ط صادر) ج ٥ ص ٢١٢ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٧٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤١ ص ٣٦٧ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤٥ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج ٣ ص ٢٥٦ عن المنتظم، ومرآة الزمان لابن الجوزي، وتذكرة الخواص ج ٢ ص ١٨٧ و ١٨٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٦٤ وج ٢٨ ص ١٨٩ عن مختصر تاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج ١٧ ص ٢٣١.

بالنظرات، في مسيرهم من كربلاء إلى الكوفة، ثم في سائر المنازل، ثم اللجوء إليه، والاعتماد عليه عند كل طارئ.

ثانياً: تقدمت الرواية التي تصرح: بأن عمر بن سعد قد وظّف أناساً لحفظ السبايا فور وقوعهن في أيديهم، فكيف تركوه، ولم يلتفتوا إلى عدم وجوده معهم؟!!

ثالثاً: لو أن الإمام السجاد «عليه السلام» قد فُقدَ حتى احتاج عبيد الله بن زياد إلى أن يضع جائزة مقدارها ثلاث مئة درهم لمن يكشف أمره ويأتي به، لكان ينبغي قبل ذلك: أن يطالب به الحرس الموكل بالسبايا، ويعاقبهم على تقصيرهم.

وما تحديد الجائزة بثلاث مئة درهم إلا لأجل تحقيره «عليه السلام»، والخط من مقامه.

رابعاً: صرحت الروايات: بأن الإمام السجاد «عليه السلام» قد خطب بأهل الكوفة فور وروده إليها. والرواية نفسها تصرح: بأنه حين وُجدَ وجيء به، وأدخل على ابن زياد سأله عن اسمه، فأخبره، فقال: أولم يقتل الله علياً؟! الخ..

يضاف إلى ذلك: ما ذكرته الروايات، من أن السجاد «عليه السلام» كان مع الركب حين مروا بهم على جثث الشهداء في كربلاء. فكيف يكون ابن سعد لم يكثرث له حين جيء به إليه، فاستولى عليه ذلك الشامي؟! وكيف لم يكثرث له ابن سعد، وهو كما تقول الروايات: أراد أن يقتله حين وقع في يده؟!!

خامساً: كيف يكون ابن زياد قد رصد ثلاث مئة درهم لمن وجدَ الإمام «عليه السلام»، ثم تصرح الرواية نفسها: بأنه حين وجدَ الإمام «عليه السلام»، وجيء به إليه سأله عن اسمه، فأخبره، فقال ابن زياد: أولم يقتل الله علياً؟!!

سادساً: ذكرت الرواية: أنه حين قال له ابن زياد: أولم يقتل الله علياً؟! أجابه الإمام «عليه السلام»: كان لي أخ يقال له: علي، أكبر مني قتله الناس.

مع أننا قلنا فيما سبق:

ألف: إن كلمة أكبر مني لم يثبت وجودها، فهناك نصوص أخرى تقول: كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس، أو نحو ذلك. وبعض نصوص نفس رواية الاختطاف لم تصرح بأن الشهيد كان أكبر سناً من الإمام «عليه السلام»^(١).

ب: إن الأقوال في تاريخ ولادة السجاد «عليه السلام» وولادة علي الأكبر الشهيد في كربلاء، لا تحتم أن يكون الشهيد «عليه السلام» أكبر من الإمام زين العابدين «عليه السلام».

وقد تحدثنا عن ذلك في موضع سابق من هذا الكتاب.

ج: قلنا: إننا نرجح أن يكون الإمام السجاد هو الأكبر سناً، وإنما وصف علي الشهيد بالأكبر لتمييزه عن أخ له أصغر منه اسمه علي

(١) راجع على سبيل المثال: شرح الأخبار ج ٣ ص ١٥٦ و ١٥٧.

أيضاً.

د: إن القاضي النعمان يصرح: بأن الإمام السجاد «عليه السلام» هو علي الأكبر، ثم يورد قضية الاختطاف مباشرة، فكيف نوفق بين هذا وبين وصف رواية الطبقات علياً الشهيد: بأنه أكبر سناً من الإمام «عليه السلام»؟!!

سابعاً: ظاهر رواية اختطاف الإمام «عليه السلام»: أن اختطافه قد حصل في كربلاء.. وأن ذلك الرجل قد أخفاه عنده حتى وصلوا إلى الكوفة، وأدخلوا السبايا على ابن زياد، ولم يكن الإمام السجاد معهم. فكيف لم يتفقده ابن سعد، ولا الحرس الذي وكلهم بالسبايا، ولا السبايا، ولا أحد من الناس. ثم كان الذي اكتشف أنه مفقود هو ابن زياد نفسه؟! ولماذا لم يلم ابن زياد عمر بن سعد، ولا أحداً آخر على هذا التقصير، ولم يعاقبهم على تفريطهم؟!!

ثامناً: هل تريد الرواية أن توهم الناس: أن الإمام زين العابدين «عليه السلام» كان ساذجاً إلى حد أنه انخدع بذلك الشامي، وظن أنه من أهل الخير؟!!

مع علمه بأنه قد شارك في الحرب عليه، وعلى أبيه، وأهل بيته، وأصحابه، ولعله قد قتل منهم أيضاً، في حين أنه كان يمكنه أن ينحاز إلى الحق، ويلتحق بالإمام الحسين «عليه السلام»..

أو كان بإمكانه أن ينسلّ من ذلك الجيش إلى مناطق يأمن فيها على

نفسه، ولا يشارك في القتال، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك!!

تاسعاً: صرحت الرواية: بأن ابن زياد حين جيء بالسبايا، والأسارى سأل عن الإمام السجاد، فقليل له: ترك، وطلب فلم يوجد الخ..

ثم تقول الرواية: إنه «عليه السلام» لما صار بين يدي ابن زياد، قال له: من أنت؟!

فقال: أنا علي بن الحسين.

قال: أولم يقتل الله علي بن الحسين؟! الخ..

عاشراً: إذا كان ذلك الشامي قد أخذ الإمام السجاد إلى رحله في كربلاء، فقد ينبغي أن نعرف كيف نقله بعد ذلك إلى الكوفة؟! وهل أخفاه عن أعين جيش ابن سعد كله، فلم يكتشفه أحد منهم؟! أم أن الناس كانوا يرونه معه، ولا يعرفونه؟! أو كانوا يعرفونه، ولا يهتمون لشأنه؟! وإذا كانوا يعرفونه، فلماذا لم يخبروا ابن سعد بأمره؟!

حادي عشر: ورد في الرواية - كما في نقل ابن الجوزي - قوله «عليه السلام»: «فبينما أنا ذات يوم عنده». وهذا يدل على أنه «عليه السلام» قد بقي عند ذلك الشامي أياماً.. مع أن الأمر في مدة مسيرهم إلى الكوفة، ثم خروجهم منها إلى الشام لم يدم أكثر من ثلاثة أيام على أبعد تقدير.

وسيأتي توضيح ذلك في موارده إن شاء الله تعالى.

الإمام السجاد × وابن زياد:

وقالوا في بيان ما جرى في مجلس ابن زياد ما يلي:

١ - عُرِضَ عَلَيْهِ [أي على ابن زياد] عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟!
فَقَالَ: أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ.
فَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ قَتَلَ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ؟!
فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ «عليه السلام»: قَدْ كَانَ لِي أَخٌ يُسَمَّى عَلِيًّا قَتَلَهُ النَّاسُ.

فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: بَلِ اللَّهُ قَتَلَهُ.
فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»: (اللَّهُ يَتَوَفَّى النَّفْسَ حِينَ مَوْتِهَا) (١).

فَغَضِبَ ابْنُ زِيَادٍ وَقَالَ: وَبِكَ جُرْأَةٌ لِحَوَابِي؟ وَفِيكَ بَقِيَّةٌ لِلرَّدِّ عَلَيَّ! اذْهَبُوا بِهِ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ.

فَتَعَلَّقَتْ بِهِ زَيْنَبُ عَمَّتُهُ، وَقَالَتْ: يَا ابْنَ زِيَادٍ، حَسْبُكَ مِنْ دِمَائِنَا، وَاعْتَنَقَتْهُ وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا أَفَارُقُهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَأَقْتُلْنِي مَعَهُ.

فَنَظَرَ ابْنُ زِيَادٍ إِلَيْهَا وَإِلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: عَجَبًا لِلرَّحِمِ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأُظْنُّهَا وَدَّتْ أَنِّي قَتَلْتُهَا مَعَهُ، دَعَوْهُ فَإِنِّي أَرَاهُ لَمَّا بِهِ.

(١) الآية ٤٢ من سورة الزمر.

ثُمَّ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْقَصْرِ (١).

وفي الفتوح: [فقال ابن زياد لبعض جلسائه: ويحك! خذه إليك فأظنه قد أدرك الحلم!]

قال: فأخذه مري (أو مروان) بن معاذ الأحمر، فنحاه ناحية، ثم كشف عنه، فإذا هو أنبت، فردّه إلى عبيد الله بن زياد وقال: نعم، أصلح الله الأمير! قد أدرك.

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١١٦ وراجع: مثير الأحرار ص ٩١ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧١ وإعلام الوری ج ١ ص ٤٧٢ وكشف الغمّة ج ٢ ص ٢٧٨ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١١٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٨٤ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٢ نحوه، وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٧٥ وراجع ص ٣٩٠ والدر النظيم ص ٥٦١ ونور الثقلين (تفسير) ج ٤ ص ٤٨٧ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١١ ص ٣٠٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٢١٢ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٧٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٣٦٧ والمنتخب من ذيل المذيل ص ١١٩ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤٥ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٦٤ وج ٢٨ ص ١٩٠ عن مختصر تاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج ١٧ ص ٢٣١ وشرح الأخبار ج ٣ ص ١٥٧ و ٢٥١ والتمهيد لابن عبد البر ج ٩ ص ١٥٧ والبدایة والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢١٠ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ٢٩٢ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٦٥.

واختصره في أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٢ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢٠٦ وراجع: الملهورف ص ٢٠٢ و (نشر أنوار الهدى) ص ٩٥ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٣ نحوه. واختصره بصورة أشد في المصادر التالية: تهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٢٩ وتهذيب التهذيب ج ١ ص ٥٩٢ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٠٩ والأمالی للشجري ج ١ ص ١٩٢.

فقال: خذه إليك الآن، فاضرب عنقه!

قال: فتعلقت به عمته زينب بنت علي الخ..].

زاد ابن طاووس وغيره قوله: فَسَمِعَتْ بِهِ عَمَّتُهُ زَيْنَبُ «عليها السلام»، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ زِيَادٍ، إِنَّكَ لَمْ تُبْقِ مِنَّا أَحَدًا، فَإِنْ كُنْتَ عَزَمْتَ عَلَى قَتْلِهِ فَأَقْتُلْنِي مَعَهُ.

فَقَالَ عَلِيُّ لِعَمَّتِهِ: أَسْكُتِي يَا عَمَّةُ حَتَّى أَكَلِمَهُ.

ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَبِالْقَتْلِ تُهَدِّدُنِي يَا ابْنَ زِيَادٍ؟! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَتْلَ لَنَا عَادَةٌ وَكِرَامَتَنَا الشَّهَادَةُ^(١).

[زاد في الفتوح: فسكت ابن زياد ثم قال: أخرجوهم عني! وأنزلهم في دارك إلى جانب المسجد الأعظم].

٢ - عن هشام: لَمَّا حَضَرَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْغَرُ «عليه السلام» مَعَ النِّسَاءِ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ وَكَانَ مَرِيضًا، قَالَ ابْنُ زِيَادٍ: كَيْفَ سَلِمَ هَذَا؟! أَقْتُلُوهُ.

فَصَاحَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ «عليها السلام»: يَا ابْنَ زِيَادٍ حَسْبُكَ مِنْ دِمَائِنَا، إِنْ قَتَلْتَهُ، فَأَقْتُلْنِي مَعَهُ، وَقَالَ عَلِيُّ «عليه السلام»: يَا ابْنَ زِيَادٍ

(١) الملهوف ص ٢٠٢ و (نشر أنوار الهدى) ص ٩٥ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٨٤ والفتوح لابن أعم ج ٥ ص ١٢٣ وراجع: مقاتل الطالبين ص ١١٩ وموسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ١٦٦.

إِنْ كُنْتَ قَاتِلِي فَأَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ النِّسْوَةِ، مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُنَّ قَرَابَةٌ يَكُونُ مَعَهُنَّ؟!

فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: أَنْتَ وَذَاكَ^(١).

ونقول:

هنا أمور تحتاج إلى بيان، فلاحظ ما يلي:

الكشف عن السجاد: هل أدرك:

تقدم: أن ابن زياد أمر ابن معاذ أن يكشف على الإمام السجاد «عليه السلام»، ليرى إن كان قد أدرك أم لا، فنحاه ناحية، فكشف عنه، فشهد لابن زياد أنه قد أدرك..

وهذا كلام غير صحيح:

أولاً: لما تقدم، من أن عمر الإمام السجاد «عليه السلام» كان ثلاثة وعشرين عاماً، إن لم نقل: ثمانية وعشرين على قول الواقدي^(٢).

وعن الواقدي أيضاً: قتل الحسين بن علي وعلي بن الحسين ابن

(١) تذكرة الخواص (ط النجف) ص ٢٥٨.

(٢) راجع: سر السلسلة العلوية ص ٣١ وعمدة الطالب ص ١٩٣ وراجع: شرح الأخبار ج ٣ ص ٢٦٦.

خمس وعشرين سنة^(١).

ثانياً: روى أبو نصر البخاري: أن هذه القصة قد حصلت لعمر بن الحسن «عليه السلام»، فإنه كان في جملة الأسارى، وكان عمره إحدى عشرة سنة، وقالوا: إن ذلك حصل له مع يزيد بن معاوية، فلما نظروا إليه وجدوا أنه لم يدرك^(٢).

الجبر الإلهي عند بني أمية:

تحدثنا قبل هذه الفقرة عن محاولة ابن زياد إلقاء مسؤولية قتل الحسين «عليه السلام» وأصحابه وأهل بيته، على مقام العزة الإلهية، وذلك من منطلق عقيدة الجبر الإلهي التي تعجب الطغاة والظالمين، لأنها تبرئهم من جرائمهم وموبقاتهم، وتلقي بمسؤولية أعمالهم على الذات الإلهية والعياذ بالله.

وقد ظهر لجوء بني أمية إلى هذه العقيدة في مناسبات كثيرة. ومنها: سعيهم لجعل حكمهم من أساسه قائماً ومستنداً إلى الفعل والجبر الإلهي..

إذن، فلا يمكن لأحد مقاومته، ومن يحاول ذلك، فإنما يعتدي على مقام العزة الإلهية، فلا بد من قتله، كائناً من كان، حتى لو كان إماماً أو

(١) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٤١ ص ٣٦٦ وتهذيب الكمال ج ٢٠ ص ٤٠٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٨ ص ١٦ عنه.

(٢) راجع: سر السلسلة العلوية ص ٣١ و ٣٢.

نبياً أيضاً.

كما أنهم قد استفادوا من هذه العقيدة في تبرير استئثارهم بأموال الأمة، واعتبار أنفسهم مسيرين بيد الله فيما يرتبط بالعطاء والمنع.. وهذا موضوع طويل، وله شواهد كثيرة، وقد ذكرنا بعضها وطائفة من المصادر في كتابنا: «أهل البيت في آية التطهير»، وفي غيره من كتبنا..

موقف زينب سديد ورشيد:

قد يتوهم البعض: أن ما فعلته زينب «عليها السلام» لدفع القتل عن الإمام السجاد «عليه السلام» لم يأت وفق الضوابط الشرعية، فإنه لا يحق لأحد أن يقدم نفسه للقتل إذا تعرض شخص آخر لهذا الخطر، بل عليه أن يحفظ نفسه، ويجنبها خطراً كهذا..

ويجاب:

أولاً: إن زينب «عليها السلام» قد تحركت لدفع القتل عن ابن أخيها باتجاهين، رأت أنهما كافيان في دفع ابن زياد عن تصميمه الأرعن هذا:

أولهما: أنها تعلم أن قتل المرأة بهذه الطريقة، وفي مثل هذا الظرف، غير مستساغ حتى عند أهل الجاهلية، وقد تقدم عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأن مجرد تناول المرأة بالهراوة كان قبيحاً، وممجوراً عند أهل الجاهلية، ومن فعل شيئاً من ذلك يعير به هو وولده من بعده.

وقد أكد عمرو بن حريث لابن زياد: أنه ليس من مصلحتهم قتل النساء. وهم يعتبرون عمرو بن حريث من نُصَّاحهم، وأَعوانهم، وذوي الرأي والتجربة فيهم.

وربما رأى ابن زياد: أن عدم التفاته لنصيحة عمرو بن حريث قد يضر بمصلحته، أو بموقعه ومكانته عند يزيد. ويضيع من يده بعض ما كان يتوخاه من مكاسب، وولايات، ونفوذ كلمة لدى ذلك الطاغية.

الثاني: إن زينب أرادت أن توجد جواً عاطفياً، يحمل معه معاني جليلة، مثل:

- ١ - معنى الفداء.
 - ٢ - معنى الوفاء.
 - ٣ - معنى التضامن والتكافل.
 - ٤ - معنى العاطفة الصادقة.
 - ٥ - معنى القيمة، وأن الحياة إنما تصبح ذات قيمة ومعنى بأبرارها، وخيارها، وعلمائها، وأعلام الهداية، والفضل والتقوى فيها.
- ثانياً:** إن كل أحد يعلم: أن قتل السجاد «عليه السلام» لمجرد أنه بيّن أمراً يخالف ما يريد ابن زياد الترويج له.. إن هذا القتل لن يكون مستساغاً، ولا مرضياً لدى أكثر الناس، الذين سمعوا عن علي «عليه السلام»، الكثير من البيانات العقائدية والتوضيحات التي لا تترك عذراً لمعتذر. ولا سيما إذا استند «عليه السلام» في بيانه لهذا الأمر

إلى أدلة عقلية، ونصوص قرآنية، ونصوص نبوية، وسواها.

فإذا انضم إلى ذلك: كون المرأة التي يراد قتلها امرأة جليلة، وعالمة، وذات مكانة خاصة في الأمة، لمجرد أنها اقترحت أن تقتل تضامناً مع ابن أخيها، من دون ذنب جناه هو، أو جنته هي، أو خطأ اقترفته. مع إدراك الناس كلهم: أنها إنما فعلت ذلك بدافع العاطفة الصادقة، وشعورها بضرورة المنع من قتل الأبرياء، وحمائيتهم من فتك الجبابرة المتعطشين لدمائهم من دون أي سبب، بل لمجرد أنهم دلوا ذلك الطاغية على خطأ ارتكبه، وأراد أن يوظفه بطريقة خاطئة في خدمة أهوائه، وتبرير جرائمه، ويجعل منه ذريعة للإيغال في إجرامه، والتوحش في فتكه.

إن قتل امرأة هذه صفاتها، وهذا حالها بدم بارد في مجلس عام، جيء بها إليه على أنها سبية، وهي أيضاً امرأة مثكولة بأحب الناس إليها، ولم تكن بصدد قتال، ولم تهاجم أحداً بسيف ولا بسوط، ولا حتى بكلمة شنيعة، بل كان كلامها مفعماً بالطهر، والحق.. إن قتل هذه المرأة سوف يهز وجدان الناس، ويثير كوامن صدورهم، ويهتك الستر الذي يتلفع به الجناة، لإخفاء قبح جرائمهم.

القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة:

وذكر ابن طاووس وغيره: أن الإمام السجاد «عليه السلام» قال لابن زياد في هذا الموقف بالذات: «أبألقتل تهددني يا ابن زياد؟! أما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا من الله الشهادة».

فقد تضمنت هذه الكلمة أموراً، نذكر منها ما يلي:

١ - إن يفرغ «عليه السلام» جهد ابن زياد من محتواه: بإفهامه أن قتله لا يحقق له ما يريد، وأن توهم ابن زياد ذلك.. لأن ذلك القتل إن كان للتشفي، فإن التشفي إنما يكون إذا كان من يراد التشفي به يشعر بالخسارة، أو بمزيد من الألم والحسرة على فراق الدنيا. وهذا غير متحقق هنا، فإنه إذا كان القتل عادة لأهل البيت، فهو يعني: أنه لا يصل إلى الحد الذي يصلح لأن يتشفى به ابن زياد منهم.

٢ - إذا كان المقتول يرى: أن ما سيناله بعد هذا القتل من نعيم، وكرامة، يجعل من قتله ربحاً، لا خسارة فيه، فهو لا يحقق التشفي المطلوب، بل هو يعطي نتيجة معاكسة تماماً لمطلوب ابن زياد، لأن أكثر ما يؤلم المقتول من عامة الناس: إذا كان يرى أن فقدانه الحياة معناه: حرمانه من لذائذها، وأنه سيواجه بعد الموت المجهول، ويتعرض للأهوال والشدائد.

ولكن المقتول من أهل البيت، لا يرى ذلك. بل هو يعتقد: أن ما يقدم عليه بالموت هو الأفضل والأمثل، فلماذا يتحسر على الحياة الدنيا؟!!

وهذا بعض ما ألمحت إليه كلمة الإمام «عليه السلام» لابن زياد، والتي جاءت بصيغة الاستفهام الإنكاري للدلالة على خطأه الفاحش في تقديره للأمور، وفي معرفته بها، فقد قال له: «أما علمت أن القتل لنا عادة؟!»!

٣ - إن مما يزيد في إظهار بوار وعقم ما يقدم عليه ابن زياد: أنه لم يعلم: أن الأئمة من أهل البيت «عليهم السلام» يرون أن الشهادة كرامة لهم، لكن لا من أهل الدنيا وعشاقها، ولا من الطغاة الجبارين، وأئمة الضلال، بل الكرامة من الله تبارك وتعالى، فهم يأنسون بالشهادة، وفيها تزداد سعادتهم، وتظهر كرامتهم.

وإنما هم يحتملون مكثهم في الحياة الدنيا من أجل التهيئة لنعيم الآخرة، والفوز بمباهجها، والقيام بما يجب القيام به، فإن قَرَضَ الطغاة عليهم الاستشهاد، وكان لا بد لهم من مواجهته، فإن ذلك لا ينقص من سعادتهم، بل يكون من أسباب زيادتها. فلا مورد للتشفي بقتل الإمام «عليه السلام».

وبك جرأة لجوابي:

ونذكر الإمام السجاد «عليه السلام» لابن زياد: أن الناس هم الذين قتلوا الإمام الحسين «عليه السلام»، فهم المحاسبون والمطالبون بدمه، ثم بيّن له أن الله تعالى لا يتدخل فيما يختاره الناس، بل هو يجري فيهم السنن التي يريد للحياة أن تستمر بها، فمن أورد ضربة قاتلة، فإنه تعالى لا يتدخل لمنع الضربة من الوصول إلى المضروب، وإذا وصلت إليه، فهو تعالى لا يعطل القانون الطبيعي القاضي بحدوث أثر تلك الضربة من ألم، أو جرح، أو قطع، أو قتل، فيحدث الأثر، ثم يحاسب الله تعالى من ضرب وجرح، وقتل.

وهذا بيان لحقيقة ثابتة تدل عليها الآيات والروايات، وترشد إليها

العقول.

فحين لم يجد ابن زياد جواباً لجأ إلى التهديد والوعيد، واستقرس وتتمر، وطغى وتجبر، وقال: «وبك جرأة لجوابي؟! وفيك بقية للرد علي؟! إذهبوا به، فاضربوا عنقه».

فابن زياد يرى: أنه لا يحق للإمام أن يجيبه، ولو كان الجواب لبيان حقيقة إيمانية، بطريقة علمية وموضوعية، وهادئة، بل يريد:

أولاً: أن يفرض هيئته بالقوة والقهر. تحت طائلة ذبح كل من يحاول أن يناقشه في أي أمر كان.

وقد أشارت زينب «عليها السلام» إلى هذا المعنى حين قال لها يزيد: كذبت يا عدوة الله.

فقالت: أمير يشتم ظالماً، ويقهر بسلطانه^(١).

ثانياً: يريد أن يهيمن على الناس الخوف من بطشه، فلا يجدون في أنفسهم الجرأة على جوابه في شيء مما يريد أن يفرضه عليهم، مهما كان تافهاً، أو باطلاً، أو غير معقول ولا مقبول.

ثالثاً: يريد أن يسحق إرادات الناس، من خلال إفراغهم من جميع مكامن القوة فيهم، فيكون وهنهم، وضعفهم، وفقدانهم لأية قوة هو الذي

(١) الأماي للصدوق ص ٢٣١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٥٦ وروضة الواعظين (منشورات الشريف الرضي) ص ١٩٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٩٧.

يقعدهم، ويفرض عليهم عدم الرد عليه..

وهذا هو الغاية في الظلم والعدوان.

فإن الخوف يبقى أمر عارضاً ويبقى مرهوناً بموجباته، فإذا زالت، وحصل الأمن يكون بالإمكان الاستفادة من الطاقة الكامنة، وتحريكها وفق ما يخدم أهدافه، ويفيد في تحريك قضيته في الاتجاه المنتج والبناء..

أما إذا فقد القوة، ولم تبق منها أية بقية تفيد في التحرك، فإن زوال الخوف لا يعيد القوة المفقودة، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

دعوه، فإني أراه لما به:

وبعد أن تعلقت زينب «عليها السلام» بالإمام السجاد، لكي تقتل معه، إن كان لا بد من قتله، ووجد ابن زياد نفسه في موقف محرج له، يحمل معه احتمالات مبهمة، وغير مطمئنة له، حسبما بيّناه، حاول التملص بطريقته الخاصة، فأظهر تعجبه من شدة تعلق زينب «عليها السلام» بالإمام السجاد، زاعماً أن الرحم هي التي حركتها لهذا الموقف.

وكأنه يريد أن لا يلتفت الناس إلى أنها إنما تمارس واجبها الشرعي، والعقلي والإنساني، بالإضافة إلى العاطفي أيضاً، بصدق وإخلاص، وتضحية ووفاء نادر.

ثم أطلق كلمة عامة وغائمة، تحتاج إلى بيان ما أراد منها،

حيث قال:

«..دعوه، فإني أراه لما به».

ثم بادر إلى القيام من مجلسه حتى خرج من القصر. ربما لكي لا تتوالى عليه الإحراجات التي لا قبل له بها.

فيبدو لنا: أنه أراد بقوله: «إني أراه لما به»، أن يظهر أنه يتوقع موته «عليه السلام»، بسبب شدة مرضه، وعظيم مكابדתه لآلامه، وإذا كان ميتاً بمرضه هذا، فلا حاجة إلى قتله..

فلا يكون «لعنه الله» قد انصرف عن قتله «عليه السلام» تكرماً، ولا يكون قد عفا عنه استجابة لعاطفة تحركت لديه. فإن من يحكم على الإمام السجاد بالقتل، لمجرد أنه أجابه في أمر كان قد أخطأ فيه، ليس ممن يحمل معاني ومشاعر وعواطف إنسانية يمكن التعويل عليها. فإن الإرشاد إلى الخطأ ليس ذنباً أصلاً، فضلاً عن أن يكون ذنباً يحتاج إلى عفو، بل هو إحسان وتفضل يستحق عليه الشكر والامتنان..

كيف سلم هذا؟! اقتلوه:

وفي رواية هشام: أن ابن زياد لما رأى الإمام السجاد «عليه السلام» قال: كيف سلم هذا؟! اقتلوه.

فصاحت زينب: يا ابن زياد حسبك من دماننا الخ..

ونقول:

يمكن أن يكون ابن زياد قد أمر بقتل الإمام السجاد «عليه السلام» أكثر من مرة!

لعل إحداها: حين حضر مع النساء إلى مجلسه، فتصدت له زينب.

والثانية: بعد أن حصل الأخذ والرد بين الإمام «عليه السلام» وبين ابن زياد، فأعاد الأمر بقتله، فتصدت له زينب مرة أخرى!! وقال له السجاد «عليه السلام» حينئذٍ: إن كنت قاتلي، فانظر إلى هذه النسوة من بينه وبينهم قرابة يكون معهن. إن هذا يبقى مجرد احتمال، لا نملك ما يثبتته سوى النصوص التي تحدثت عن هذا الأمر وذاك.

ابن زياد، وأم كلثوم:

قال الشيخ الصدوق «رحمه الله» في آخر روايته المطولة عن الإمام الصادق «عليه السلام» ، عن أبيه، عن جده ما يلي:
«وأرسل ابن زياد «لعنه الله» قاصداً إلى أم كلثوم بنت الحسين «عليه السلام» فقال لها: الحمد لله الذي قتل رجالكم، فكيف ترون ما فعل بكم؟

ف قالت: يا ابن زياد، لئن قرّرت عينك بقتل الحسين «عليه السلام»، فطالما قرّرت عين جده «صلى الله عليه وآله» به، وكان يقبله، ويلثم شفّتيه، ويضعه على عاتقه.

يا ابن زياد، أعدّ لجده جواباً، فإنه خصمك غداً»^(١).

ونقول:

هنا عدة أمور يحسن الوقوف عندها، وهي:

بنت الحسين، أو أخته:

١ - إن أول ما لفت نظرنا: قوله في هذه الرواية عن أم كلثوم: إنها بنت الحسين «عليه السلام»، مع أننا لا نعرف للإمام الحسين «عليه السلام» بنتاً بهذا الاسم، ولم يمر معنا: أن هذه الكنية قد أطلقت على أي من بناته «عليه السلام»، وربما كانت كلمة «بنت» مصحفة عن كلمة «أخت» لتقاربهما بالرسم.

٢ - ورد في المقتل المنسوب زوراً لأبي مخنف، وقريب منه ما في كتاب الإسفراييني، حوار بين ابن زياد وأم كلثوم، وهو التالي:

قال الإسفراييني عن ابن زياد:

«ثم قال: أيكم أم كلثوم؟! »

فقالت: ما تريد مني يا عدو الله؟! »

(١) الأُمالي للصدوق ص ٢٢٧ المجلس رقم ٣٠ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٢ وروضة الواعظين (منشورات الشريف الرضي) ص ١٩٠ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ١٧٢ ومستدركات علم رجال الحديث ج ٨ ص ٥٥٨.

فقال: قَبَّحكم الله!

فقالت: يا ابن زياد، وإِثْمًا يَقْبَح الله الفاسق والكاذب، وأنت الكاذب والفاسق، فأبشُر بالنار.

فضحك من قولها وقال: إنْ صرْتُ إلى النار في الآخرة، فقد بلغت مرادي وما أُؤْمَله.

فقالت: يا ويلك! لقد أرويت الأرض من دم أهل البيت «عليهم السلام».

فقال لها: أنتِ شجاعة مثل أبيك، ولولا أنَّك امرأة لضربت عنقك. فقالت: لولا أنَّي شجاعة ما وقفت بين يديك، ينظر إليَّ البرُّ والفاجر، وأنا مهتوكة الخباء، وأخواتي بين يديك من غير غطاء»^(١).

ونقول:

ونحن وإن كنا لا نمنع من أن يكون قد حصل هذا من ابن زياد «لعنه الله» على سبيل الإمعان منه في الأذى لنساء أهل البيت «عليهم السلام». فواجهته بمياسم من نار الحجج القاطعة، ما بقي على صدره وسام خزي، وفوق جبينه شارة ذل وصغار له على مر الأزمان. ولكننا لا نستطيع أن نؤيد وقوع هذا المضمون ما لم ينقل لنا في

(١) نور العين في مشهد الحسين للأسفراييني ص ٤٢ والمقتل المنسوب زوراً إلى أبي مخنف ص ١٦٤.

المصادر الموثوقة والمعتمدة.

ومن المستبعد ما نراه من الجرأة، والتحدي، والقسوة في مخاطبتها له، كما في رواية الإسفراني.

ونحن هنا نؤيد ما جاء في رواية الصدوق، ولا نتجاوزها إلى ما عداها، فليلاحظ ذلك.

هل أحضر ابن زياد أم كلثوم مرة أخرى؟!

ذكرت رواية الصدوق المتقدمة: أن ابن زياد «لعنه الله» أرسل قاصداً إلى أم كلثوم الخ..

والسؤال هنا هو:

ألم تكن أم كلثوم حاضرة في المجلس العام حين جيء بالسبايا إلى ابن زياد؟! وألم تكن تشاهد ما جرى بين زينب، وابن زياد، وبينه وبين الإمام السجاد؟! فلماذا عاد ابن زياد إلى التحرش بها، بإرسال قاصد إليها، حيث أحضرها، وواجهها بكلامه هذا؟!

ويمكن أن يقال في الجواب:

ليس في الرواية: أنه أحضرها، وخاطبها بهذا الخطاب، بل فيها أنه أرسل إليها من يبلغها كلامه هذا، إمعاناً منه بالأذى، وسعيّاً منه في الإذلال، وكسر الهيبة، وإظهار الشماتة.

فأسمعته «عليها السلام» من قوارع القول، وصواب المنطق والحجة، ما أطار لبه، وأوجع قلبه، وألقت به حجراً هشماً أنيابه، وأفقده

صوابه.

ولكن ظاهر قولها في الرواية: يا ابن زياد، لئن قرت عينك الخ..: أنها تخاطبه مباشرة، حيث لم تقل للقاصد: قل له كذا وكذا.. وكذلك الحال بالنسبة للحوار الذي ذكره الإسفراييني، فإنه ظاهر في الحوار المباشر..

وهذا يؤيد: أن يكون قد أحضر أم كلثوم مرة إلى مجلسه ليسمعها ما يؤذيها، ويتشمت بها.

٤ - **نلاحظ:** أن ابن زياد عاد فكرر مقولاته في الجبر الإلهي، التي تحدثنا عنها فيما سبق، ليجعل منها سبيل إدانة للحسين «عليه السلام»، ووسيلة براءة لنفسه ولمن معه..

مع أن الحقيقة: أنه إذا كان هذا فعلاً إلهياً، يدين الإمام الحسين الشهيد المظلوم، ويسمح لابن زياد بإظهار الشماتة، والتفريع.. فإنه يدين أيضاً ابن زياد (القاتل).

وإن كان يبرئ ساحة القاتل، ويلقي بالتبعة على الله، فلا بد أن يكون ذلك نفسه سبباً في براءة المقتول.. إذ لا يمكن أن يكون هناك صيف وشتاء في آن واحد، وتحت سقف واحد. ولا يجوز أن تجر الباء هنا، ولا تجر هناك..

الفصل السادس:

إلى السجن من جديد..

إلى السجن مرة بعد أخرى:

١ - أَمَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بِحَبْسِ مَنْ قُدِمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ بَقِيَّةِ أَهْلِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» مَعَهُ فِي الْقَصْرِ (١).

٢ - عَنْ حَاجِبِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: أَمَرَ [ابْنُ زِيَادٍ] بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» فَعُلِّ، وَحُمِلَ مَعَ النَّسْوَةِ وَالسَّبَايَا إِلَى السَّجْنِ، وَكُنْتُ مَعَهُمْ، فَمَا مَرَرْنَا بِزُقَاقٍ إِلَّا وَجَدْنَاهُ مُلِيَّ رَجَالًا وَنِسَاءً، يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَيَكُونُ.

فَحُبِسُوا فِي سِجْنٍ وَطُبِّقَ عَلَيْهِمْ. وَفِي نَصِّ آخَرٍ: ضَيَّقَ.

ثم ذكرت الرواية ما جرى بين زينب «عليها السلام» وبين ابن زياد، حتى استشاط غضباً، فسكّن منه عمرو بن حريث، ثم تقول الرواية: «فأمر ابن زياد بردهم إلى السجن، وبعث البشائر إلى النواحي بقتل الحسين «عليه السلام»..» (٢).

(١) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٤ والقسم غير المطبوع من طبقات ابن سعد ص ٨١.

(٢) الأمالي للصدوق ص ٢٢٩ الرقم ٢٤٢ وروضة الواعظين ص ٢١٠ و

٣ - أَمَرَ ابْنُ زِيَادٍ بَعْلَىَّ بْنَ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وَأَهْلَ بَيْتِهِ، فَحُمِلُوا إِلَى بَيْتٍ فِي جَنْبِ الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ.

فَقَالَتْ زَيْنَبُ ابْنَةُ عَلِيٍّ: لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْنَا عَرَبِيَّةٌ، إِلَّا أُمٌّ وَلَدٍ أَوْ مَمْلُوكَةٌ؛ فَإِنَّهُمْ سُبِينٌ كَمَا سُبِينَا^(١).

وعلى كل حال، فإن النص المتقدم برقم [٢] يصرح: بأنهم أخرجوا من السجن إلى ابن زياد، ثم أعيدوا إلى السجن بعد انتهاء المجلس.

٤ - عن سعد بن عبيدة: وَجِيءَ بِنِسَائِهِ [أَيَّ بِنِسَاءِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»] وَبَنَاتِهِ وَأَهْلِهِ، وَكَانَ أَحْسَنُ شَيْءٍ صَنَعَهُ أَنْ أَمَرَ لَهُنَّ بِمَنْزِلٍ فِي مَكَانٍ مُعْتَزَلٍ، وَأَجْرَى عَلَيْهِنَّ رِزْقًا، وَأَمَرَ لَهُنَّ بِنَفَقَةٍ وَكِسْوَةٍ^(٢).

٥ - قيل: إِنَّ آلَ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» لَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْكُوفَةِ

(منشورات الشريف الرضي) ص ١٩٠ وفيه «ضيق» بدل «طبق»، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٥٤ الرقم ٣ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٧٥ و ٣٩٥.

(١) الملهوف ص ٢٠٢ و (نشر أنوار الهدى) ص ٩٥ وبحار الأنوار ج ٤٥

ص ١١٨ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٨٥

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٩٣ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٢٩٦ وراجع:

البداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٣ و (ط درا إحياء التراث العربي) ج ٨

ص ١٨٥ وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢٢٦

حَبَسَهُمْ ابْنُ زِيَادٍ، وَأَرْسَلَ إِلَى يَزِيدَ بِالْخَبَرِ، فَبَيَّنَا هُمْ فِي الْحَبْسِ إِذْ سَقَطَ عَلَيْهِمْ حَجَرٌ فِيهِ كِتَابٌ مَرْبُوطٌ، وَفِيهِ:

إِنَّ الْبَرِيدَ سَارَ بِأَمْرِكُمْ إِلَى يَزِيدَ، فَيَصِلُ يَوْمَ كَذَا وَيَعُودُ يَوْمَ كَذَا، فَإِنْ سَمِعْتُمُ الْكَبِيرَ فَأَيِّقُوا بِالْقَتْلِ، وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا تَكْبِيرًا فَهُوَ الْأَمَانُ.

فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ قُدُومِ الْبَرِيدِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، إِذَا حَجَرٌ قَدْ أُلْقِيَ وَفِيهِ كِتَابٌ، يَقُولُ فِيهِ: أَوْصُوا، وَاعْهَدُوا، فَقَدْ قَارَبَ وَصُولُ الْبَرِيدِ.

ثُمَّ جَاءَ الْبَرِيدُ بِأَمْرِ يَزِيدَ بِإِرْسَالِهِمْ إِلَيْهِ^(١).

ونقول:

١ - يبدو لنا: أن ابن زياد قد حبس الأسرى والسبائا عنده بالقصر برهة وجيزة، ريثما يجتمع الناس في مجلسه، ثم أحضرهم إليه، وجرى بينه وبينهم ما جرى، فلما لم يعد يطيقهم أمر بهم إلى الحبس، فحملوا إلى دار في جنب المسجد.

ولعله حين رأى قوة حجتهم، وروائع بيانهم أمر أن يحبسوا في المطبخ. أي في سرداب تحت الأرض.. حتى لا يحاول الناس أن يكلموهم من النوافذ، أو أن يلجوا عليهم، ويتحدثوا معهم.

هذا، إن كان المراد بقوله: «طبق عليهم» هذا المعنى.

وإن كان المراد: أنهم حبسوا في دار إلى جنب المسجد، وضيّق عليهم، فلم يدعوا أحداً يتصل بهم.. كما تدل عليه الرواية الأخرى التي

(١) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٤.

ذكرت «ضيق» بدل «طبق» فإن النتيجة ستكون واحدة على كلا الاحتمالين.

ويبدو لنا: أنهم حين أخرجوا إلى السجن، الذي إلى جانب المسجد قد ساروا بهم إليه من طريق طويل فيه الكثير من الأزقة، لكي يتفرج الناس عليهم..

كما أننا نحتمل أن يكون البيت الذي حملوا إليه كان بعيداً عن المسجد فعلاً.. وأن السجن القريب من المسجد هو الذي دخلوه عند ورودهم إلى الكوفة، وقد طبق أو «ضيق» عليهم، ثم لما حان وقت لقائهم بابن زياد جاؤا بهم إلى القصر، حبسوا فيه برهة يسيرة، ثم أدخلوا إلى المجلس، وجرى فيه ما جرى، ثم أعيدها إلى السجن خارج القصر، ولعله كان بعيداً، فمروا بهم على العديد من الأزقة كما تقدم.

لماذا هذه الإهانات؟!

وقالوا أيضاً:

إن ابن زياد قد أمر بعلي بن الحسين «عليه السلام» فغلّ، وحمل مع النسوة إلى السجن.

والظاهر: أن الهدف من هذا الإجراء هو تحقير وإهانة، وتصغير شأن الإمام «عليه السلام»، ومن معه، وإظهارهم في صورة الأسرى الأذلاء.

ويشهد لما نقول:

أن ابن زياد نفسه قد شهد بأن الخطر يحدق بالإمام «عليه السلام» بسبب مرضه، وقد رآه الناس، وعرفوا أنه يعاني من شدة المرض.. فما الحاجة إلى أن يُغلّ من هذا حاله؟! إلا التلذذ بأذى أهل البيت، والخط من مقامهم، وتصغير شأنهم؟!!

ولو فرضنا: أن الإمام زين العابدين «عليه السلام» قد فكر بالانفلات من الأعداء، فإلى أين يذهب، وإلى من يلجأ في بلد جدد من رجاله عشرات الألوف لحرب وقتل أفضل وأقدس البشر؟!!

ومع من، سوف يشعر بالأمن في بلد يسيطر عليه أعداؤه، ويمسكون بمفاصله، ويمارسون الرقابة على كل حي، بل على كل بيت فيه؟! كما تقدم حين الحديث عما جرى لمسلم بن عقيل..

وقد يشهد لهذه النوايا السيئة، والأهداف الخبيثة التي تدفع إلى مثل هذه التصرفات القبيحة: أنهم حين توجهوا بالإمام وبالسبايا من مجلس ابن زياد إلى السجن ما مروا بزقاق إلا وجدوه ملئ رجالاً ونساءً..

فمن الذي أخبر هؤلاء، وجاء بهم إلى أفواه الأزقة؟! ومن الذي قال لهم: إن هذا الطريق سيكون مسير السبايا فيه؟!!

البشائر إلى النواحي:

وذكرت الرواية المتقدمة برقم [٢]: أن ابن زياد بعد أن رد السبايا إلى السجن «بعث البشائر إلى النواحي بقتل الحسين «عليه

السلام» الخ..».

ونقول:

إن ابن زياد بإرساله البشائر بقتل الحسين «عليه السلام» إلى النواحي إنما ساهم في فضح نفسه، وإدانة سائر بني أمية، ومن هو معهم، وعلى نهجهم، وأوجب هذا الفعل الغبي تعريف الناس بمدى إجرامهم، وابتعادهم عن الدين، والأخلاق، والقيم.

فهو كمن يرسل بطاقة بعيد ميلاده يدعو الناس فيها لشنقه وتشيع جنازته، والمشاركة في دفنه، أو هو كلص يرسل رسالة يدعو فيها الناس إليه للقبض عليه، وقطع يده..

لا يدخلن علينا عريية:

وذكر النص المتقدم برقم [٣]: أن زينب «عليها السلام» قالت: لما أمر بهم إلى السجن: «لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْنَا عَرِيَّةٌ، إِلَّا أُمٌّ وَلَدٍ أَوْ مَمْلُوكَةٌ؛ فَإِنَّهُنَّ سُبَيْنَ كَمَا سُبِينَا».

ونقول:

لقد أوضح أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن العرب كانوا ينفادون لقريش، ويدورون في فلکها. ونقصد بذلك الأعم الأغلب منهم، وكان العرب وقريش في الغالب لا يحبون علياً «عليه السلام»، بل هم يسعون في نقض ما يبرمه، وتقويض ما يحكمه.

ولا ننكر أن ثمة قلة من هؤلاء وأولئك، عرفت الحق، وآثرت أن

تنصره، وتكون معه، وإن كلفها ذلك الكثير من التضحيات.

وقد ذكرنا في كتابنا: علي والخوارج الجزء الأول، وفي كتاب الغدير والمعارضون، وفي غيرهما من كتبنا شذرات عديدة من كلامه «عليه السلام» في حق العرب، وقريش بصورة خاصة، وكان على المنبر يدعو على قريش، ويقول: اللهم اخز قريشاً، فإنها منعني حقي، وغصبتني أمري^(١).

وفي نص آخر: اللهم إني أستعديك على قريش، ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي^(٢).

(١) الغارات للثقي ج ٢ ص ٧٦٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١٩١ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٦٢٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ٣٠٦ والتحفة العسجدية ص ١٤٢.

(٢) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٢ ص ٨٥ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ٤ ص ١٧٥ والغارات للثقي ج ١ ص ٣٠٨ وج ٢ ص ٥٧٠ و ٧٦٧ والمسترشد ص ٤١٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١٧٢ و ١٨٦ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٦٠٥ وج ٣٣ ص ٥٦٩ (طقديم) ج ٨ ص ٦٢١ والمراجعات ص ٣٩٠ والنص والاجتهاد ص ٤٤٤ ونهج السعادة ج ٦ ص ٣٢٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٠٣ وج ٦ ص ٩٦ وج ٩ ص ٣٠٥ والإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٥ و (تحقيق الزيني) ج ١ ص ١٣٤ و (تحقيق الشيرازي) ج ١ ص ١٧٦ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٧٤ فما بعدها.

وقال في رسالته «عليه السلام» لأخيه عقيل: «فإن قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك، اجتمعوا على حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل اليوم، وجهلوا حقي، وجددوا فضلي، ونصبوا لي الحرب، وجدّوا في إطفاء نور الله، اللهم فاجز قريشاً عني بفعالها، فقد قطعت رحمي، وظهرت علي»^(١).

وثمة نصوص كثيرة حول هذا الموضوع ذكرنا شطراً منها في كتابنا الغدير والمعارضون ص ٣٦ - ٤٣.

أما بالنسبة للعرب، فإن النصوص الكثيرة أيضاً تؤكد على أن موقفهم من علي «عليه السلام» كان سلبياً جداً.

فقد ذكر في رسالته لأخيه عقيل - كما في عدد من المصادر :-
«ألا وإن العرب قد أجمعت على حرب أخيك، إجماعها على حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل اليوم الخ...»^(٢).

(١) جواهر المطالب ج ١ ص ٣٦٥ والإمامة والسياسة (بتحقيق الزيني) ج ١ ص ٥٤ و (بتحقيق الشيري) ج ١ ص ٧٥ وراجع: المعيار والموازنة ص ١٨٠ وأنساب الأشراف للبلاذري (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٧٥.

(٢) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ١ ص ٥٤ و (تحقيق الشيري) ج ١ ص ٧٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ١١٩ والغارات ج ٢ ص ٤٣١ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٦٢٢ وج ٣٤ ص ٢٣ و (ط قديم) ج ٨ ص ٦٢١ والدرجات الرفيعة ص ١٥٦ ونهج السعادة ج ٥ ص ٣٠٢ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٥٨٠ والمعيار والموازنة ص ١٨٠ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٥٢٠.

وقد يجد الباحث في قوله «عليه السلام»: «والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها»^(١). إشارة إلى سلبية موقف العرب منه «عليه السلام»..

وقال الأشعث بن قيس لعلي «عليه السلام»، وهو على المنبر: غلبتنا هذه الحمراء على قربك!

قال: فركض على المنبر برجله.

فقال صعصعة: ما لنا ولهذا - يعني الأشعث - ليقولن أمير المؤمنين اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر!!

فقال علي «عليه السلام»: مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ هَؤُلَاءِ الضَّيَاطِرَةِ؟^(٢)، يَمَرِّغُ أَحَدَهُمْ عَلَى فِرَاشِهِ تَمَرِّغَ الْحِمَارِ، وَيَهْجُرُ قَوْمَ لِلذِّكْرِ، فَيَأْمُرُنِي أَنْ أَطْرِدَهُمْ إلخ..^(٣).

وجواهر المطالب ج ١ ص ٣٦٥.

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٣ ص ٧٣ وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ج ٥ ص ١٠٠ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٤٧٥ وج ٤١ ص ٦٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٨٩.

(٢) الضيطر: هو الأحمر، العضل، الفاحش.

(٣) راجع: الكامل للمبرد ج ٢ ص ٦٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ١٢٤ وج ٢٠ ص ٢٨٤ والفائق ج ١ ص ٣١٩ وكنز العمال ج ٤ ص ٣٩٧ عن ابن أبي شيبه، والحارث، وأبي عبيد، والدورقي، وابن جرير

ولعل من جملة أسباب بغضهم لعلي وأهل بيته:

أولاً: أنه لم يوافق على سياسة التمييز العنصري القاضية بتقديم العرب على غيرهم، بل نقض هذه السياسة وأدانها، وبَيَّن عوارها، وساوى بين الناس، وإنما تنال المكانة لديه، ورفعة الشأن عنده بالتقوى، والالتزام بالشرع، وبالقيم والأخلاق والفضائل.

ولأجل إصراره على هذه المساواة كانت حرب الجمل بالإضافة إلى أسباب أخرى.

ثانياً: إن من أسباب بغض قريش والعرب لعلي «عليه السلام»: قتله لصناديد قريش حين كانت تغزو النبي «صلى الله عليه وآله» لتطفئ نور الله.

وصححه، والبزار وغريب الحديث ج ٣ ص ٤٨٤ والنهاية ج ٣ ص ٨٧ وراجع: تفسير العياشي ج ١ ص ٣٦٠ و ٣٦١ وبحار الأنوار ج ٣٤ ص ٣١٩ وج ٤١ ص ١١٨ والبرهان (تفسير) ج ١ ص ٥٢٧ ونور الثقلين (تفسير) ج ١ ص ٥٩٧ و ٥٩٨ وقاموس الرجال ج ٢ ص ٩٩ وبهج الصباغة ج ١٣ ص ٤٠٠ ومجلة نور علم، سنة ٢ عدد ٦ ص ٢٠ في مقال للعلامة المحقق الأحمدي الميانجي، عن بعض من تقدم، وعن نثر الدر ج ١ ص ٢٩٩ و ٣٠٠ وعن تهذيب الكامل للسباعي ج ٢ ص ١١٦ وعن شرح الكامل للمرصفي ج ٤ ص ١٩٤. وراجع: كتاب الأم للشافعي ج ٧ ص ١٧٦ والغارات للثقف ج ٢ ص ٤٩٨ و ٨٢٩ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٤٦٥ ومستند أبي يعلى ج ١ ص ٣٢٢ وأمالی المحاملي ص ٢٠٠.

ثالثاً: الحسد له على الكمالات والفضائل التي يفقدونها، فإن الفاقد يحسد الواجد، ويغضه، ويتمنى له الدمار والبوار، لأن كمال ذاك يسهل على الناس إدراك نقص هذا، من خلال المقارنة.

رابعاً: إنه كان شديداً في ذات الله، لا يحابي، ولا يهادن أحداً شذ عن جادة الصواب. وهذا يجعلهم في حرج معه، ويتمنون التخلص منه، ومن حكمه، ويعملون على عدم إفساح المجال لأمثاله بالوصول إلى أي موقع أو مقام.

خامساً: أظهرت كلمة السيدة زينب: أن عرب الكوفة، وكان بينهم طوائف من أهل الشام أيضاً، هم الداء الدوي، والعمدة فيما جرى على الإمام الحسين «عليه السلام» في كربلاء..

أما الموالي، فيبدو أنهم لم يشاركوا في صنع تلك الجريمة، وقد تمكنوا من تحاشي هذا الأمر، ولا ندري، فلعل الذين كان ابن زياد يرسلهم إلى كربلاء لحرب الحسين «عليه السلام». ويذكر التاريخ: أنهم كانوا يتسللون في الطريق، تحت جنح الظلام إلى مواضع آمنة، - لعل هؤلاء - كانوا من الموالي، فلم يكن يصل إلى كربلاء إلا العدو المبغض، والشاني، ممن تربي على أيدي أمثال زياد بن أبيه، ومروان، وغيرهما من ظلمة البيت الأموي. الذين كان جلمهم أو كلهم من العرب.

وقد صرحت السيدة زينب «عليها السلام»: بأن السبي قد وقع على أمهات الأولاد، والإماء، كما وقع على أهل البيت. فأرادت أن

تظهر تعاطفها معهن، وتعرّف الناس بمكانتهن، وأن لهن من الكرامة والتقدير، والامتياز ما ليس للعربيات اللاتي كن على دين أزواجهن في الظلم والتعدي، ومودة أهل الطغيان.

أجرى عليهن رزقاً:

وقد لفت نظرنا قول سعد بن عبيدة، عن ابن زياد «لعنه الله»: إن «أحسن شيء صنعه أن أمر لهن بمنزل في مكان معتزل، وأجرى عليهن رزقاً، وأمر لهن بنفقة وكسوة».

وكان هذا القائل يريد أن يمنح ابن زياد وساماً تقديرياً، ويدّعي: أن لديه بقية من خلق كريم، وعاطفة إنسانية، لكي يخفف من وقع جريمته على وجدان الأمة، وآثارها على واقع المجتمع الإسلامي، بل والإنساني العام.

ونحن نسجل ملاحظتنا على النحو التالي:

١ - هل كان يظن سعد بن عبيدة: أن على ابن زياد: أن يترك النساء بالعرء، لكي يراهن الرائج والغادي، ويتكلم في أمرهن، وما جرى ويجري عليهن القريب والبعيد، والولي والعدو؟! وهل سيكون هذا في صالح ابن زياد وبني أمية؟! أم أن الأمر سوف يتفاقم ضدهم بنحو كبير وخطير، وقد تتطور الأمور إلى ما لا تحمد عقباه؟!!

٢ - أليس اختياره لهن منزلاً معتزلاً يؤيد: أنه كان يحاذر من اجتماع

النساء بهن، واستماعهن لهن؟!!

وبعد هذا هل يمكن اعتبار تخصيص منزل للسبايا إحساناً منه، أو أنه من مفردات سياسة الطغيان القاضية بعدم إفساح المجال للأسرى للاتصال بالناس، وتعريفهم بمظلوميتهم؟!!

٣ - ذكر هذا القائل: أن ابن زياد أجرى على السبايا رزقاً.

وسؤالنا هو: هل أجرى عليهن الرزق شفقة منه عليهن؟! أو لأنه مطالب بحفظ حياة أسرى آل البيت حتى يصلوا إلى يزيد، ويرى فيهم رأيه؟!!

٤ - هل أرجع إلى بقية آل البيت أموالهم التي سلبها جيشه وقادته منهم، ثم زاد على ذلك: أن أجرى عليهم رزقاً إحساناً منه وتفضلاً؟!!

٥ - هل الرزق الذي أجراه عليهن كان من ماله، أو من بيت مال المسلمين الذين كان ابن زياد يستولي على بيوت أموالهم بقوة السيف، وقهر السلطان؟

٦ - هل كان ابن زياد قد أفسح لهم المجال للسعي في طلب الرزق، ثم تفضل عليهم بالرزق الذي خصصه لهم، لكي يريحهم من عناء السعي والطلب؟! أو أنه حبسهم، وآذاهم، وضيق عليهم بما لا مزيد عليه؟!!

الحجر الذي سقط عليهم في السجن:

وأما الرواية المتقدمة برقم [٥] فعليها مؤاخذات عديدة، ونحن

نرى: أن ما ذكرته، من إسقاط الحجر والكتاب على السبايا في السجن كان من صنع أعدائهم، على سبيل الحرب النفسية، والتهويل عليهم بما لا واقع له..

ومع ذلك نشير إلى ما يلي:

أولاً: لماذا صار التكبير علامة على إرادة قتل السبايا؟! ومن الذي وضع هذه العلامة؟! وكيف وصل الخبر إلى كاتب هذا الكتاب؟! وهل يتصرف هذا الكاتب من دون علم ابن زياد وأعوانه؟! **ثانياً:** كيف صار قتل النساء قراراً متخذاً، وأمرأً ممكناً، والحال أن عمرو بن حريث ذكر لابن زياد: أن المرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها. وردعه بذلك عن قتل زينب «عليها السلام».

ثالثاً: سنرى - إن شاء الله -: أن ابن زياد بادر إلى إرسال السبايا إلى الشام بمجرد أن انتهى المجلس الذي جرت فيه المساجلات بينه وبين الإمام زين العابدين، وزينب «عليهما السلام» وسواهما ولم ينتظر إلى ما بعد ذهاب البريد إلى الشام ثم رجوعه.

رابعاً: سيأتي: أن السبايا قد دخلوا الشام في أول يوم من صفر، بعد مسير طويل، أراد منه يزيد أن يراهم أهل البلاد المختلفة سبايا، ليؤكد للناس: أنه حاسم وحازم، ولا يراعي أحداً، بل سيكون الموت هو المصير المحتوم لكل من يتهدد سلطان بني أمية بزعمه وزعمهم. وسيأتي ذكر مسيرهم الطويل الذي يحتاج إلى حوالي أسبوعين أو أكثر، أو أقل.

ولا بد أن نضيف إلى ذلك: مدة بقائهم في الكوفة قبل سفرهم.

فكيف يصح قول الرواية المتقدمة: إن ابن زياد أرسل بريداً إلى يزيد، فلما عاد البريد بالجواب أرسل السبايا إلى الشام؟! فإن البريد يحتاج إلى أيام عديدة في ذهابه إلى الشام وإيابه منها. **إلا أن يفترض:** أن الحمام الزاجل هو الذي تولى نقل الرسالتين في الذهاب والإياب.

أو أن يقال: إن البريد لا ينحصر بإرسال شخص بعينه في قافلة مثلاً، بل كان هناك نظام متبع، يتمثل بوجود طرق مختصرة بين البلاد الأساسية. وقد وضع علىها مراكز، للخيـل، وأصحابها، فإذا تسلم المركز الأول الكتاب سار على فرسه بأقصى سرعة ممكنة ليوصله إلى المركز الثاني، فإذا سلمه الكتاب سار هو الآخر بأقصى ما يستطيع ليسلمه إلى المركز الذي بعده. وهكذا يستمر الحال من مركز إلى مركز، إلى أن يبلغ مقصده، وهكذا يكون الحال في الإياب بالجواب إلى الموضع الأول..

فإذا كانت الخيل تسير في الساعة حوالي ستين كيلومتراً.. فلو سارت خمسين، أو أربعين، فإن الأمر بين الكوفة والشام قد لا يستغرق سوى يوم واحد، لأن أقصر الطرق إلى الكوفة، قد لا تصل إلى سبع مئة، أو ثمان مئة كيلومتر.

وعلى هذا، فيمكن قطع المسافة بين الكوفة والشام ببياض يوم، أو أزيد بقليل أمراً ميسوراً..

فإذا كان ابن زياد قد كتب إلى يزيد في أمر السبايا في العاشر من المحرم، فسيأتيه الجواب بعد أقل من يومين. ثم يجهّز السبايا ويرسلهم إلى الشام بعد ذلك في غضون ساعات.

الفصل السابع:

الرؤوس تطوف في الطرقات..

الرووس في أزقة الكوفة:

وبعدما تقدم نقول:

١ - تقدم عن زر بن حبیش، وعن الشعبي: أن «أول رأس رُفِعَ على خَشَبَةٍ، رأسُ الحُسَيْن «رَضِيَ اللهُ عَنْهُ»..»^(١).

٢ - لما أصبح عُبيدُ اللهِ بنُ زيادٍ بعَثَ برأس الحُسَيْن «عليه

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٨٩ عن: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٩٤ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٢٩٧ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٣ الرقم ٤٤٥ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٨٠ والرد على المتعصب العنيد ص ٤٠ والمعجم الكبير ج ٣ ص ١٢٥ الرقم ٢٨٧٦ عن الشعبي، والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٣ ومثير الأحران ص ٧٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٦٠ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٦٧ والأمالى للشجري ج ١ ص ١٦٤ عن الشعبي، والخمسة الأخيرة نحوه. وراجع: بغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦٤٦ والمنتخب من ذيل المذيل ص ٢٥ والروض المعطار ص ٣٩٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٩٠ و ٦٩١.

السلام»، فديرَ به في سِكَكِ (١) الكوفةِ كُلِّها وقَبَائِلِها.

ثم رَدوه إلى باب القصر (٢).

٣ - إنَّ ابنَ زيادٍ نَصَبَ الرُّؤوسَ كُلِّها بِالكوفةِ عَلَى الخَشَبِ، وكانت زيادَةً عَلَى سَبْعِينَ رَأْسًا، وَهِيَ أَوَّلُ رُؤُوسٍ نُصِبَتْ فِي الإِسْلَامِ بَعْدَ رَأْسِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ بِالكوفةِ (٣).

ونقول:

(١) السكك: جمع سكة، وهي الزقاق.

(٢) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٩٤ عن المصادر التالية: الإرشاد ج ٢ ص ١١٧ وإعلام الوری ج ١ ص ٤٧٣ وكشف الغمّة ج ٢ ص ٢٧٩ وبحار الأنوار ج ٥ ص ١٢١ و ١١٩ وراجع أيضاً: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٥٩ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥١ وأنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٥ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢١٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٨ ص ٤٤٤ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٣ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٨٠ وفيه: «أمر عبيد الله برأس الحسين، فنصب» فقط، والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٣ وفيه: «أمر ابن زياد برأس الحسين، فطيف به في الكوفة» فقط، والمنتظم ج ٥ ص ٣٤١ والردّ على المتعصّب العنيد ص ٤٠ والبدایة والنهاية ج ٨ ص ١٩١ والثلاثة الأخيرة نحوه. والملهوف ص ٢٠٣ و (نشر أنوار الهدى) ص ٩٥ والدر النظيم ص ٥٦١ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ١٣٥ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٨٩ ومستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٦.

(٣) تذكرة الخواصّ ج ٢ ص ١٨٩.

١ - يلاحظ: أن الرأس الذي قيل: إنه قد طيف به في سكك الكوفة كلها وقبائلها، هو رأس الإمام الحسين «عليه السلام» دون سواه، ولم يذكر في المصادر التي اطلعنا عليها: أنه قد طيف بسائر الرؤوس في أزقة الكوفة أيضاً.

٢ - إن هذا يعني أن الحسين «عليه السلام» كان هو المقصود بالتوهين، وكسر الحرمة. أما سائر الرؤوس، فإن طوافها في أزقة الكوفة وأسواقها ربما أوجب تحريك المشاعر، لدى بعض القبائل، فتحاول الثأر لكرامتها، فتستجد مشكلات لم يكن ابن زياد يرغب في حصولها.. حتى لا يعكر صفو نشوته بما يعده نصراً، وانتقاماً لقتلى المشركين في بدر من خلال توهين أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والعدوان على مقامه الشريف بقتل ذريته وأهل بيته.

٣ - إذا كان رأس مسلم بن عقيل قد نصب على الخشب بالكوفة كما قال سبط ابن الجوزي فيمكن أن يكون المراد من قولهم: «أَوَّلُ رَأْسٍ رُفِعَ عَلَى خَشَبَةٍ، رَأْسُ الْحُسَيْنِ «رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُ»..»: أن رأس الحسين «عليه السلام» رفع على الخشب، وطيف به في الأزقة والقبائل.. فلم تجتمع هذه الأمور لأحد إلا لرأس الحسين «عليه السلام».

٤ - إن الهدف من الطواف بالرأس الشريف: هو تهديد الناس وإرعابهم، باعتبار أنه لا حرمة لدى هذه السلطة الفاجرة لأحد، فإن من يتجرأ على أعظم وأقدس شخص على وجه الأرض، ويتعامل معه بهذه

الطريقة لا يمكن أن يتساهل مع غيره مهما كانت قبيلته كبيرة، وذات عزة وشوكة.

كما أنه يهدف إلى تحذير الناس من الاتصال بأهل البيت «عليهم السلام».

الرؤوس نصبت في الكوفة:

١ - قالوا: «وقد نصب ابن زياد الرؤوس كلها بالكوفة على الخشب. وكانت زيادة على سبعين رأساً. وهي أول رؤوس نصبت في الإسلام بعد رأس مسلم بن عقيل بالكوفة»^(١).

٢ - ثم إن ابن زياد حط الرؤوس في اليوم الثاني، وجعلها والسبايا إلى الشام، إلى يزيد بن معاوية^(٢).

ونقول:

ظاهر النص المتقدم برقم [١]: أنه يتحدث عن نصب الرؤوس في خصوص مدينة الكوفة في الإسلام، وأن أول رؤوس نصبت في الكوفة بعد رأس مسلم بن عقيل هي رؤوس شهداء كربلاء، وكانت زيادة على سبعين رأساً.

(١) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٨٩ و ١٩٠ وراجع: ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد (القسم غير المطبوع) ص ٨٠ و ٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٩٥ والرد على المتعصب العنيد ص ٤٠ وأنساب الأشراف (ترجمة الإمام الحسين) ج ٣ ص ٢١٢.

(٢) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٩٣.

أول رأس حمل:

وعن زر بن حبيش: «أول رأس حمل على رمح في الإسلام رأس الحسين بن علي «عليهما السلام». فلم أرَ باكيةً، ولا باكية أكثر من ذلك اليوم»^(١).

وعن الشعبي: رأس الحسين أول رأس حمل في الإسلام^(٢).

وعنه أيضاً: أول رأس حمل في الاسلام رأس عمرو بن الحمق^(٣).

(١) راجع: نفس المهموم ص ٣٦٦ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٣٧ وترجمة الإمام الحسين (القسم غير المطبوع من طبقات ابن سعد) ص ٨٠ و ٨١ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٢٩٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٩١.

(٢) ترجمة الإمام الحسين (القسم غير المطبوع من طبقات ابن سعد) ص ٨١.

(٣) المنتخب من ذيل المذيل ص ٤٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ٢٥ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ١٠ ص ١٢١ وراجع: عمدة القاري ج ١٧ ص ١٣٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٢٧١ و ٧٢٣ وج ٨ ص ٣٥٧ وكتاب الأوائل لابن أبي عاصم ص ٧١ وكتاب الأوائل ص ١٠٧ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٣ ص ١١٧٣ و ١١٧٤ والتاريخ الصغير ج ١ ص ١٣١ والثقات لابن حبان ج ٣ ص ٢٧٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٤٩٦ و ٤٩٨ و ٥٠٣ و ٥٠٤ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٠١ وتهذيب الكمال ج ٢١ ص ٥٩٧ والإصابة ج ٤ ص ٥١٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٥٥٤ وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٥ ص ٢٧٣ وتاريخ

وقال ابن الأثير: «كان رأسه أول رأس حمل في الإسلام على خشبة في قول».

والصحيح: أن أول رأس حمل في الإسلام هو رأس عمرو بن الحمق»^(١).

وعن ابن مسعود عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «إن أول رأس يحمل على رمح في الإسلام رأس ولدي الحسين «عليه السلام».

وقال: أخبرني بذلك أخي جبرئيل عن الرب العظيم»^(٢).

ونقول:

١ - قد يقال: إن الجمع بين هذه الأقوال هو: أن المراد: أن أول رأس حمل في الإسلام من أهل البيت، أو من بني هاشم هو رأس الحسين بن علي «عليهما السلام»، وأول رأس حمل في الإسلام من غير بني هاشم وأهل البيت هو رأس عمرو بن الحمق الخزاعي..

وقد يجاب:

بأن هذا الجمع بين الروايات والأقوال تبرعي، لا مجال للتأكد من أنه هو مقصود أصحاب الأقوال من كلماتهم، مع الاعتراف بأن

الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٨٨ .

(١) الكامل في التاريخ ج ٥٤ ص ٨٣.

(٢) المنتخب للطريحي ص ٣٣٢ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ٦١ و ٦٢.

مضمون هذا الجمع يعبر عن واقع لا مجال لإنكاره في نفسه.

٢ - ربما قيل: إن ظاهر كلام زر بن حبيش: أن مراده أن رأس الحسين «عليه السلام» كان أول رأس حمل على خشبة، وطيف به في الأسواق، استدلالاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولأهل البيت.

ولذلك أضاف زر بن حبيش قوله: «قَلَمَ أَرَاكِ بَاكِياً وَلَا بَاكِياً أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمَ».

وليس المقصود حمل الرأس الشريف من بلد إلى بلد، لكي يقال بتعارضه مع النص القائل: بأن أول رأس حمل هو رأس عمرو بن الحمق.

٣ - فظهر: أن قول ابن الأثير الصحيح: أن أول رأس حمل في الإسلام هو رأس عمرو بن الحمق مستند إلى فهم كلام القائلين بنحو أعم من هذا وذاك. فهو يرى: أن مرادهم: أن أول رأس حمل على رمح، أو على خشبة، سواء طيف به في البلاد، أو لم يطف، وسواء حمل من بلد إلى بلد، أو لم يحمل، هو رأس الحسين «عليه السلام»..

فصح كلامهم بناء على هذا التعميم: بأن أول رأس حمل هو رأس عمرو بن الحمق.

غير أننا نقول:

إن هذا المعنى الذي ذكره ابن الأثير، هو ظاهر إطلاق كلام الشعبي، وهو أيضاً ظاهر إطلاق رواية ابن مسعود المتقدمة عن

النبي «صلى الله عليه وآله»، عن جبرئيل «عليه السلام».

أما كلام زر بن حبيش، فهو أخص من ذلك كما قلنا، فقد يكون الشعبي وابن مسعود يقصدان هذا المعنى، ويحتمل أن يكون مرادهما هو ما قاله ابن الأثير.. فيرد عليهما ما قاله.

٤ - إن الرواية المتقدمة عن ابن مسعود، إنما أخذناها من المنتخب للطريحي «رحمه الله»، وقد رأينا أن الواقع يأبى أن يتوافق معها، ونحن وإن كنا قد التزمنا أن لا نأخذ من كتب المتأخرين ما لم نجده في كتب السابقين، ولكننا نذكر بين الفينة والفينة بعضاً من هذا الكتاب ونظائره، إذا لفت نظرنا ما نرى فائدة في التعرض له..

٥ - نقصد بكتب المتأخرين: الكتب التي ألفت في القرون المتأخرة عن المجلسي «رحمه الله»، مثل كتاب المنتخب للطريحي، ومعالي السبطين للحائري المازندراني، وإكسير العبادات للدربندي، وغير ذلك من المؤلفات التي لم تحظ بالقبول التام لدى كثير من العلماء. ويرون أنها لم تعتمد في أحيان كثيرة على المصادر المعتمدة. أو على الأقل يشك في ذلك.

٦ - بل هناك مصادر كتبت قبل ذلك، هي الأخرى لم تحظ بالقبول لدى أهل العلم، لنفس الأسباب، وذلك مثل روضة الصفا، وغيره..

٧ - من الكتب التي لم نكثرث لها: الكتاب المتداول المسمى بمقتل أبي مخنف، فإن فيه من الإشكالات، والسقطات، ما يدعو الباحث إلى التحرز من الأخذ منه، والاعتماد عليه، إذا لم يوجد النص في مصدر

آخر يكون معتمداً ومقبولاً..

أصحاب الكهف والرقيم:

تقدم: أن ابن زياد أمر بأن يطاف برأس الحسين «عليه السلام» في سكك الكوفة كلها، وقبائلها، فروى زيد بن أرقم قال:

«مُرَّ به عليٌّ، وهو على رمح، وأنا في غرفة، فلما حاذاني سمعته يقرأ: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) (١). فقف - والله - شعري وناديت:

رأسك والله - يا ابن رسول الله - أعجب وأعجب.

ولما فرغ القوم من التطواف به بالكوفة، ردوه إلى باب القصر، فدفعه ابن زياد إلى زجر (زحر) بن قيس، ودفع إليه رؤوس أصحابه، وسرحه إلى يزيد بن معاوية» (٢).

(١) الآية ٩ من سورة الكهف.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ١١٧ و ١١٨ وراجع: إعلام الوري ج ١ ص ٤٧٣ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٧٩ والدر النظيم ص ٥٦١ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٢ و (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٠٨ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥١ والثاقب في المناقب ص ٣٣٣ ومناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج ٢ ص ٢٦٧ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ١٣٥ و ١٣٦ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٢١ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٨٩ ومستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٦ والدرجات الرفيعة ص ٤٥٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٤٥٢.

وعن الشعبي: أن رأس الحسين «عليه السلام» صلب بالصيارف بالكوفة، فنتحنح الرأس، وقرأ سورة الكهف، إلى قوله:

(إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) (١).

قال: فلم يزداهم ذلك إلا ضلالاً (٢).

وعن الشعبي أيضاً: لما صلبوا رأسه على الشجرة سمع منه: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (٣).

ونقول:

هنا أمور تحتاج إلى بيان، وهي كما يلي:

إيضاحات:

الغرفة: العلوية المبنية فوق سطح البيت.

قف شعري: قام من الفرع.

لماذا أصحاب الكهف والرقيم؟!

ذكرت الرواية المتقدمة: أن الرأس المطهر كان يتلو بعض الآيات في سكك الكوفة، ثم تكررت هذه التلاوة في العديد من

(١) الآية ١٣ من سورة الكهف.

(٢) راجع: مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٦١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣

ص ٢١٨ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٠٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧

ص ٣٨٦ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ١١٥.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٦١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٠٤.

المواضع، والمناسبات، ثم في الشام نفسها، كما سنرى.

ونستطيع أن نسجل هنا أموراً، هي التالية:

أولاً: إن تكلم الرأس المقطوع أمر صادم، ومفاجئ. وهو ينقل الإنسان من أجواء الغفلة، ليضعه أمام يقظة ضميرية، ونداء وجداني يفرض عليه إعادة النظر فيما يجري حوله وفيما يمارسه من قول وفعل، وفيما يتخذه من مواقف.

بل إن هذا الأمر الاعجازي يمثل إنذاراً غير قابل للتأويل، وليس بحاجة إلى التحليل، وهو يفرض على أهل الغواية والضلالة ومن تابعهم، وطمع بهم، وخدع بمظاهر قوتهم، أن يغيروا مسارهم، فإن الله الذي يُنطق الرأس المقطوع أقدر على تبديد أحلام الطغاة، وكسر جبروتهم، وتحويله إلى يباب وسراب، فلا تغرّن أحداً الادعاءات الفارغة، والمظاهر البراقة اللامعة.

كما أن من يُنطق الرأس المقطوع يخبر بلسان الفعل والاعجاز، بأنه قادر على إحياء الموتى، وإدراك تآثر المظلومين من ظالمهم، في كل وقت وحين، وإنما هو يمهل، ولا يهمل، ولا يخلف وعده، ولا يخون عهده.

ثانياً: إن نفس تكلم الرأس حجة قاطعة، وبرهان ساطع على زيف كل ادعاءات أولئك الظلمة، وسقوط أباطيلهم، ولا يبقى عذراً لأحد في قبول هذه الترهات منهم، فلا مجال بعد هذا لادعاء الانخداع بها، والغفلة عن مسار الأمور، وما تخفيه الضمائر، وتكنه الصدور.

ومن ادّعى ذلك بعد رؤيته هذا الأمر الاعجازي فهو كاذب في دعواه، عبد لهواه، وستكون الجحيم مأواه.

ثالثاً: إن تكلم الرأس الشريف، يزيد صاحب الرأس، وهو الحسين «عليه السلام» عزة وكرامة، ويسقط دعوى ابن زياد: أن كل قتيل ذليل، فالنبي أو الإمام الشهيد هو الأكرم والأشرف، والأعلى كعباً، والأجل مقاماً. ولا يمكن أن تلحقه ذلة بالقتل.

ولا عجب في أن يتكلم الرأس الشريف على رأس الرمح، فقد سبّح الحصى في كف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأحيا الله الميت القتيل في بني إسرائيل، حين ضرب ببعض البقرة، ودل على قاتله..

وسمع سليمان «عليه السلام» النملة تتكلم، وكانت الجبال تُؤوب وتردد التسبيح مع داود «عليه السلام»، وقد ألان الله تعالى له الحديد أيضاً، وعلمه منطق الطير، وفلق الله البحر لموسى «عليه السلام»، وأسرى بعده محمد «صلى الله عليه وآله» حتى بلغ سدره المنتهى، وأمثال ذلك كثير.

وبذلك يتضح: أن الآية التي قرأها الرأس الشريف أريد بها:

ألف: بيان أن تكلم الرأس الشريف فعل إلهي، يراد به تمييز أهل الحق عن أهل الباطل.

ب: إقامة الحجة على أهل الباطل، وفضح زيفهم، وكذب ادّعاءاتهم وتحصين الناس من الانخداع بأباطيلهم، وأضاليلهم.

ج: إن النظر في قصة أصحاب الكهف الذين أماتهم الله ثلاث مئة عام، بحسب السنوات الشمسية، أو ثلاث مئة وتسع سنوات قمرية، - إن ذلك - يسهل على الناظر البصير، إدراك أن تكلم الرأس الشريف أيضاً هو من فعل الله تعالى.

د: جاء في رواية المنهال بن عمرو: أنه سمع رجلاً يمشي أمام الرأس الشريف في دمشق، وهو يقرأ:

(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) (١).

فأنطق الله الرأس بلسان ذرب ذلق، فقال:

«.. أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي» (٢).

ولعل سبب كون قتله «عليه السلام» وحمل رأسه الشريف أعجب من قصة أصحاب الكهف: أن الدلائل القاطعة، والكرامات، والمعجزات، والشواهد الغيبية المصرحة: بأنه «عليه السلام» سوف يقتل، قد تواترت وتضافرت منذ كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» حياً، فقد ذكر «صلى الله عليه وآله» للناس ما يجري على الحسين «عليه السلام» في كربلاء بالتفصيل، وكذلك فعل علي والإمام الحسن «عليهما السلام» من بعده.

(١) الآية ٩ من سورة الكهف.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٨٨ عن الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٧٧ وتاريخ دمشق ج ٦٠ ص ٣٧٠ ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ٢٧٤ والصراط المستقيم للبيضاوي ج ٢ ص ١٧٩.

وقد رأى ذلك الجيش المشؤوم من هذه الآيات والدلائل ما يقطع كل عذر، مثل ما جرى لابن حوزة، في اليوم العاشر، واستجابة دعاء الحسين «عليه السلام» فيه. وقد ذكرنا بعضاً من هذه الدلائل في كتابنا هذا.

فالجراة على ارتكاب هذه الجريمة في حقه «عليه السلام» ممن يدعون أنهم يدينون بدين جده، ويؤمنون بالقرآن الذي تضمن تطهيرهم، والإلزام بمودتهم وغير ذلك - إن الجراة على قتله - أعجب مما جرى لأصحاب الكهف.

مع العلم: بأنه لم يصدر منه «عليه السلام» عصيان، ولم يأت بجيش، ولا دعا لقتال.

كما أنه قتل بأيد غادرة وفاجرة.. كانت هي التي استغاثت به ليساعدها في نظم أمورها، وحل مشاكلها، ثم انقلبت عليه، وتعاملت معه ومع أهل بيته وأصحابه بهذا القدر من الحقد، والقسوة..

نعم، إن ذلك كله، يجعل مما جرى على الحسين «عليه السلام» أعجب مما جرى لأهل الكهف، فإن أهل الكهف لم يتعرضوا لشيء من ذلك كله.. بل كانت مشكلتهم هي: أن أهل الكفر والطغيان قد اضطهدوهم بسبب المخالفة في الدين، فاضطروا إلى العمل بالتقية، حتى أؤوا إلى الكهف فأماتهم الله ثلاث مئة سنة، ثم أحياهم ليجعل من إيمانهم وإحيائهم شاهد صدق على الدين الحق، وعلى القدرة الإلهية المطلقة.

ولم يقتصر الأمر في قصة الإمام الحسين «عليه السلام» في امتيازها على قصة أصحاب الكهف على ما أشرنا إليه، بل زاد على ذلك كله: تكلم الرأس الشريف على رأس الرمح في المواضع المختلفة. ولكن كل ذلك لم ينفع في هداية الضالين، ولا دفع شرور عباد الشياطين.

رجعة أهل الكهف ورجعة الحسين:

ثم إن ثمة شبهاً آخر بين أصحاب الكهف والحسين «عليه السلام»، وهو: أن الحسين «عليه السلام»، وسائر شهداء كربلاء سوف يرجعون إلى الحياة في آخر الزمان وكذلك أهل الكهف. فقد روى ابن عباس، عن النبي «صلى الله عليه وآله» قوله: «أصحاب الكهف أعوان المهدي»^(١).

وروى أيضاً عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: «.. ويقبل الحسين «عليه السلام» في أصحابه الذين قتلوا معه، ومعه سبعون نبياً، كما بعثوا مع موسى بن عمران، فيدفع إليه القائم «عليه السلام» الخاتم، فيكون الحسين «عليه السلام» هو الذي يلي غسله، وكفنه، وحنوطه، ويواريه في حفرته»^(٢).

(١) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٧٠ و (ط دار المعرفة) ج ٤ ص ٢١٥ عن ابن مردويه.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٠٣ ومختصر بصائر الدرجات ص ٤٨ وإلزام

وقال الثعلبي: «ويقال: إنّ المهدي يسلم عليهم، فيحييهم الله عزّ وجلّ، ثمّ يرجعون إلى رقدتهم ولا يقومون إلى يوم القيامة»^(١).

ملاحظة أخيرة:

يبدو: أن المراد بالرقيم هو الحجر أو الكتاب الذي سجل قضية أصحاب الكهف. فيكون أهل أو أصحاب الكهف، هم أنفسهم أهل أو أصحاب الرقيم.

وهناك أقوال أخرى أكثرها يتوافق مع ما قلناه، باستثناء قول واحد منهم ذكر قصة أخرى عن ثلاثة دخلوا غاراً، فجاءت صخرة من أعلى الجبل على باب الغار فسدته عليهم، فذكر واحد منهم بعض أعماله الصالحة، ففتحت الصخرة قليلاً. ثم ذكر الثاني شيئاً آخر ففتحت قليلاً أيضاً.

الناصب ج ٢ ص ٣١٧ والوافي ج ٢ ص ٢٦٧ ومنتخب الأنوار المضيئة ص ٣٥٤ والإيقاظ من الهجعة ص ٣٣٨.

(١) تفسير الثعلبي ج ٦ ص ١٥٧ والعمدة لابن البطريق ص ٣٧٣ و ٤٣١ و ٤٣٤ والطرائف لابن طاووس ص ٨٤ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٦٧ وج ٣٩ ص ١٥٠ ونهج الإيمان ص ٢١٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٩ ص ٤٣٨ عن البرهان في علامات مهدي آخر الزمان (ط مطبعة الخيام بقم) ص ٨٧ وراجع: عقد الدرر في أخبار المنتظر ص ١٤٢ والجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٣٩٠ وحياة الحيوان الكبرى ج ٢ ص ٤٠٢ و ٣٩٠.

ولما ذكر الثالث شيئاً من ذلك فرج الله عنهم.

ولكن الله لم يذكر غير قصة أصحاب الكهف، ولم يذكر شيئاً عن أصحاب الرقيم، فلماذا أهمل ذكرهم لو كان المقصود بأصحاب الرقيم جماعة أخرى؟!

حديث البساط:

وهناك حديث ذكر: أن جماعة من المسلمين في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد زاروا أهل الكهف، وكلموهم.. فنحن نذكر هنا هذا الحديث على سبيل الاستطراف والاستطراد، فنقول:

إن للحديث المشار إليه نصوصاً عديدة، في بعضها زيادات وتفاصيل لم يذكرها البعض الآخر، وحيث إن المطلوب هو الإشارة إلى أصل الحدث، فقد رأينا: أن نختار نصاً موجزاً منها، ثم نحيل القارئ الكريم إلى بعض مصادر سائر النصوص في الهامش، فإن أحب أن يراجعها، ويطلع على ما فيها من زيادات، فالأمر إليه.

والنص الذي اخترناه هو: ما رواه ابن البطريق، وابن المغازلي، قال ابن البطريق:

«أخبرنا أبو طاهر: محمد بن علي بن محمد البيع البغدادي قدم علينا واسطاً، قال: أخبرنا [أبو عبد الله: أحمد بن محمد بن عبد الله بن خالد الكاتب أخبرنا] أبو بكر: أحمد بن جعفر بن محمد بن مسلم الجبلي (سلم الختلي) قال: حدثنا عمر بن أحمد، قال: حدثنا الحسن بن إدريس (يحيى) بن أبي الربيع الجرجاني قال، حدثنا عبد الرزاق بن همام

السمعاني (الصنعاني) قال: حدثنا معمر، عن أبان، عن أنس بن مالك قال:

أهدي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بساط من خندف، فقال لي: يا أنس، ابسطه، فبسطته.

ثم قال: ادع العشرة، فدعوتهم.

فلما دخلوا أمرهم بالجلوس على البساط، ثم دعا علياً «عليه السلام»، فواجه طويلاً.

ثم رجع عليٌّ فجلس على البساط، ثم قال: يا ريح، احملينا، فحملتنا الريح.

قال: فإذا البساط يدف بنا دقاً.

ثم قال: يا ريح، ضعينا، ثم قال: تدرون في أي مكان أنتم؟ قلنا: لا.

قال: هذا موضع أصحاب الكهف والرقيم، قوموا فسلموا على إخوانكم.

قال: فقمنا رجل رجل، فسلمنا عليهم، فلم يردوا علينا.

فقام علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقال: السلام عليكم معاشر الصديقين والشهداء.

قال: فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

قال: فقلت: ما بالهم ردوا عليك، ولم يردوا علينا؟!!

قال: فقال لهم عليٌّ: ما بالكم لم تردوا على إخواني؟
فقالوا: إنا معاشر الصديقين والشهداء لا نكلم بعد الموت إلا نبياً،
أو وصياً.

قال: يا ريح، احملينا، فحملتنا تدف بنا دقاً.
ثم قال: يا ريح ضعينا، فوضعتنا، فإذا نحن بالحرّة.
قال: فقال علي «عليه السلام»: ندرك النبي «صلى الله عليه
 وآله» في آخر ركعة.

فطوبينا وأتينا، وإذ النبي «صلى الله عليه وآله» يقرأ في آخر
ركعة: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا
عَجَبًا) (١) «(٢)».

(١) الآية ٩ من سورة الكهف.

(٢) العمدة لابن البطريق ص ٤٣٣ و ٤٣٤ و (ط جماعة المدرسين) ص ٣٧٢
ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص ٢٣٢ و (ط سنة ١٤٢٦ هـ)
ص ١٩٢ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج ١ ص ٥٥٢ وكتاب
الأربعين ص ٤٧ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٤٠٥ وينايع المودة ج ١
ص ٤٢٦ وغاية المرام ج ٢ ص ١٥٤ وج ٦ ص ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢٦
ومدينة المعاجز ج ١ ص ١٨٦ و ١٩٠ و ١٩٢ وشرح إحقاق الحق
(الملحقات) ج ٤ ص ٩٨ وج ١٥ ص ١٦٨ وبحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣١٩
وج ٣٩ ص ١٣٨ - ١٤٢ وج ٤١ ص ٢١٨ عن اليقين في إمرة أمير
المؤمنين ص ١٣٣ - ١٣٥ وغيره، وخلاصة عبقات الأنوار ج ٣ ص ٢٥٨

ونقول:

لا نريد أن ندخل في بيان ما تضمنته هذه الرواية، لأننا إنما ذكرناها - كما قلنا - استطرافاً واستطراداً. لما فيها من فوائد وعوائد.

غير أننا نلفت نظر القارئ الكريم إلى أمرين:

أولهما: أن سائر نصوص الرواية في المصادر المختلفة قد صرحت: بأن من الذين كانوا على البساط، وسلموا على أصحاب الكهف، فلم يردوا عليهم أبا بكر، وعمر، وعبد الرحمان بن عوف. وكان معهم أيضاً سلمان، فراجع: سائر المصادر المذكورة في الهامش المتقدم للرواية.

الثاني: إن هذه الرواية من شواهد إمامة علي «عليه السلام» للأمة، ووصايته لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

وج ٩ ص ٤٢ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٦١٦ ونور الثقلين (تفسير) ج ٤ ص ٣٢٠ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١٠ ص ٤٧٢ والثاقب في المناقب ص ١٧٣ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص ٢٠٤ والفضائل لابن شاذان ص ١٦٤ والطرائف لابن طاووس ص ٨٣ وسعد السعود ص ١١٢ - ١١٦ والعقد النضيد ص ١٧٦ والصراط المستقيم ج ٢ ص ٣٢ والدر النظيم ص ١٣٨ ونهج الإيمان ص ٢١٤ وإرشاد القلوب ج ٢ ص ٢٦٨ ومختصر بصائر الدرجات ص ١١٥ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٨٣٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٣٧ و ٣٣٨ عن كتاب ابن بابويه، وأبي القاسم البستي، والقاضي أبي عمرو بن أحمد، وكنز الفوائد ص ٢٨٩.

الفصل الثامن:

نهضة ابن عفيف وتداعياتها..

ابن عفيف يتصدى للطاغية:

صعد ابن زياد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال في بعض كلامه:

الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين وأشياعه، وقتل الكذاب ابن الكذاب. [في الطبري والإرشاد: وشيعته].
قال: فما زاد على هذا الكلام شيئاً ووقف، فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي رحمه الله، وكان من خيار الشيعة، وكان أفضلهم، وكان قد ذهبت عينه اليسرى في يوم الجمل، والأخرى في يوم صقين، وكان لا يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل، ثم ينصرف إلى منزله.

فلما سمع مقالة ابن زياد، وثب قائماً ثم قال:

يا ابن مرجانة، الكذاب ابن الكذاب أنت وأبولك، ومن استعملك وأبوه، يا عدو الله، أقتلون أبناء النبيين وتكلمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين؟! [في الإرشاد: وتقوم على المنبر مكان الصديقين].

قال: فعضب ابن زياد، ثم قال: من المتكلم؟

فقال: أنا المتكلم يا عدو الله، أقتل الدريرة الطاهرة التي قد أذهب الله

عَنهَا الرَّجْسَ فِي كِتَابِهِ، وَتَزَعُمُ أَنَّكَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ؟
 وَاعُونَاهُ، أَيْنَ أَوْلَادُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، لِيَنْتَقِمُوا مِنْ طَاغِيَتِكَ
 اللَّعِينِ ابْنِ اللَّعِينِ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟
 قَالَ: فَازْدَادَ غَضَبًا عَدُوُّ اللَّهِ حَتَّى انْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، ثُمَّ قَالَ: عَلَيَّ
 بِهِ.

قَالَ: فَتَبَادَرَتْ إِلَيْهِ الْجَلَاوِزَةُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ لِيَأْخُذُوهُ، [فِي أَنْسَابِ
 الْأَشْرَافِ: فَنَادَى بِشِعَارِ الْأَزْدِ: مَبْرورُ يَا مَبْرورُ!] فَقَامَتِ الْأَشْرَافُ
 مِنَ الْأَزْدِ مِنْ بَنِي عَمِّهِ [فِي الْإِرْشَادِ: فَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ سَبْعُمِئَةِ رَجُلٍ]
 فَخَلَّصُوهُ مِنْ أَيْدِي الْجَلَاوِزَةِ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، فَانْطَلَقُوا بِهِ
 إِلَى مَنْزِلِهِ.

وَنَزَلَ ابْنُ زِيَادٍ عَنِ الْمِنْبَرِ وَدَخَلَ الْقَصْرَ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ أَشْرَافُ النَّاسِ،
 فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا صَنَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؟

فَقَالُوا: قَدْ رَأَيْنَا أَوْلَحَ اللَّهِ الْأَمِيرَ، إِنَّمَا الْأَزْدُ فَعَلَتْ ذَلِكَ فَشُدَّ يَدُوكَ
 بِسَادَاتِهِمْ، فَهُمْ الَّذِينَ اسْتَنْقَذُوهُ مِنْ يَدِكَ حَتَّى صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

قَالَ: فَأَرْسَلَ ابْنُ زِيَادٍ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ الْأَزْدِيِّ، فَأَخَذَهُ
 وَأَخَذَ مَعَهُ جَمَاعَةً مِنَ الْأَزْدِ فَحَبَسَهُمْ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا خَرَجْتُمْ مِنْ يَدِي
 أَوْ تَأْتُونِي بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَفِيفٍ.

[فِي الْإِرْشَادِ: فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ مَنْ أَخْرَجَهُ مِنْ
 بَيْتِهِ، فَضْرَبَ عُنُقَهُ، وَصَلَبَهُ فِي السَّبَّخَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ].

قَالَ: ثُمَّ دَعَا ابْنُ زِيَادٍ لِعَمْرٍو (لَعَلَّ الصَّحِيحَ: بِعَمْرٍو) بَنِي الْحَبَّاجِ

الزُّبَيْدِيَّ وَمُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ، وَشَبَّثَ بْنَ الرَّبِيعِيِّ، وَجَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِذْهَبُوا إِلَى هَذَا الْأَعْمَى، أَعْمَى الْأَزْدِ الَّذِي قَدْ أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ كَمَا أَعْمَى عَيْنَيْهِ، انْتُونِي بِهِ.

قَالَ: فَأَنْطَلَقْتُ رُسُلُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَفِيفٍ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَزْدَ فَأَجْتَمَعُوا، وَاجْتَمَعَ مَعَهُمْ أَيْضاً قَبَائِلُ الْيَمَنِ لِيَمْنَعُوا عَنْ صَاحِبِهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَفِيفٍ.

وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ زِيَادٍ، فَجَمَعَ قَبَائِلَ مُضَرَ، وَضَمَّهُمْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ، وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ الْقَوْمِ.

قَالَ: فَأَقْبَلْتُ قَبَائِلَ مُضَرَ نَحْوَ الْيَمَنِ وَدَنْتُ مِنْهُمْ الْيَمَنُ، فَأَقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ زِيَادٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِهِ يُؤَنِّبُهُمْ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ يُخْبِرُهُ بِاجْتِمَاعِ الْيَمَنِ عَلَيْهِمْ. قَالَ: وَبَعَثَ إِلَيْهِ شَبَّثُ بْنُ الرَّبِيعِيِّ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّكَ قَدْ بَعَثْتَنَا إِلَى أُسُودِ الْأَجَامِ، فَلَا تَعْجَلْ.

قَالَ: وَاشْتَدَّ قِتَالُ الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ مِنَ الْعَرَبِ. قَالَ: وَدَخَلَ أَصْحَابُ ابْنِ زِيَادٍ إِلَى دَارِ ابْنِ عَفِيفٍ، فَكَسَرُوا الْبَابَ وَاقْتَحَمُوا عَلَيْهِ، فَصَاحَتْ بِهِ ابْنَتُهُ: يَا أَبَتِ! أَتَاكَ الْقَوْمُ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ.

فَقَالَ: لَا عَلَيْكَ يَا ابْنَتِي، نَاوليني السِّيفَ.

قَالَ: فَنَاولَتْهُ فَأَخَذَهُ وَجَعَلَ يَدُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا ابْنُ ذِي الْفَضْلِ الْعَفِيفِ عَفِيفُ شَيْخِي وَابْنُ أُمِّ عَامِرٍ
كَمْ دَارِعَ مِنْ جَمْعِهِ، وَحَاسِرٍ وَبَطَلَ جُنْدَانَهُ مُعَادِرٍ

قَالَ: وَجَعَلْتُ ابْنَهُ تَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ رَجُلًا فَأَقَاتِلَ بَيْنَ يَدَيْكَ
الْيَوْمَ هَؤُلَاءِ الْفَجَرَةَ، قَاتِلِي الْعِتْرَةَ الْبَرَّةَ.

قَالَ: وَجَعَلَ الْقَوْمَ يَدُورُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ،
وَهُوَ يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ بِسَيْفِهِ، وَلَيْسَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ.

قَالَ: وَتَكَاثَرُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ حَتَّى أَخَذُوهُ.

فَقَالَ جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أَخَذُوا
وَاللَّهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَفِيفٍ، فَقُبْحَ وَاللَّهِ الْعَيْشُ مِنْ بَعْدِهِ.

قَالَ: ثُمَّ أَتَى بِهِ حَتَّى أُدْخِلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ:
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَاكَ.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَفِيفٍ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ، بِهَذَا أَخْرَانِي، وَاللَّهِ لَوْ فَرَجَ
اللَّهُ عَنْ بَصْرِي لَضَاقَ عَلَيْكَ مَوْرَدِي وَمَصْدَرِي.

قَالَ: فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ، مَا تَقُولُ فِي عُثْمَانَ بْنِ عَقَّانَ؟

فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبْدِ بَنِي عِلَاجٍ، يَا ابْنَ مَرَجَانَةَ وَسُمِّيَّةَ، مَا أَنْتَ
وَعُثْمَانُ بْنُ عَقَّانَ؟ عُثْمَانُ أَسَاءٌ أَمْ أَحْسَنٌ، وَأَصْلَحَ أَمْ أَفْسَدَ، وَاللَّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى وَلِيُّ خَلْقِهِ، يَقْضِي بَيْنَ خَلْقِهِ وَبَيْنَ عُثْمَانَ بْنِ عَقَّانَ بِالْعَدْلِ
وَالْحَقِّ، وَلَكِنْ سَلَّنِي عَنْ أَبِيكَ، وَعَنْ يَزِيدَ وَأَبِيهِ.

فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: وَاللَّهِ لَا سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ أَوْ تَذَوَّقَ الْمَوْتَ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَفِيْفٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمَا إِنِّي كُنْتُ أَسْأَلُ رَبِّي عِزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ، وَالْآنَ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي إِيَّاهَا بَعْدَ الْإِيَّاسِ مِنْهَا، وَعَرَّفَنِي الْإِجَابَةَ مِنْهُ لِي فِي قَدِيمِ دُعَائِي.

فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: اضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَضْرِبْتَ رَقَبَتَهُ، وَصَلِّبْ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ (١).

٢ - وذكر البلاذري صدر الرواية على النحو الذي تقدم، لكن باقي الرواية كما يلي:

قال ابن عفيف: أَتَقْتُلُونَ أَبْنَاءَ النَّبِيِّينَ وَتَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامِ الصَّدِيقِينَ؟! فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: عَلَيَّ بِهِ.

فَنَادَى بِشِعَارِ الْأَزْدِ: مَبْرُورُ يَا مَبْرُورُ! وَحَاضِرُوا الْكَوْفَةَ مِنَ الْأَزْدِ يَوْمَئِذٍ سَبْعُمِئَةٍ، فَوَتَّبَعُوا فَتَخَلَّصُوا حَتَّى أَتَوْا بِهِ أَهْلَهُ.

فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ لِلْأَشْرَافِ: أَمَا رَأَيْتُمْ مَا صَنَعَ هَؤُلَاءِ؟

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ١٧٣ عن: الفتوح لابن أعمش ج ٥ ص ١٢٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٢ والملهوف ص ٢٠٣ و (نشر أنوار الهدى) ص ٩٥ ومثير الأحزان ص ٩٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٢ كلها نحوه، وبحار الأنوار ج ٤ ص ١١٩ و ١٢١ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٨٦ وراجع: الإرشاد ج ٢ ص ١١٧ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٧٩.

قالوا: بلى.

قال: فسيروا أنتم - يا أهل اليمن - حتى تأتوني بصاحبكم، وأمّتلّ صَنِيعَ أَبِيهِ فِي حُجْرٍ حِينَ بَعَثَ أَهْلَ الْيَمَنِ.

وأشارَ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ بِأَنْ يُحْبَسَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ مِنَ الْأَزْدِ، فَحُبِسُوا وَفِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مِخْنَفٍ وَغَيْرُهُ، فَأَقْتَنَلَتْ الْأَزْدُ وَأَهْلُ الْيَمَنِ قِتَالاً شَدِيداً.

وَاسْتَبْطَأَ ابْنُ زِيَادٍ أَهْلَ الْيَمَنِ، فَقَالَ لِرَسُولٍ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ: أَنْظِرْ مَا بَيْنَهُمْ؟ [فَأَتَاهُمْ] فَرَأَى أَشَدَّ قَتْلٍ، فَقَالُوا: قُلْ لِلْأَمِيرِ إِنَّكَ لَمْ تَبْعَثْنَا إِلَى نَبْطٍ^(١) الْجَزِيرَةِ، وَلَا جَرَامِقَةٍ^(٢) الْمَوْصِلِ، إِنَّمَا بَعَثْنَا إِلَى الْأَزْدِ، إِلَى أَسْوَدِ الْأَجَمِ^(٣)، لَيْسُوا بَبِيضَةٍ تُحْسَى، وَلَا حَرْمَلَةٍ^(٤) تَوَطَّأُ.

فَقُتِلَ مِنَ الْأَزْدِ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ حَوْزَةَ الْوَالِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبِ الْبَكْرِيِّ، وَكَثُرَتِ الْقَتْلَى بَيْنَهُمْ، وَقَوِيَتِ الْيَمَانِيَّةُ عَلَى الْأَزْدِ، وَصَارُوا

(١) النَّبْطُ: جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق، ثم استعمل في أخلاط

الناس وعوامهم. راجع: المصباح المنير ص ٥٩٠ مادة «نبط».

(٢) الجرامقة: قوم بالموصل أصلهم من العجم. راجع: الصحاح ج ٤ ص ١٤٥٤ مادة «الجرامقة».

(٣) الْأَجَمَةُ: من القصب، والجمع أجمات وأجم وأجم. راجع: الصحاح ج ٥ ص ١٨٥٨ مادة «أجم».

(٤) حرملة: اسم نبات. راجع: تاج العروس ج ١٤ ص ١٤٧ «حرملة».

إلى خُصٍّ^(١) في ظهر دار ابن عَفِيفٍ، فَكَسَرُوهُ وَاقْتَحَمُوا، فَنَاولَتْهُ ابْنَتُهُ سَيْفَهُ، فَجَعَلَ يَدْبُ بِهِ، وَشَدَّوْا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَنْطَلَقُوا بِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ وَهُوَ يَقُولُ:

أَقْسِمُ لَوْ يُفْسَحُ لِي مِنْ بَصْرِي شَقٌّ عَلَيْكُمْ مَوْرِدِي
وَمَصْدَرِي

وَخَرَجَ سُفْيَانُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْمُغَفَّلِ لِيَدْفَعَ عَنْ ابْنِ عَفِيفٍ، فَأَخَذُوهُ مَعَهُ، فَقَتَلَ ابْنُ عَفِيفٍ، وَصُلِبَ بِالسَّبَخَةِ^(٢).

ما جرى على مؤيدي ابن عفيف:

أما ما جرى على الذين أيدوا ابن عفيف، لكونهم من الأزد، أو لأي سبب آخر، فيكفي أن نذكر هنا قول البلاذري:

(١) الخُصُّ: بيت يعمل من الخشب والقصب. راجع: النهاية ج ٢ ص ٣٧ «خصص».

(٢) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ١٧١ عن: أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٣ و (طدار التعارف) ج ٣ ص ٢١٠.

وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٥٨ و ٤٥٩ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥١ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٣ وجواهر المطالب ج ٢ ص ٢٩٢ والحدائق الوردية ج ١ ص ١٢٤ كلها نحوه، وراجع: تذكرة الخواص ص ٢٥٩ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٩١ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٣ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١١٩ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٨٧.

وَأَتَى بَجْنَدَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: وَاللَّهِ لَأَتَقَرَّبَنَّ إِلَى اللَّهِ بِدَمِكَ.

فَقَالَ: إِنَّمَا تَتَّبَاعِدُ مِنَ اللَّهِ بِدَمِي^(١).

وقال ابن أعثم:

ثم دعا ابن زياد بجندب بن عبد الله الأزدي، فقال: يا عدو الله! أأست صاحب علي بن أبي طالب «رضي الله عنه» في يوم صفين؟! فقال: بلى والله يا ابن زياد! أنا صاحب علي بن أبي طالب «رضي الله عنه»، ولا زلت له ولياً، ولا أبرأ إليك من ذلك.

فقال ابن زياد: أظن أنني أتقرب إلى الله تعالى بدمك. فقال جندب: والله ما يقربك دمي من الله، ولكنه يباعدك منه. وبعد، فإنه لم يبق من عمري إلا أقله، وما أكره أن يكرمني الله بهوانك.

فقال ابن زياد: أخرجوه عني، فإنه شيخ قد خرف وذهب عقله! قال: فأخرج عنه، وخلي سبيله. قال: ثم قدم إليه سفيان بن يزيد، فقال له ابن زياد: ما الذي أخرجك علي يا بن المعقل؟ (لعل الصحيح: المغفل).

(١) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١٣ و (طدار التعارف) ج ٣ ص ٢١١.

فقال له: بلغني أن أصحابك أسروا عمي، فخرجت أدافع عنه.

قال: فخلى سبيله وراقب فيه عشيرته.

ثم دعا بعبد الرحمن بن مخنف الأزدي، فقال له: ما هذه الجماعة على بابك؟

فقال: أصلح الله الأمير! ليس على بابي جماعة وقد قتلت صاحبك الذي أردت، وأنا لك سامع مطيع، وإخوتي لك جميعاً كذلك، قال: فسكت عنه ابن زياد، ثم خلاه وخلى سبيل إخوته وبني عمه^(١).

ونقول:

إن ما جرى بين ابن زياد وابن عفيف ومن تعاطف معه من الأزدي يحتاج إلى شيء من التوضيح والبيان، فنحن نشير إلى بعض من ذلك ضمن ما يلي من عناوين:

ابن عفيف الرجل العابد:

وصفت الرواية المتقدمة ابن عفيف: بأنه كان ملازماً للمسجد، وأنه كان يصلي فيه إلى الليل، ثم ينصرف إلى منزله.

وقد تقدم: أن الاجتهاد في العبادة، وملازمة المساجد من سمات أصحاب علي «عليه السلام»، حتى إن جاسوس ابن زياد، المسمى بمعقل، إنما اكتشف مسلم بن عقيل من خلال مراقبته المتعبدية في

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٦.

المسجد، لعلمه أن أصحاب علي وشيعته هم من العبّاد الزهاد، فعرف تشييع مسلم بن عوسجة من كثرة صلاته، واجتهاده بالعبادة، فتقرب منه وتعرف إليه، وتمكن من الوصول إلى مسلم بن عقيل من خلاله.

شدّ يدك بساداتهم:

ولما واجه ابن عفيف عبيد الله بن زياد بهذه الشدة والحدة، ونادى ابن عفيف بشعار الأزدي، كان ساداتهم في مقدمة من بادر إلى تخليص ابن عفيف من أيدي الجلاوزة..

وحين استشار عبيد الله بن زياد أشراف الكوفة حوله فيما جرى أغروه برؤساء الأزدي، فحبس جماعة منهم، وأعلمهم: أنهم سيبقون في يده حتى يأتوه بابن عفيف.

والذي نريد أن نشير إليه هنا هو التالي:

أولاً: إن المجتمع الكوفي قد نشأ وترعرع على أساس الانتماء إلى العرق والقبيلة، والالتزام بأعرافها، وتحمل تبعاتها. لكن العصبيات القبلية لا توصل الناس إلى بر الأمان في أكثر الأحيان، وإن حصل ذلك أحياناً، فلا يمكن الركون إليه في استمرار ذلك وثباته.

ولأجل ذلك نلاحظ: أن ابن عفيف، وإن كان قد وظف المشاعر القبلية في منع ابن زياد من القبض عليه في الفورة الأولى.. لكنه لم يستطع توظيفها في المراحل التالية، بنحو فاعل ومؤثر، وإن كان قومه قد بذلوا جهداً كبيراً، وقدموا تضحيات في هذا السبيل، فقد غلبوا

على أمرهم حين واجههم ابن زياد بنفس الأسلوب، حيث لجأ إلى تحريك العنصر القبلي المنافس، كما أظهرته الرواية المتقدمة، فإن القبائل اليمانية إذا انتصرت للأزد، فإن قبائل مضر مستعدة لإجهاض وواد هذا الانتصار

وهذا ما حصل، فقد قتل ابن عفيف بسيف القبلية، وغلب قومه على أمرهم، وهو السيف الذي أراد ابن عفيف أن يدافع به عن نفسه. **ثانياً:** إن قبض ابن زياد على جماعة من رؤساء الأزد، جعل الجماعات المرتبطة بأولئك الرؤساء. أقل حماساً، وجدية، وحدة، وضعفت رغبتها بمواجهة الجماعات التي استعان بها ابن زياد على الأزد.

ومن المعلوم: أن سياسات بني أمية كانت تقضي بتكثير الزعامات في القبائل، وخلق مناخات تنافسية بينها، وإشاعة أجواء تحاسد وتباغض، وسعي كل منها إلى إضعاف الآخرين.

وهذا الضعف قد جعل كل هؤلاء الرؤساء يجدون أنفسهم بحاجة إلى أولئك الظلمة، الذين يعرفون من أين تؤكل الكتف، ولهم مهارات عالية في جعل الجميع خدماً، أو حتى عبيداً لهم. كما تقدم عن زيد بن أرقم حين واجه ابن زياد، بسبب ما كان يفعله بالرأس الشريف.

وكان الحكام يفرضون على هؤلاء الضعفاء من رؤساء القبائل تلبية مطالبهم مهما كانت، وإلا فإنهم سوف يواجهون المصائب والكوارث. وكثيراً ما كانوا يغرون بعضهم ببعض، فتمزق الخلافات والأحقاد القبيلة الواحدة، وتحولها إلى شظايا متناثرة.

كما أن اللافت: أنه إذا تعرض بعضهم لشدة، فإنه لا يحظى بنصرة القبيلة كلها، بل بطائفة محدودة منها، وهي المقتنعة بزعامته، أو التي تجد مصالحها مرهونة به، أو أن حظها معه أوفر، ونصيبها أكبر.

ثالثاً: وقد تجسد هذا التحاسد بين الرؤساء، حين أغرى قسم منهم ابن زياد بأخذ رؤساء الأزد، ومطالبتهم بتسليم ابن عفيف إليه، أو لا خلاص لهم من يده.

وهذا الاغراء لا مبرر له:

ألف: لأن الله تعالى يقول: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى). فكيف إذا كانا معاً بريئين، كما هو حال ابن عفيف، فإنه إنما قال كلمة الحق عند سلطان جائر، فما بال هؤلاء الرؤساء يتآمرون عليه، ويدبرون لتمكين ابن زياد منه، ليبطش به، ويجهز عليه؟!

ألم يكن الأجدر بهم، وهم المسؤولون عن جماعات من الناس، والمؤتمنون على أرواحهم، وأموالهم، وأعراضهم؟! ألم يكن الأجدر أن يكونوا إلى جانب ناصر الحق.. وأن يعموا على ابن زياد سبل الوصول إليه، والتمكن منه؟!

ب: لماذا لا يتعاملون مع هذه القضايا على أساس تحاشي أن يكونوا - يوماً ما - مصداقاً للقول المعروف: «أكلت يوم أكل الثور الأبيض» فيحفظوا بذلك أنفسهم وجماعاتهم..

فإن الطاغية الذي يقتل أبناء الأنبياء، لن يسلم من برائته إلا الشاذ النادر، ممن هم على شاكلته. أما هؤلاء الرؤساء الذين يمالئون،

ويزينون له مواصلة بغيه وبطشه، فهم معه كمن يرقص الحية، أو كراكب الأسد، فإنه لا يدري متى يفتك به الأسد، ومتى تنهشه تلك الحية.

الحمد لله الذي أخزأك:

وتقدم: أنهم حين أخذوا عبد الله بن عفيف بعد قتال عنيف معه، ومع قومه، ومن معهم من قبائل ناصرته، قال ابن زياد «لعنه الله» لابن عفيف: «الحمد لله الذي أخزأك».

وحيث إن الخزي: هو المهانة والذل. وقيل: أصل الخزي ذل يستحيا منه. فقد تعجب ابن عفيف من هذا القول، فقال له على سبيل الاستفهام الإنكاري: «يا عدو الله، بهذا أخزاني؟!».

وجدير هذا التعجب بابن عفيف، وبكل عاقل منصف، فإن من قاتل هذا القتال المر بالرغم من كونه أعمى، وقد اجتمعت عليه الرجال، فلم يتمكنوا من الوصول إليه، وهو رجل واحد لا يبصر ما حوله.

ومن تنتصر له الأزد وقبائل اليمن، هل يكون القبض عليه بعد كل هذا خزيًا له؟! أو هو شرف، وكرامة ورجولة وشهامة قل نظيرها؟! وألا يدل ذلك على قيمته ومكانته في الناس.

هل استطاع ابن زياد بكل بطشه وطغيانه، ومعه كل هذه الكتائب التي حشدها ضد ابن عفيف، والحرب التي خاضها معه مباشرة، ومع مناصريه، حتى كثرت القتلى بينهم - هل استطاع -: أن يكسر كلمة

هذا الرجل الأعمى، الذي يعرف أنه مقتول بعد لحظات؟!
 ألا تنال مواقف وكلمات، وأجوبة هذا الرجل لابن زياد، بعد
 مقاومة شرسة - ألا تنال - الإعجاب، والاحترام والتقدير؟!
يقول الراوي: «وجعل القوم يدورون عليه، من خلفه وعن يمينه،
 وعن شماله. وهو يذب عن نفسه بسيفه، وليس يقدر أحد أن يتقدم
 إليه».

قال: وتكاثروا عليه من كل ناحية حتى أخذوه.
والأدهى والأمر: أن ابن زياد يريد أن يدعي أن القتل مذلة
 وخزاية، وضعف للمقتول.
 وهذا ادّعاء باطل، فقد قال له الإمام السجاد: «القتل لنا عادة،
 وكرامتنا من الله الشهادة»..
 والشهداء كما قال تعالى: (أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)^(١). وهم
 (فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ)^(٢)..

وهذا ابن عفيف يستنكر أن يكون هذا الجهد والجهاد الذي بذله
 من مفردات الخزي، بل هو من أجلى وأعلى مظاهر العزة والعظمة،
 والشموخ وهو يستحق الإعجاب والتقدير في الدنيا، وبه ينال المقام
 المحمود في الآخرة.

(١) الآية ٩ من سورة الكهف.

(٢) الآية ١٥ من سورة الروم.

ولو صح كلام ابن زياد، لكان جميع من قتلوا أو أسروا أو قتلوا ظلماً وعدواناً من الأنبياء كيحى، وكثير من أنبياء بني إسرائيل، ومن الأخيار والعلماء الأبرار، والأئمة الأطهار - لو صح منطق ابن زياد - لكانوا في موقع المهانة والخزاية والذل الذي يستحيا منه. وهذا يخالف ما تحكم به العقول، وما بلغه القرآن الكريم، والرسول «صلى الله عليه وآله»..

ما تقول في عثمان؟!:

وقد طرح ابن زياد على عبد الله بن عفيف سؤالاً يقول: ما تقول في عثمان بن عفان؟!:

ويبدو لنا: أن الهدف من طرح هذا السؤال، الاستدراج للإخراج، ولاستخراج كلام حاد من ابن عفيف، ليجعل منه ذريعة للبطش به، حيث إنه كان قد صمم على قتله مهما كان الثمن. ولكنه شعر بالحاجة الشديدة إلى هذا الاستدراج لاعتبارات عديدة، منها:

- ١ - أن ابن عفيف كان أعمى، وقُتل رجل أعمى من غير ذنب، سوى انتصاره للنبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته الطاهرين غير مستساغ للذائقة العامة، وتشمئز منه نفوسهم، ويمقتون عليه فاعله..
- ٢ - لقد كان ابن عفيف من خيار الشيعة، فهو لا يفارق المسجد الأعظم، يصلي فيه إلى الليل، ثم ينصرف إلى منزله..
- ٣ - إن المساجلة التي جرت بينه وبين ابن زياد، قد اتخذت من قبل ابن زياد طابع الشتيمة للأشخاص الذين طهرهم الله، ومن قبل ابن

عفيف رد الشتيمة على صاحبها، مشفوعة بالاستدلال الذي لا يستطيع أحد رده، أو النقاش فيه.

٤ - إن ابن عفيف لم يغضب لأجل أمر يمسه هو شخصياً، بل لأجل شدة عدوانية، وجرأة ووقاحة ابن زياد، الذي يقتل أبناء النبيين، ثم يسب أبرار الأمة، وأفضل الأئمة، وسيد الأوصياء على منابر المسلمين.

كما أنه يقتل الذين نزل القرآن بتطهيرهم، ثم يدعي أنه على دين الإسلام.

٥ - إن ابن زياد يشتم الأئمة الأطهار، مع أنه ملعون على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله».

والظاهر: أنه يقصد بذلك ما ورد في لعن قاتل الحسين «عليه السلام».

٦ - إن ابن عفيف تارة يقول لابن زياد: يا ابن عبد بني علاج، وأخرى يقول له: يا ابن مرجانة، أو يا ابن سمية..

وقد وصفه الإمام الحسين «عليه السلام» يوم عاشوراء بقوله: إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة..

وبعد ما تقدم نقول:

إن أسهل شخص يمكن استدراج الناس أننذ إلى الوقوع فيه، والتحامل عليه هو عثمان بن عفان، الذي نقم عليه الناس في أقطار

العالم الإسلامي، وقصدت طوائف من الكوفة ومصر وغيرهما المدينة للاعتراض عليه، وثار عليه أكثر الصحابة في المدينة، وتواصلت الاعتراضات عليه إلى أن قتل.

وكان بنو أمية قد اتخذوا من قتله ذريعة للتشبيث بالحكم، واستبعاد مناوئهم، بل ربما نكلوا بأولئك المناوئين أو قتلوهم.

ولكن ابن عفيف لم يقل في عثمان شيئاً، وأصر على أن ابن زياد لا شأن له بعثمان، ولا يحق له سؤال أحد عن حاله. والله تعالى هو الذي يحكم بين العباد. فطاش سهم ابن زياد، ولكنه لم يتراجع عن قتل ذلك العبد الصالح، فقتله وصلبه.

تداعيات قتل ابن عفيف:

ينقل الخوارزمي عن محمد بن إسحاق صاحب السيرة: «أن عبيد الله لما قتل ابن عفيف الأنصاري، وجاءت الجمعة الثانية، صعد المنبر وبيده عمود من حديد، فخطب الناس وقال في آخر خطبته: الحمد لله الذي أعزّ يزيد وجيشه بالعزّ والنصر! وأذلّ الحسين وجيشه بالقتل!

فقام إليه سيد من سادات الكوفة، وهو المختار بن أبي عبيد، فقال له: كذبت يا عدوّ الله وعدوّ رسوله! بل الحمد لله الذي أعزّ الحسين وجيشه بالجثّة والمغفرة، وأذلّ وأذلّ يزيد وجيشه بالنار والخزي!

فحذفه ابن زياد بعموده الحديد، الذي كان في يده فكسر جبينه،

وقال للجلالوزة: خذوه! فأخذوه.

فقال أهل الكوفة: أيها الامير، هذا هو المختار! وقد عرفت حسبه ونسبه، وختنه عمر بن سعد، وختنه الآخر عبد الله بن عمر! فأوجس في نفسه خيفة، فحبس المختار ولم يتجرأ على قتله. فكتب المختار إلي عبد الله (أي ابن عمر) كتاباً شرح فيه القصة.

فكتب ابن عمر إلى يزيد:

أما بعد.. أفما رضيت بأن قتلت أهل نبيك حتى ولّيت على المسلمين من يسبّ أهل بيت نبينا، ويقع فيهم على المنبر؟! عبر عليه ابن عفيف فقتله! ثمّ عبر عليه المختار فشجّه، وقيدّه وحبسه!

فإذا أنت قرأت كتابي هذا فاكتب إلى ابن زياد بإطلاق المختار، وإلا فوالله لأرمين عبيد الله بجيش لا طاقة له به، والسلام.

فلما قرأ يزيد الكتاب غضب من ذلك، وكتب إلى ابن زياد:

أما بعد.. فقد ولّيتك العراق، ولم أولئك على أن تسبّ آل النبيّ على المنابر، وتقع فيهم، فإذا قرأت كتابي هذا فأطلق المختار من حبسك مكرماً، وإياك أن تعود إلى ما فعلت، وإلا فوالذي نفسي بيده، بعثت إليك من يأخذ منك الذي فيه عيناك!

فلما ورد الكتاب على ابن زياد أخرج المختار من حبسه، ودعا بمشايع الكوفة وسلّمه إليهم سالماً، فخرج المختار من الكوفة هارباً نحو

الحجاز»^(١).

٢ - وقال: ابن رسته: لما أحضر ابن زياد السبايا في مجلسه أمر بإحضار المختار، وكان محبوساً عنده من يوم قتل مسلم بن عقيل. فلما رأى المختار هيئة منكرة زفر زفرة شديدة، وجرى بينه وبين ابن زياد كلام أغلظ فيه المختار، فغضب ابن زياد وأرجعه إلى الحبس، ويقال: ضربه بالسوط علي عينه فذهبت^(٢).

٣ - وقال الشيخ محمد مهدي الحائري المازندراني:

وفي بعض الكتب: ثم إنَّ ابن زياد استخرج المختار من الحبس، وكان محبوساً، لأنه لما قتل مسلماً وهانياً وبعث برأسيهما إلى يزيد، كتب يزيد كتاباً إلى ابن زياد يشكره في ذلك، وكتب أنه بلغني أنَّ حسيناً توجه إلى العراق، فضع المناظر والمسالح، واقتل واحبس على الظنَّة والتهمة.

فلما وصل الكتاب إلى ابن زياد قتل من قتل، وحبس جماعه من الشيعة منهم المختار، فبقي في السجن حتى جيء برأس الحسين «عليه السلام»، ووضع بين يديه فغطاه بمنديل، واستخرج المختار من الحبس، وجعل يستهزيء عليه (كذا)! فقال المختار: ويلك أتستهزيء عليَّ وقد قرَّب الله فرجي؟!!

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٠٥ و ٢٠٦.

(٢) الأعلام النفسية ص ٢٢٤ ومقتل الحسين للمقرم ص ٢٢٩.

فقال ابن زياد: من أين يأتيك الفرّج يا مختار؟!

قال: بلغني أنّ سيّدي ومولاي الحسين قد توجّه نحو العراق، فلا بدّ أن يكون خلاصي على يده!

قال اللعين: خاب ظنّك ورجاؤك يا مختار! إنّنا قتلنا الحسين!

قال: صه! فضّ الله فاك! ومن يقدر على قتل سيّدي ومولاي الحسين؟!

قال له: يا مختار انظر! هذا رأس الحسين!

فرفع المنديل وإذا بالرأس بين يديه في طشت من الذهب، فلمّا نظر المختار إلى الرأس الشريف جعل يلطم على رأسه وينادي: وا سيّده! وا مظلوماه! (١).

ونقول:

المختار يتصدى لابن زياد:

١ - صريح الرواية المتقدمة: أن ما جرى لابن عفيف، ومواقف زينب والسجاد في مجلس ابن زياد لم يمر مرور الكرام، ولم يؤد إلى النتيجة التي توخاها ابن زياد، حيث ظهر من الموقف المتقدم للمختار، والذي حصل في الجمعة الثانية: أنه قد أوجد لدى الناس درجة من الجرأة بدأت تتبلور، وتظهر آثارها في كلماتهم

(١) معالي السبطين ج ٢ ص ٦٥.

وتصرفاتهم، التي تعبر عما في ضمائرهم، كما فعله ابن عفيف نفسه، ثم ما فعله المختار.

وقد تقدمت في هذا الكتاب مواقف أبي برزة، وقيس بن عباد، ورجل من بكر بن وائل، اسمه جابر، أو جبير. فضلاً عن زيد بن أرقم، وأنس بن مالك، وغيرهم..

فإن ذلك كله يشير: إلى أن ثمة جماً تحت الرماد، لا يمكن تجاهله، ولا بد من التخلص من وجوده..

ويبدو لنا: أن الشعور بضرورة تحاشي الاصطلاء بلظى هذا الجمر، هو الذي دعا ابن زياد، بعد قتل ابن عفيف إلى الإنحناء أمام العاصفة التي بدأت طلائعها تظهر، فأظهر مرونة مع الذين كان لهم دور بارز مع ابن عفيف، فلم يقتل جندب بن عبد الله الأزدي، ولا سفيان بن يزيد بن المغفل، وعبد الرحمان بن مخنف الأزدي، الذي خلى سبيله، وسبيل أخويه وبني عمه أيضاً.

ولكن ابن زياد لم يتخلَّ عن عنجهيته واستكباره، بالرغم من تمكنه من إخماد حركة الأزدي ومن ناصرهم، ثم محاولة تنقية الأجواء معهم، وتقريبهم إليه من خلال إطلاق سراح رؤسائهم، وتظاهره بالعفو عنهم. فصعد المنبر الجمعة الثانية، وبيده عمود من حديد لإظهار القوة والجبروت، وقال ما قال في حق الإمام الحسين «عليه السلام»، فتصدى له المختار على النحو المتقدم.

لماذا غضب يزيد؟!

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن يزيد كتب إلى ابن زياد: «وليتك العراق، ولم أولك على أن تسب آل النبي على المنابر، وتقع فيهم». وهذا كلام بئس، ولا قيمة له..

أولاً: فإنه إذا كان يعترض على ابن زياد لسبه آل النبي «صلى الله عليه وآله»، ويتهده بالقتل إن عاد إلى ذلك، فهل سب آل النبي «صلى الله عليه وآله» أعظم، أم قتلهم، على ذلك النحو الفجيع، وأسر نسائهم أعظم؟! فلماذا لا يقتل من قتلهم، وسبى نسائهم؟!

ثانياً: إن يزيد إنما يعترض على ابن زياد، لأنه بسبه لأهل البيت «عليهم السلام» على المنابر، يحرك مشاعر المتعاطفين معهم، ويثير حفيظتهم، ويخلق مشكلات هم في غنى عنها.. فلو أنه لم يسبهم على المنابر، بل سبهم في مجالسه الخاصة، ولم يوجب ذلك تحرك ابن عفيف، ثم تحرك المختار، فإن يزيد سوف يعطي ابن زياد الجوائز والمكافآت على ذلك..

ولو أنه لم يكثرث بكتاب ابن عمر، وأفسح المجال لابن زياد ليوصل تصرفاته هذه، لوجدت المعترضين عليه يزيداد عددهم باستمرار، وسيكونون من مختلف الفئات والقبائل.

فإن تركهم، فإن ذلك سوف يؤثر سلباً على هيئته، وهيبته الحكم كله.

وإن أراد ملاحقتهم، فسيجد: كل يوم أمامه مشكلة تشبه مشكلة

الأزد، وتتوالى صراعاته مع القبائل، وتتآكل قدراته. ويكون كمن يسير إلى حتفه بظلفه.. وسوف لا يقتصر الأمر على ابن زياد، بل سيكون ليزيد القسط الأوفر منه أيضاً.

ولأجل ذلك: أمر يزيد عبيد الله بن زياد بإطلاق سراح المختار مكرماً، وحذره من العودة إلى هذا العمل مرة أخرى.

ابن عمر يهدد ابن زياد بجيش:

وقد أضحكنا، وأبكنا في آن واحد قول ابن عمر في كتابه ليزيد: «فاكتب إلى ابن زياد باطلاق المختار، وإلا - فوالله - لأرmin عبيد الله بجيش لا طاقة له به، والسلام»..

ونقول:

١ - إننا لم نعهد ابن عمر مقاتلاً، ومدافعاً عن المظلومين إلا حين يصل موسى إلى لحيته، كأن يُحبسَ أحد ممن له به قرابة، أما قتل أهل بيت نبيه، فلا يحركه، ولا يدعوهُ إلى الإتيان بجيوشه للدفاع عن أهل النبي المظلومين، لاسيما وأنه يدّعي أنه يملك جيشاً لا طاقة لابن زياد به.

٢ - إننا نحسب أن الجيش الذي تحدث عنه ابن عمر، هو جيش من الأوهام، أو هو جيش رآه في منامه. وإلا، فإن ابن زياد قد حشد لحرب الإمام الحسين «عليه السلام» ثلاثين ألفاً لياشروا قتله، بالإضافة إلى عشرات الألوف الأخرى التي شحن بها الطرق والمسالك والبلاد المختلفة، وأدّخرها لنجدة الثلاثين ألفاً، إن لزم

الأمر، وجاء بنفسه وأقام معها في النخيلة كما تقدم.

إطلاق سراح المختار:

ونستفيد من النصوص المتقدمة: أن المختار كان قد حبس حين قتل مسلم بن عقيل، وبقي في الحبس إلى أن استشهد الحسين «عليه السلام»، فأخرجه ابن زياد ليعبث به، ويرى ردة فعله، وجعل الرأس في طشت وأراه إياه، فاشتد على المختار ذلك، ثم قتل ابن عفيف، وخطب ابن زياد في الجمعة التالية خطاباً وقحاً حفظ المختار، فواجهه بالاعتراض، فحبسه ابن زياد، فحينئذ كتب المختار إلى ابن عمر بما جرى، وكتب ابن عمر ليزيد في إطلاقه.

ويحتمل أيضاً: أن يكون ابن عمر قد كتب إلى يزيد حين حبس المختار في أمر مسلم بن عقيل، فأطلق ابن زياد سراحه، ثم أراد أن يعيده إلى السجن في قصة الرأس المقدس، فلم ير سبيلاً عليه، ولكنه حبسه في أمر ابن عفيف. فكتب ابن عمر إلى يزيد في إطلاق سراحه، فأطلق.

الفصل التاسع:

أحداث لا بد من التوقف عندها..

إخفاء الأدلة:

قال ابن الأثير الجزري: «ثم إن ابن زياد قال لعمر بن سعد بعد عوده من قتل الحسين: يا عمر، ائتني بالكتاب الذي كتبتك إليك في قتل الحسين.

قال: مضيت لأمرك وضاع الكتاب!

قال: لتجنني به.

قال: ضاع!

قال: لتجنني به.

قال: ترك والله يُقرأ على عجائز قريش بالمدينة اعتذاراً إليهن! أما والله لقد نصحتك في الحسين نصيحة لو نصحتها أبي سعد بن أبي وقاص لكنت قد أدبت حقه!

فقال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق! والله، لو ددت أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة، وأن الحسين لم يقتل.

فما أنكر ذلك عبيد الله بن زياد^(١).

ونقول:

١ - يبدو لنا: أن ابن زياد أراد استرجاع كتاب الأمر الذي أصدره لابن سعد بقتل الحسين «عليه السلام»، لأنه يريد إخفاء الأدلة، أو التخلص منها، لكي يتسنى له إلقاء التبعة على عمر بن سعد، فيدّعي أنه لم يأمره بقتل الحسين، بل أمره بأخذه، لكي لا يصل الأمر إلى ما لا تحمد عقباه، أو ليكرمه ويعظمه.. ولكن ابن سعد قد انقاد لهواه، من دون علم، أو موافقة، أو رضا ابن زياد..

٢ - بل قد يكون الهدف أبعد من ذلك، وهو: أن يجعل ابن سعد قرباناً لهذه القضية، ويتخلص منه إن تفاقمّت الأمور، واحتاج إلى إرضاء العامة، وتسكينهم، فيأتي بابن سعد، ويقتله جزاء على فعلته بزعمه..

وبذلك يكون قد حصل على الثناء والرضا من الناس، وتخلص من الحسين، وتخلص أيضاً ممن قد تكون له مطامع كبيرة، وهو ابن سعد،

(١) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٩٣ و ٩٤ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٢٧ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٧٢ والمنتظم ج ٥ ص ٩٨ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص ٨٨ وبحار الأنوار ج ٥ ص ١١٨ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٨٥.

فيكون قد حقق أمانيه دون أن يخسر شيئاً، سوى رجل واحد، وهو ابن سعد، الذي كان يرى فيه منافساً محتملاً، أو حاسداً، أو حاقدًا، أو متوقعاً لأمر لا يريد ابن زياد أن يعطيه إياه..

والظاهر: أن ابن سعد قد أدرك طرفاً من نوايا ابن زياد، فادّعى ضياع الكتاب، حتى لا يكون هو لقمة سائغة تسحقها أنياب ذلك الوحش الكاسر.

ولأجل ذلك عاد وقال له بما يشبه التهديد بإفشاء أمر هذا الكتاب بصورة واضحة وفاضحة، بعد أن خيَّب ابن زياد مسعاه، ولم يعطه ما تمناه، ونقض عهده، وخاس بوعده. وخسر الآخرة كما خسر الدنيا.. فيقول النص التاريخي:

وخرج عمر بن سعد من مجلس ابن زياد يريد منزله، وهو يقول في طريقه: «ما رجع أحد إلى أهله بشرّاً مما رجعت به!!! أطعت الفاجر الظالم ابن زياد، وعصيت الحكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة»!(١).

(١) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٨٨ و ١٨٩ وراجع: أنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢١١ وبغية الطلب ج ٦ ص ٢٦٣١ ومثير الأحران ص ١١٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٨٨ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٨ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٨٦ والطبقات الكبرى (القسم غير المطبوع) ص ٨١. وراجع: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٠٣.

موقف أبي برزة:

روى الخوارزمي بسند إلى أبي العالية البراء، قال: لما قتل الحسين «عليه السلام» أتى عبيد الله بن زياد برأسه، فأرسل إلى أبي برزة، فقال له عبيد الله بن زياد: كيف شأنك وشأن الحسين ابن فاطمة يوم القيامة؟!

قال: الله أعلم، فما علمي بذلك؟!

قال: إنما أسألك عن علمك.

قال: أما إذا سألتني عن رأيي، فإن علمي أن الحسين «عليه السلام» يشفع له جده محمد «صلى الله عليه وآله»، ويشفع لك زياد.

فقال: اخرج! لولا ما جعلت لك لضربت والله عنقك! فلما بلغ باب الدار، قال: لئن لم تغد عليّ وترح لأضربن عنقك!!^(١).

موقف قيس بن عباد:

وينقل سبط ابن الجوزي عن الشعبي: أنه كان عند ابن زياد قيس بن

عباد، فقال له ابن زياد: ما تقول فيّ وفي حسين؟!

فقال: يأتي يوم القيامة جدّه وأبوه وأمه فيشفعون فيه، ويأتي جدّك وأبوك وأمّك فيشفعون فيك! فغضب ابن زياد وأقامه من المجلس^(٢).

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٤٩ و ٥٠ وراجع: الحقائق الوردية ج ١ ص ١٢٣.

(٢) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٨٦ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١٩٧.

وروي: أن حارثة بن بدر أجاب ابن زياد بنفس هذا الجواب، فراجع^(١).

رجل من بكر بن وائل:

وقال المدائني: كان ممن حضر الواقعة رجل من بكر بن وائل، يقال له: جابر، أو جبير، فلما رأى ما صنع ابن زياد، قال في نفسه: لله عليّ ألّا أصيب عشرة من المسلمين خرجوا على ابن زياد إلّا خرجت معهم.

فلما طلب المختار بئار الحسين «عليه السلام» والتقى العسكران برز هذا الرجل وهو يقول:

وَكُلُّ شَيْءٍ قَدْ أَرَاهُ فَاسِدًا إِلَّا مَقَامَ الرَّمْحِ فِي ظِلِّ الْقَرْسِ

ثم حمل على صفوف ابن زياد وصاح: يا ملعون، يا ابن ملعون، يا خليفة الملعون. فتفرق الناس عن ابن زياد، فالتقيا بطعنتين فوقعا قتيلين.

وقيل: إنما قُتل ابن زياد إبراهيم بن الأشرم لما نذكر^(٢).

ونقول:

(١) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٩٥.

(٢) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٨٦ وراجع: حياة الإمام الحسين للقرشي ج ٣ ص ٣٤٣ عن مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ص ٩٨.

مع حديث أبي برزة:

قد يقال: إن النص الذي ذكر أن أبا برزة قد وقف هذا الموقف من ابن زياد قد يكون موضع ريب، فقد ذكرت رواية أخرى: أنه كان بالشام، وكان له موقف قوي من يزيد حين صار ينكت ثغر الحسين «عليه السلام» بالقضيب^(١).

إلا أن يقال: لا مانع من أن يكون أبو برزة بعد أن حضر مجلس ابن زياد، قد سافر إلى الشام، ودخل على يزيد، فصادف وصول الرؤوس إليه، فكان ما كان بينه وبين يزيد..

كما أن من المحتمل أن يكون الراوي هو الذي وهم وخطأ بين الكوفة والشام، وبين يزيد وابن زياد.

ويردّ هذا الاحتمال: أن ما حصل في الشام يختلف كثيراً عما حصل في الكوفة، وإن كانت رواية الطبري لما جرى في الشام لا

(١) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٥ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢٤١ وتحفة الأحوذ ج ١٠ ص ١٩٣ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ١ ص ٣٩٧ وذوب النضار ص ١٤٢ والكنى والألقاب ج ١ ص ٣٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٧ ص ٤٥٩ وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٦ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٥٩ والأغاني ج ١٨ ص ٤٤٦ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٩٥ وتاريخ الكوفة ص ٢٧٣ والفتوح لابن أعثم ج ٦ ص ٢٨٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٤٣.

تبعد كثيراً عن رواية ما جرى في الكوفة^(١). فراجع وقارن.

ابن زياد جاهل أو يتجاهل:

يستوقفنا في قصة أبي برزة، وقيس بن عباد هذا السؤال الذي طرحه ابن زياد عليهما. بل هو يرسل إلى أبي برزة ليسأله إياه، وهو ما حقيقة رأييه فيه وفي الإمام الحسين «عليه السلام».

ونحن نعلم: أن ابن زياد كان يعرف الجواب مسبقاً، ولكنه يريد:

أولاً: أن يعرف إن كان ثمة من يجرو على إبداء رأي يخالف هواه، أو يكون لصالح الحسين «عليه السلام»، أو لا يوجد أحد يجرو على ذلك..

ثانياً: إنه كان يعرف أن الدعي، والعدو لله ولرسوله، وقاتل الأولياء والأصفياء وأهل الإيمان لا يمكن أن يكون إلا في درك الجحيم، وأن من يكون سيد شباب أهل الجنة، وإمام الأمة، وريحانة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يكون إلا في عليين، مع الأنبياء والمرسلين، ومع محمد وآله الطاهرين.

ولكنه يتجاهل على الناس، ربما ليتمكن من ترويج مقولته

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٦٥ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٥٦ وراجع: أنساب الأشراف (ترجمة الإمام الحسين) ج ٣ ص ٢١٥ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٥.

الباطلة: أن المقتول المغلوب هو الذليل المهان، وأن القاتل المجرم هو المكرم والمعظم، والمقدم على الأقران، وهو الذي يستحق الجنان. وهذا تشويه للحقائق، وعبث بالمفاهيم، وتقويض للقيم، والمثل العليا.

ومما يؤكد النوايا السيئة لدى ابن زياد: تكراره طرح نفس سؤاله هذا على عدة أشخاص لهم مكانتهم وموقعهم في الناس.. ظناً منه: أنه سوف يظفر ولو لدى واحد منهم بجواب هزيل فيه تملق الطامع، ورعشات قلب الخائف الخانع، والجبان، فينفخ جوابه هذا ببوق العنجهية والبعغي الذي أعده للمواقف الحرجة، وكأنه قميص عثمان، ولو بعد أن أخلقه مرور الأزمان.

الجواب الصريح والفاضح:

وكان جواب أبي برزة، وقيس بن عباد، وحارثة بن بدر، متوافق المضمون والمآل، وإن لم يكن عن اتفاق وتواطؤ بينهم كما دلت عليه ظواهر الأحوال.

والناظر في هذا الجواب يدرك: أنه قد وضع ابن زياد بين فكي كمامشة، فهو لا يستطيع أن يتبرأ من أبيه، ولا أن يرضى بالتذكير بقبائح أفعاله، أو حتى بتعريف الناس بها.. بل يفترض فيه إذا كان يدعي لأبيه الإسلام والإيمان، والاستقامة أن يعتز بانتسابه إليه، وبأن يكون معه في الدنيا، وأن يشاركه مصيره في الآخرة.

ولكن ابن زياد كان يعلم: أن الأمر ليس بهذه البساطة، لأن أمر

أبيه في الدنيا، ومصيره في الآخرة كان لا يخفى على أحد.. فلم يكن قادراً على البراءة منه في الدنيا، وكان أيضاً عاجزاً عن قبول مشاركته في المصير والمآل في الآخرة.

والذي زاد من غيظه، وتثمره: أنه لا يجد سبيلاً لإنكار موقع الحسين من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو الغض من مقامه عنده وحظوته لديه، فإن ذلك مؤيد ومسدّد بالآيات الكثيرة، وبالأقوال والمواقف النبوية الغزيرة، المنتشرة في الأمة، والمستقرة في وجدانها، ولا يمكن مواجهتها بقوة السيف، ولا بالبرهان والحجة، فإنها هي عين الحجة عليه، والإدانة له..

إن لم تعد ضربت عنقك:

وهذا يفسر لنا تغيظه على أبي برزة، وقيس بن عباد، وسواه، فطرد أبا برزة من مجلسه، ثم استدرك على هذا الطرد، بتهديده الصارم لأبي برزة بأنه وإن لم يغد عليه ويرح، فسيضرب عنقه.. وذلك لأنه يريد أن يستثمر حضور أبي برزة لتمرير مخططاته الجهنمية، والتغطية على جرائمه، وتهوين أمرها، إن لم يكن تحويلها إلى انجازات وكرامات.

حيطان دار الإمارة تسيل دماً:

١ - روى ابن عساكر بسنده عن «بواب عبيد الله بن زياد: أنه لما جيء برأس الحسين، فوضع بين يديه، رأيت حيطان الإمارة تسيل

دماء»^(١).

٢ - قال سبط ابن الجوزي: «..إن الرباب بنت امرئ القيس،
 زوجة الحسين أخذت الرأس، ووضعته في حجرها، وقبّلتها، وقالت:
 وَأَحْسَيْنَا فَلَا نَسِيْتُ حُسَيْنًا أَقْصَدْتُهُ أَسِنَّةَ الْأَعْدَاءِ
 غَادَرُوهُ بِكَرْبَلَاءَ صَرِيحًا لَأَسْقَى اللَّهَ جَانِبِي كَرْبَلَاءِ»^(٢)
 وكان من رثائها «رحمها الله» في أبي عبد الله «عليه السلام»:
 إِنَّ الَّذِي كَانَ نُورًا يُسْتَضَاءُ بِكَرْبَلَاءَ قَتِيلٌ غَيْرُ مَدْفُونٍ
 سَبَطَ النَّبِيُّ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً عَنَّا وَجُبَّتْ خُسْرَانِ الْمَوَازِينِ
 قَدْ كُنْتُ لِي جَبَلًا صَعْبًا أَلُوذُ وَكُنْتُ تَصْحَبُنَا بِالرَّحْمِ وَالِدَيْنِ
 مَنْ لِّلْيَتَامَى وَمَنْ لِّلْسَائِلِينَ يُغْنِي وَيُؤْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مِسْكِينٍ
 وَاللَّهِ لَأَبْتَغِي صِهْرًا بِصِهْرِكُمْ حَتَّى أَغَيَّبُ بَيْنَ الرَّمْلِ

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٢٢٩ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر
 (بتحقيق المحمودي) ص ٣٦١ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦٣٦
 وتهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٣٤ وراجع: الصواعق المحرقة ص ١٩٤ وذخائر
 العقبي ص ١٠ و (نشر مكتبة القدسي) ص ١٤٥ وشرح إحقاق الحق
 (الملحقات) ج ١١ ص ٤٦٣ وج ٢٧ ص ٣٦٢.

(٢) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٩٢.

(٣) الأغاني ج ٢ ص ١٥٨ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ١٦ ص ٣٦٢

ونقول:

إن الرواية الأولى: مروية عن حاجب عبيد الله بن زياد، والمفروض، والمتوقع أيضاً: أن يكون هذا الرجل قد اختير بعناية وتدقيق، وقد روعيت فيه مواصفات بعينها.

منها: أن يكون شديد الإخلاص لابن زياد ويزيد خاصة، وللنهج الأموي على وجه العموم..

ومنها: أن يكون مبغضاً لأهل البيت، وعلى رأسهم علي أمير المؤمنين، والحسن والحسين «عليهم السلام»..

ومنها: أن يكون منغمساً في المآثم، والموبقات، التي ينغمس فيها أسياده، ومن يراهم أولياء نعمته.

ومنها: أن يكون ممن لا يتورع عن ارتكاب أية جريمة، والاتيان بأية عزيمة يطلبها منه أسياده.

ومنها: أن يكون بالغ القسوة، شحيح العاطفة، ضعيف الدين والاعتقاد، وغير ذلك.

ومن كان هذا حاله، كيف يروي: أنه لما جيء برأس الحسين «عليه السلام»، فوضع بين يدي ابن زياد رأى حيطان دار الإمارة تسایل دماً؟!!

والوفاي بالوفيات ج ١٤ ص ٥٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٧٦٢.

ونجيب:

إن جميع هذه المواصفات لا تمنع من هي فيه من رواية ما يشاهده من غرائب وعجائب، فإن أمثال هذه الأمور تفرض نفسها عليه. لاسيما إذا كان يرى نفسه شريكاً فيما يجري، ولو بالتأييد والمعونة. فإن الحدث المعجز يثير لدى الإنسان الفضول، فيسعى لاستكناه ما يجري، وتلمس مدى تأثيره على مستقبله، أو لأجل التباهي، والظهور بأنه رأى ما لم يره أحد غيره.

أو لأجل أن ظهور الأمر العجيب أمام ناظره، يجعله يشعر بأن ثمة قوة لا يقدر على رؤيتها، ولا يعرف أحوالها، ولم يكتشف حجمها، وخصوصياتها، ولا يعرف وسائلها، وهو عاجز عن مواجهتها ومقاومتها.

أو لأجل أن ما رآه أوجب بلبالاً، وقلقاً متواصلاً على مصيره، وسلامة مسيره، فهو يريد أن يعيد النظر في أموره، ويصح مسيره، ويستدرج الآراء، ليأخذ بأيسرها عليه. إذا كان يحفظ له الحال التي هو عليها، ويعطيه الشعور بالسلام والسلامة، ويبقى هنا سؤال، عن السبب في عدم تواتر رواية هذا الحدث الغريب والعجيب، مع توفر الدواعي على نقله، وتداوله.

ويمكن أن يجاب:

أولاً: بأن السلطة الغاشمة لم تكن تسمح بشيوع الروايات المظهرة لفضل، وحقانية ما عليه أهل البيت «عليهم السلام»، أو التي

تدين سياسات وممارسات أعدائهم..

ثانياً: إن معاوية نفسه هو الذي أصدر أوامره لمن حوله من وعَّاظ السلاطين بالمنع من رواية أي شيء في عليٍّ وأهل بيته، وطلب أن لا تبقى فضيلة له «عليه السلام» إلا ويأتوه بمثلها في أعدائه ومناوئيه^(١).

ثالثاً: هناك أمور كثيرة تتوفر الدواعي على نقلها، ولم تنقل لنا بأكثر من هذا فلم تتجاوز أخبار الآحاد، بل هناك من العجائب والغرائب لم تصل أخبارها إلينا أصلاً.. ربما لأنها تعثرت في هذا الطريق الطويل، المملوء بالموانع والمهالك، بسبب الكوارث والمآسي، والنكبات التي تعرض لها حملة الآثار عبر الدهور والأعصار، فإنهم كثيراً ما أحرقت مكتباتهم، ونهبت مدخراتهم، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

قطرة من دم الحسين x:

قال خواند أمير المتوفى في القرن العاشر الهجري، وابن أعثم الكوفي المتوفى سنة ٣١٤ هـ ما ترجمته.. والنص لابن أعثم:

«..لما وضع رأس الحسين عند ابن زياد أخذه بيده، وجعل ينظر إلى وجهه وشعره، فارتعش اللعين (ارتعدت يداه) ارتعاشاً شديداً.

فوضع الرأس على فخذة فسال من حلقه (فقطرت قطرة من نحره

(١) راجع : النصائح الكافية لمن يتولى معاوية من ص ٧٢ حتى ص ٧٤ .

الشريف على ثوبه) فنفذت منه إلى فخذة فجرحه جرحاً منكراً، وأصبح متعفنًا، فكلما عالجه لم ينفع، وصار يزداد عفونة ونتاجاً، فكان يحمل معه المسك لاختفاء ذلك النتن، حتى هلك لعنه الله»^(١).

ونقول:

لعل من فوائد هذا الذي جرى: لابن زياد ما يلي:

ألف: إن الجبابة ينسون عادة أو يتناسون جرائمهم السابقة، فلا يتذكرونها إلا قليلاً، وذلك حيث لا يضرهم ولا يزعجهم تذكرهم لها.. ولعل انشغالهم بجرائم حاضرة، يساعد على استغراقهم في هذا النسيان، وعدم الاهتمام بها ولها، لأنهم يرونها أمراً عادياً، لا يستحق التفكير فيه، ولا ينبغي أن يشغلوا بالهم به..

ولكن بما أن تلك القطرة الشريفة قد تركت أثراً ظاهراً في جسد ذلك الطاغية، وهو الجرح المتعفن، فلا بد أن يشعر باستمرار بالمعاناة منه، لأنه جرح لا يشفى، وتبقى آلامه ملازمة له، وبذلك يصبح مضطراً لتذكر الحدث الذي أدى إلى ذلك الجرح.

ب: إن نفس شعور ابن زياد بالعجز عن معالجة هذا الجرح،

(١) حبيب السير ج ٢ ص ٥٩ والفتوح لابن أعثم (الترجمة الفارسية)، وروضة الأحباب كما في ناسخ التواريخ (قسم سيد الشهداء) ج ٣٠ ص ٥٩ و ٦٠ ومعالى السبطين ج ٢ ص ١٠٩ والإمام الحسين وأصحابه (للشيخ فضل علي القزويني) ج ١ ص ٣٩٣ ووسيلة الدارين ص ٣٦٣.

والتخلص من آلامه وتبعاته المختلفة، سيكون من أسباب ذله، وصغر نفسه، وسيصبح شعوره بهذا العجز عذاباً له فوق العذاب الجسدي الملازم له.

وقد قال المنصور العباسي للصادق «عليه السلام»: لأي شيء خلق الله الذباب؟!!

قال «عليه السلام»: لينزل به الجبارين^(١).

ج: ومما يزيد في ذل وانكسار ابن زياد خشيته الدائمة من ظهور تلك الرائحة النتنة لجلسائه، فإن هذا يشعره بالهوان والصغار،

(١) علل الشرائع ج ٢ ص ٤٩٦ وبحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٦٦ وج ٦١ ص ٣١١ ومستدرک سفينة البحار ج ٣ ص ٤٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٠ ص ١١٣ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٩٢ و ٩٣ وج ٢٨ ص ٤٣٩ وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٦٤ وج ٧ ص ٢٠١ و ٢٠٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٩ ص ٦٣٩ وتاريخ الخلفاء ص ٢٩٤ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٣٧٥ والوافي بالوفيات ج ١١ ص ١٠٠ ومطالب السؤل ص ٤٤٠ و (ط طهران) ص ٨٢ وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٧٠ ومعارج الوصول ص ١٣٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢ ص ٩١٥ و (ط الغري) ص ٢٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٢ ص ٢٧٥ عن: حلية الأولياء (ط السعادة بمصر) ج ٣ ص ١٩٨ والتذكرة لابن الجوزي (ط الغري) ص ٣٥٣ والمختار في مناقب الأخيار للشيباني (نسخة مكتبة الظاهرية بدمشق) ص ١٧ ونور الأبصار للشبلنجي (ط العثمانية بمصر) ص ٢٠٠ وأخبار الدول وآثار الأول للقرماني (ط بغداد) ص ١١٢.

ولاسيما إذا بدا الضيق على أولئك الجلساء، وصاروا يختلقون الأعداء للابتعاد عنه، تحاشياً منهم لرائحته الكريهة.

د: إن ذلك الطاغية لا بد أن يبقى في حيرة من أمره، فإنه لم يعهد أن ادّعى أحد أن قطرة دم تحدث جرحاً له هذا الأثر، ثم يكون هذا الجرح مستعصياً على العلاج.. ثم يصبح ذلك الجرح مصدر إزعاج للجلساء، وإحراج للطواغيت.

ويتفاقم انزعاج ابن زياد: أنه لو ذكر ذلك لأي كان من الناس، فإنه سوف لا يتردد في وضع هذا الأمر في خانة الكرامة الإلهية للحسين «عليه السلام»، والمعجزة الربانية، التي تهدف إلى اظهار الغضب الإلهي الدائم على قاتله.

هـ: إن نفس أن يعيش ابن زياد حالة الإرباك الدائم، والانشغال المستمر بنفسه، سيضعف كيانه، ويهزمه نفسياً، ويحد من قدرته على مواصلة ارتكاب الجرائم والعظائم.

العدوان على الرأس الشريف:

١ - ذكر عبد الله بن عمر الورّاق في كتاب (المقتل)، أنه لما حضر الرأس بين يدي ابن زياد أمر حجاماً، فقال له: قوّره.

فقوّره وأخرج لغاديدته، ونخاعه، وما حوله من اللحم - واللغاديد ما بين الحنك وصفحة العنق من اللحم - فقام عمرو بن حريث المخزومي، فقال: يا ابن زياد، قد بلغت حاجتك من هذا الرأس! فهب لي ما ألقيت منه.

فقال: ما تصنع به؟!!

فقال: أواريه.

فقال: خُذْهُ.

فجمعه في مطرف خزٍّ كان عليه، وحمله إلى داره، فغسله، وطيبه، وكفّنه، ودفنه عنده في داره، وهي بالكوفة تُعرف بدار الخزّ، دار عمرو بن حريث المخزومي^(١).

٢ - قال الخوارزمي: «.. ولما جيء برأس الحسين إلى عبيد الله، طلب من يقوِّره، ويصلحه، فلم يجروا أحد على ذلك، ولم يحر أحد جواباً.

فقام طارق بن المبارك، فأجابه إلى ذلك.

فقام به، فأصلحه، وقوِّره.

فنصبه (يعني ابن زياد) بباب داره»^(٢).

٣ - قال اليافعي: «وذكروا مع ذلك ما يعظم من الزندقة والفجور؛ وهو أن عبيد الله بن زياد أمر أن يقوِّر الرأس المشرف المكرم، حتى ينصب في الرمح، فتحاشى الناس عن ذلك.

فقام من بين الناس رجل يقال له طارق بن المبارك، بل هو ابن

(١) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٩١ و ١٩٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٢.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٥٨ و ٥٩.

المشؤم المذموم ، فقوَّره، ونصبه بباب المسجد الجامع.
وخطب خطبة لا يحل ذكرها»^(١).

ونقول:

توضيحات:

قوَّر الشيء: قطعه من وسطه خرقاً مستديراً.
فنصبه بباب داره: أي أن ابن زياد فعل ذلك.
ونصبه بباب المسجد: أي أن ابن زياد فعل ذلك.
فخطب خطبة لا يحل ذكرها: المقصود ابن زياد أيضاً.

التشويه للتمويه:

وقد رأينا: أن رواية الخوارزمي حولت بقولها: طلب من يقوِّره،
ويصلحه. ثم قولها: «فقام به، فأصلحه، وقوَّره».

- حاولت - تلطيف هذا العمل الإجرامي، والتخفيف من قبح هذا
التجوير الذي كان في غاية القبح، حتى لقد اعتبر اليافعي الإقدام عليه
أعظم من الزندقة والفجور.

ويشهد لصحة قول اليافعي هذا: قول رواية الخوارزمي بالذات:
«فلم يجسر أحد على ذلك»، وقول اليافعي: «فتحاشى الناس عن
ذلك»، فلولا أن هذا الأمر كان جريمة عظيمة بنظر الناس، فلماذا

(١) مرآة الجنان ج ١ ص ١٣٥.

يتحاشونه؟! بل لماذا لا يجسرون على الاقدام عليه؟!!

ابن حريث يستدرك بعض الأمر:

ويبدو: أن عمرو بن حريث قد لاحظ: استعظام الناس ما فعله ابن زياد، وخوفهم من عواقبه، فحاول أن يهدئ من روعهم، فطلب من ابن زياد أن يسمح له بأخذ ما استخرجه ذلك المجرم من الرأس الشريف، لكي يدفنه.

فسمح له به، فحمله إلى بيته، وفعل ما ينبغي أن يفعل حسب قول الراوي.

ونحن وإن كنا نعلم: أن عمرو بن حريث كان من المنحرفين عن خط السلامة والاستقامة، ومن أعوان الظلمة، ولم نطلع على حقيقة نيته، ودوافعه لإقدامه على هذا الأمر.

ولكننا نرى: أنه عمل مرضي في حد نفسه، وإن كنا نتمنى أن لو كان ابن حريث قد تدخل لإقناع ابن زياد بعدم التصرف بالرأس الشريف بالتقوُّير الذي تحدثت عنه النصوص المتقدمة.

أو لو أنه ردعه عن ضرب ثنايا الحسين «عليه السلام» بالقضيب.

أو لو أنه منعه من وضع رجله على الرأس الشريف، حين جيء به إليه.

بل هو ابن المشؤوم:

وقد نفت نظرنا قول اليافعي عن ذلك الحجاج المشؤوم: طارق بن

المبارك، «بل هو ابن المشؤوم».

فوجّه شتيمة إلى أب ذلك الحجاج، ووصفه بالمشؤوم، فإن كان يعرف والد ذلك الحجاج، ويعرف أنه مشؤوم، فلا اعتراض، وإن كان لا يعرف عنه شيئاً، فلم يكن ينبغي توجيه الشتيمة إليه، فإن المذنب هو ابنه طارق، وأما المبارك، فلا دليل على تورطه في شيء يوجب شتمه..

الباب الثالث:

إلى كربلاء من جديد..

الفصل الأول:

دفن الأجساد..

الرسول.. ودفن الأجساد:

عن غياث بن إبراهيم، عن الصادق جعفر بن محمد «عليه السلام»:

أَصْبَحْتَ يَوْمًا أُمُّ سَلَمَةَ تَبْكِي، فَقِيلَ لَهَا: مِمَّ بُكَاءُكِ؟

فَقَالَتْ: لَقَدْ قُتِلَ ابْنِي الْحُسَيْنُ «عليه السلام» اللَّيْلَةَ، وَذَلِكَ أَنَّنِي مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» مُنْذُ قُبِضَ إِلَّا اللَّيْلَةَ، فَرَأَيْتُهُ شَاحِبًا كَثِيبًا.

قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا لِي أَرَاكَ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - شَاحِبًا كَثِيبًا؟

قَالَ: «مَا زِلْتُ اللَّيْلَةَ أَحْفِرُ قُبُورًا لِلْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ»^(١).

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٧٣ عن: الأُمالي للمفيد ص ٣١٩ والأُمالي للطوسي ص ٩٠ والأُمالي للصدوق ص ٢٠٢ عن أبي البختري وهب بن وهب، عن الإمام الصادق، عن آبائه «عليهم السلام»، عن أم سلمة، وروضة الواعظين ص ١٨٨ وفيه «روي: أصبحت...»، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢٣٠ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٧٠ والعوالم، الإمام

٢ - عن أم سلمة: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» في المنام الساعة شعثاً مذعوراً، فَسَأَلْتُهُ عن شأنِهِ ذَلِكَ.

فَقَالَ: «قُتِلَ ابْنِي الْحُسَيْنُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ الْيَوْمَ، فَدَفَنْتُهُمْ، وَالسَّاعَةُ فَرَعْتُ مِنْ دَفْنِهِمْ»^(١).

مشاركة الملائكة في دفن المعصوم:

١ - في بعض الروايات عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن علياً «عليه السلام» رأى الملائكة في مُنْتَهَى السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ يُغَسِّلُونَ النَّبِيَّ «صلى الله عليه وآله» مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ عَلَيْهِ، وَيَحْفَرُونَ لَهُ، وَاللَّهُ مَا حَفَرَ لَهُ غَيْرُهُمْ، حَتَّى إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ نَزَلُوا مَعَ مَنْ نَزَلَ، فَوَضَعُوهُ، فَتَكَلَّمُوا، وَفُتِحَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عليه السلام» سَمْعُهُ، فَسَمِعَهُ يوصيهم به، فَبَكَى.

وَسَمِعَهُمْ يَقُولُونَ: لَا نَأْلُوهُ جُهْدًا، وَإِنَّمَا هُوَ صَاحِبُنَا بَعْدَكَ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ يُعَايِنُنَا بِبَصَرِهِ بَعْدَ مَرَّتِنَا هَذِهِ.

حَتَّى إِذَا مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عليه السلام» رَأَى الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ

الحسين ج ١٧ ص ٥٠٩ وإبصار العين ص ١٣ ومستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ١٨٥.

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٧٣ عن: الأمالي للطوسي ص ٣١٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٥٥ وليس فيه ذيله، والثاقب في المناقب ص ٣٣١ نحوه، وبحار الأنوار ج ٤ ص ٢٣١.

«عليهما السلام» مِثْلَ ذَلِكَ الَّذِي رَأَى، وَرَأَى النَّبِيَّ «صلى الله عليه وآله» أَيْضاً يُعِينُ الْمَلَائِكَةُ مِثْلَ الَّذِي صَنَعُوهُ بِالنَّبِيِّ.

حَتَّى إِذَا مَاتَ الْحَسَنُ «عليه السلام» رَأَى مِنْهُ الْحُسَيْنُ «عليه السلام» مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَأَى النَّبِيَّ «صلى الله عليه وآله» وَعَلِيًّا «عليه السلام» يُعِينَانِ الْمَلَائِكَةَ.

حَتَّى إِذَا مَاتَ الْحُسَيْنُ «عليه السلام» رَأَى عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» مِنْهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَأَى النَّبِيَّ «صلى الله عليه وآله» وَعَلِيًّا وَالْحَسَنَ «عليهما السلام» يُعِينُونَ الْمَلَائِكَةَ.

حَتَّى إِذَا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» رَأَى مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ «عليه السلام» مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَأَى النَّبِيَّ «صلى الله عليه وآله» وَعَلِيًّا «عليه السلام» وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ «عليهما السلام» يُعِينُونَ الْمَلَائِكَةَ.

حَتَّى إِذَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ رَأَى جَعْفَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَأَى النَّبِيَّ «صلى الله عليه وآله» وَعَلِيًّا «عليه السلام» وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ «عليهم السلام» يُعِينُونَ الْمَلَائِكَةَ، حَتَّى إِذَا مَاتَ جَعْفَرُ رَأَى مُوسَى «عليه السلام» مِنْهُ مِثْلَ ذَلِكَ، هَكَذَا يَجْرِي إِلَى آخِرِنَا^(١).

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٥ ص ٧٥ عن: بصائر الدرجات ص ٢٢٥ و (منشورات الأعلمي) ص ٢٤٥ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٧٧٨ عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي الحسن «عليه السلام»، وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥١٣ ح ١٣ وج ٢٧ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ٤٧ و

٢ - جاء في حديث ذكره بعض تلامذة ابن قولويه، عن الإمام السجاد «عليه السلام»: أنه لما استشهد الإمام الحسين «عليه السلام» وأصحابه هبطت إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة، معهم آنية من الياقوت والزمرد، مملوءة من ماء الحياة، وحل من حل الجنة، وطيب من طيب الجنة، فغسلوا جثثهم بذلك الماء، وألبسوها الحلل، وحنطوها بذلك الطيب، وصلى الملائكة صفّاً صفّاً عليهم الخ..(١).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

رؤيا أم سلمة: فوائد وعوائد:

١ - إن من المعلوم: أن أم سلمة كانت تعرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» معرفة حقيقية وحسية، فإذا رآته في المنام، فلا مجال للشبهة ولا للالتباس. فتكون قد رآته على الحقيقة.

وقد ورد في الرواية: أن من رأى النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة في المنام فقد رآهم، فإن الشيطان لا يتمثل بهم(٢).

٣٨٠ وج ٤ ص ٢١٨ و ٤٣٤ وينابيع المعاجز ص ١٥٨ ونور الثقلين (تفسير) ج ٥ ص ٦٤٠.

(١) كامل الزيارات (نشر صدوق) ص ٢٧٧ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) هامش ص ٤٤٤ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٥٩ وج ٤٥ ص ١٨٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٦٤ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ١٨٣.

(٢) الأمالي للصدوق ص ١٢١ وكمال الدين ص ٧٠ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢

ص ٥٨٥ وروضة الواعظين (منشورات الشريف الرضي) ص ٢٣٤
وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٨٨ وكتاب سليم بن قيس ص ٣٥٠ والفرج
بعد الشدة ج ١ ص ١٧٩ وبحار الأنوار ج ٤٩ ص ٢٨٣ وج ٥٨ ص ١٧٦ و
٢١٦ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٤١ وج ٩٩ ص ٣٢ وكشف الغمة ج ٣
ص ١٢٠ وإعلام الوري ج ٢ ص ٧١ وإرشاد القلوب ج ٢ ص ٣٩٣ والفوائد
الرجالية ج ١ ص ٣٢ والصراط المستقيم ج ٣ ص ١٥٥ ومدينة المعاجز
ج ٢ ص ٩٣ وج ٧ ص ١٨٣ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية)
ج ١ ص ٢٢٩ ومستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٤٠٥ وراجع: مسند أحمد
ج ١ ص ٤٠٠ و ٤٤٠ وج ٢ ص ٢٣٢ و ٣٤٢ و ٤١١ و ٤٦٣ وج ٣
ص ٢٦٩ وسنن الدارمي ج ٢ ص ١٢٤ وصحيح البخاري ج ١ ص ٣٦
وج ٧ ص ١١٨ وج ٨ ص ٧١ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٥٤ وسنن ابن ماجه
ج ٢ ص ١٢٨٤ و ١٢٨٥ وسنن الترمذي ج ٣ ص ٣٦٥ والمستدرک للحاكم
ج ٤ ص ٣٩٣ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ١٧٣ و ١٨١ ومسند ابن راهويه
ج ١ ص ٢٨٧ والشمال المحمدية ص ٢١١ ومسند أبي يعلى ج ٦ ص ٤١
وج ٩ ص ١٦٢ وج ١١ ص ٣٧٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٤٦٠
وكفاية الطالب ج ٢ ص ٢٥٨ والحد الفاصل ص ٥٠٣ والمعجم الأوسط ج ١
ص ١٩٢ و ٢٩١ وج ٢ ص ٥٦ وج ٣ ص ٢٣٨ وج ٤ ص ١١٥ والمعجم
الصغير ج ١ ص ١٠٠ والمعجم الكبير ج ١٢ ص ٣١ و ١٦٥ ومسند
الشاميين ج ٣ ص ٣٩٧ وكنز العمال ج ١٥ ص ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و
٣٨٤ وكشف الخفاء ج ٢ ص ٢٥٠ وعلل الدارقطني ج ٣ ص ١٧٠ وج ٥
ص ١٢ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٣٧ وطبقات الحنابلة ج ٢ ص ٢١٨ وتاريخ
مدينة دمشق ج ٤٦ ص ٣٢٢ وفتوح الشام ج ١ ص ٢٢٧ وربيع الأبرار ج ٥

أما مضمون هذه الرؤية، فهو يطابق الواقع الخارجي، حيث يتطابق وقت الرؤيا مع وقت الاستشهاد، وهذا يظهر صحة مضمون الرؤيا أيضاً من دون أن تشوبها شائبة توجب وهنها..

٢ - إن هذه الرؤيا تستبطن التكريم العظيم للإمام الحسين «عليه السلام»، وتدل على جليل مقامه، وعظيم منزلته عند الله وعند رسوله..

٣ - إن هذه الرؤيا حين يتجلى صدقها تكون جزءاً من سبعين، أو من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، كما ورد في الرواية^(١). وهي بشارة من الله للمؤمن^(٢). تحدد لكل البشر وإلى يوم القيامة نبراس الهدى، وسفينة النجاة لهم، وتؤكد صحة وسلامة النهج الحسيني

ص ٢٩٤ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ١٤ ص ٦٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٨ ص ٥٠٩ ومراة الجنان ج ١ ص ٥٣ وإمتاع الأسماع ج ١٠ ص ٢٩١ والمستطرف ج ٢ ص ٥٥٥.

(١) راجع حول كونها جزءاً من ستة وأربعين جزءاً: بحار الأنوار ج ٥٨ ص ١٧٨ و ١٩١ وج ٧٣ ص ٢٢٠ وهي روايات واردة من غير طرق الشيعة. وروايات الشيعة التي تقول: إنها جزء من سبعين جزءاً، فهي في: بحار الأنوار ج ٥٨ ص ٢٣٤ و ١٦٧ و ١٧٦ و ١٧٧ وج ٤٩ ص ٢٨٣ وج ٦٤ ص ٦٦ وج ٩٩ ص ٣٢. وفي بعض الروايات عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إنها جزء من سبعة وسبعين جزءاً من النبوة.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج ٥٨ ص ١٨٠ وراجع ص ١٩١ و ١٩٢.

الأصيل، وأنه وحده النهج الذي يرضاه الله ويريده من عباده، ولا تبقي عذراً لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة.

٤ - إن هذه الرؤيا أيضاً، تحدد المعتدي، والظالم، وتميزه عن المظلوم والمعتدى عليه.

٥ - وهي أيضاً ليست رؤيا عادية، بل هي واحدة من المفردات الخارقة للعادة، التي تجعلها فعلاً إلهياً إعجازياً، قاهراً للعقول. فما أجملها من رؤيا، وما أعظم بركاتها، وأسنى عطاءاتها لمن تفكر وتدبر، واتعظ وتبصر..

اليوم قتلوا، والساعة دفنهم:

وقد يتساءل المرء عما ذكرته الرواية الثانية المتقدمة عن أم سلمة، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لها في عالم الرؤيا: «قتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم، والساعة فرغت من دفنهم». فإنه: أولاً: اقتصر على ذكر الحسين «عليه السلام» وأهل بيته، ولم يذكر أصحابه.

ثانياً: إن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يدفن في نفس اليوم الذي استشهد فيه، بل بقي إلى اليوم الثاني عشر، أو الثالث عشر من المحرم، فلا تطابق بين ما ذكر في منام أم سلمة، وبين ما جرى في كربلاء.

ونجيب على السؤال الأول:

بأن من المعلوم: أن ما كان يريده بنو أمية من تلك الحرب هو

إبادة أهل البيت «عليهم السلام» على بكرة أبيهم، وقد فعلوا ذلك يوم عاشوراء، حيث لم يفلت منهم إلا من يسرَّ الله تعالى له ذلك.

وأما الأصحاب، فلو أنهم لم يتصدوا لإفشال هذا المخطط، بمحاماتهم عن الحسين وأهل بيته، فإنهم لم يكونوا جزءاً من مشروع وأهداف بني أمية، ولكنهم حين أرادوا منعهم من قتل الحسين «عليه السلام» وأهل بيته عمدوا إليهم، وقتلوه.

وهذا يدلنا على أن النبي «صلى الله عليه وآله» بذكره خصوص الحسين «عليه السلام» وأهل بيته أراد أن يدل الناس على أهداف بني أمية، وأن الإنتقام منه «صلى الله عليه وآله» هو الهدف الأقصى لهؤلاء الأشرار. وقد صرحوا: بأن مرادهم الأخذ بثار من قتلهم «صلى الله عليه وآله» من المشركين في بدر، وكان علي «عليه السلام» هو صاحب النصيب الأوفر في قتل أئمة الكفر في بدر.

قال بعض الإخوة الأكارم:

من المحتمل أيضاً: أن خصوصية كون الشخص من أهل البيت «عليهم السلام»، كالحسين وأهل بيته هي التي تقتضي مباشرة النبي «صلى الله عليه وآله» للدفن، كما جاء في الرواية، فجاء المنام على ما تقتضيه هذه الخصوصية.

ويحتمل: أن يكون «صلى الله عليه وآله» جعل الأصحاب من أهل بيت الحسين «عليه السلام»، على قاعدة: «سلمان منا أهل البيت»، فيكون اقتصاره على ذكر أهل بيته لشموله للجميع، كما أن

اقتصاره في الرواية الأولى على ذكر «أصحابه»، لشموله للجميع، وإن كان الشمول في الثاني صحيحاً على كل حال.. والله أعلم.

ونجيب على السؤال الثاني:

بأن ما يجري في العالم الآخر لا يجب أن يتطابق مع ما يجري في الدنيا، لما يلي:

إنه بغض النظر عن الحديث عن أنه هل يبقى للزمان أثر وموقع في مسار الأمور في ذلك العالم أو لا، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» في ذلك العالم يتعامل مع الأمور وفق ما يجب أن يكون، وما رسمه الله تعالى.

أما ما يجري في الدنيا، فيبقى خاضعاً لإرادات الناس، وظروفهم، والدوافع والموانع، والأحوال المختلفة التي تفرض نفسها، ومنها أهواء الناس، وقدراتهم، وما إلى ذلك..

فإذا كان الحسين «عليه السلام» قد استشهد في يوم بعينه هذا اليوم، فإن إجراء مراسم الدفن في ذلك العالم يجري وفق ما يجب. ولا يجب أن يتطابق مع ما يجري في الدنيا.

والخلاصة:

إنه إذا كان الواجب هو المبادرة إلى هذه المراسم، وعدم انتظار ما يفعله أهل الدنيا بالأجساد الطاهرة، فإنهم قد يبادرون إلى فعل ما يجب، وقد يقصرون، وقد يتعمدون الخلاف، وقد يغفلون، أو ينسون، وقد.. وقد..

فلا يجب تطابق ما يجري في ذلك العالم مع ما يجري في الدنيا.. فذاك عالم الحقائق، والعصمة، وعالم الكاملين المعصومين، وعالم الدنيا عالم الخطأ والعصيان، والخطائين، والعاصين، والمقصرين، والقاصرين.

ما زلت أحفر قبوراً:

وذكرت الرواية المتقدمة برقم [١]: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي حفر القبور للحسين «عليه السلام» وأصحابه. وذلك يعني: أن دفنهم ينبغي أن يكون في قبور مستقلة، لا في حفرة واحدة، كما ورد في بعض النصوص.

وفي الرواية الأخرى برقم [٢]: إنه «صلى الله عليه وآله» هو الذي دفن الحسين «عليه السلام»، وأهل بيته. وهذا يدل على مزيد كرامة، وجليل مقام للحسين «عليه السلام» وأهل بيته. يضاف إلى ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» ذكر لأُم سلمة: أنه هو الذي حفر قبور الأصحاب كما في الرواية الأولى.. لكن الرواية الثانية ذكرت: أنه هو الذي دفن أهل بيت الحسين «عليه السلام». لمزيد خصوصيتهم في الحرب حسبما أشرنا إليه. رواية المشاركة:

ويجب لفت نظر القارئ الكريم إلى أن رواية مشاركة الملائكة في دفن المعصومين قد دلت على حضور الإمام السجاد «عليه السلام»

دفن الأجساد، وأن الملائكة قد أعانته على دفنهم.

وسياتي المزيد من الكلام حول هذا الموضوع إن شاء الله.

دفن الأصحاب:

١ - دَفَنَ الْحُسَيْنَ «عليه السلام» وَأَصْحَابَهُ «رحمهم الله» أَهْلُ الغَاضِرِيَّةِ^(١) مِنْ بَنِي أَسَدٍ بَعْدَمَا قُتِلُوا يَوْمَ^(٢).

زاد في بعض المصادر قوله: وكانوا يَجِدُونَ لِأَكْثَرِهِمْ قُبُوراً، وَيَرَوْنَ طُيُوراً بَيْضاً^(٣).

٢ - لَمَّا انفَصَلَ ابْنُ سَعْدٍ عَن كَرْبَلَاءَ خَرَجَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ

(١) الغاضرية: هي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء، منسوبة إلى غاضرة من بني أسد. راجع: معجم البلدان ج ٤ ص ١٨٣.

(٢) جمل من أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤١١ وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٣ ص ٢٠٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٥٥ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٤٨ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٠ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٨٩ و (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٠٥ والإرشاد ج ٢ ص ١١٤ وإعلام الوری ج ١ ص ٤٧٠ كلها نحوه، ومروج الذهب ج ٣ ص ٧٢ والأخبار الطوال ص ٢٦٠ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٦٣ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦٣١ وشرح إحقاق الحق (المحققات) ج ٣٣ ص ٦٧٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١١٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٥٩ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٦٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٠٦.

فَصَلُّوا عَلَى تِلْكَ الْجُبَّتِ الطَّوَاهِرِ، الْمُرْمَلَةِ^(١) بِالدِّمَاءِ، وَدَفَنُوهَا عَلَى مَا هِيَ الْآنَ عَلَيْهِ^(٢).

٣ - فَلَمَّا ارْتَحَلُوا [أَيَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ وَأَصْحَابُهُ] إِلَى الْكُوفَةِ وَتَرَكَوهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ، عَمَدَ أَهْلُ الْغَاضِرِيَّةِ مِنْ بَنِي أُسَدٍ، فَكَفَّنُوا أَصْحَابَ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وَصَلُّوا عَلَيْهِمْ وَدَفَنُوهُمْ، وَكَانُوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا^(٣).

٤ - قال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

لَمَّا رَحَلَ ابْنُ سَعْدٍ خَرَجَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي أُسَدٍ، كَانُوا نُزُولًا بِالْغَاضِرِيَّةِ إِلَى الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وَأَصْحَابِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَصَلُّوا عَلَيْهِمْ،

(١) رَمَلُهُ بِالدَّمِ فَتَرْمَلُ: أَي تَلَطَّخَ. راجع: الصحاح ج ٤ ص ١٧١٣ مادة «رمل».

(٢) الملهوف ص ١٩٠ و (نشر أنوار الهدى) ص ٨٥ ومثير الأحران ص ٨٥ نحوه، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٠٧ و ٦٢ وأشار إلى ذلك أيضاً في: تسلية المجالس ج ٢ ص ٣٢٦ والعوالم الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٦٧ و ٣٠٦ وراجع: التتمة لتاج الدين العاملي ص ٨٠ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ١٢١.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٣٩ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٦٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٠٦ والإرشاد ج ٢ ص ١٢٦ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٧٦ وتاج المواليد (مجموعة نفيسة) ص ١٠٧ كلاهما نحوه، وراجع: إثبات الوصية ص ١٧٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٧٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٥٩ وينايع المودة ج ٣ ص ٨٦.

وَدَفَنُوا الْحُسَيْنَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» حَيْثُ قَبْرُهُ الْآنَ، وَدَفَنُوا ابْنَهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ الْأَصْغَرَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١) عِنْدَ رَجُلَيْهِ، وَحَفَرُوا لِلشَّهْدَاءِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ صُرِعُوا حَوْلَهُ مِمَّا يَلِي رَجُلِي الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وَجَمَعُوهُمْ، فَدَفَنُوهُمْ جَمِيعاً مَعاً، وَدَفَنُوا الْعَبَّاسَ بْنَ عَلِيٍّ «عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عَلَى طَرِيقِ الْغَاضِرِيَّةِ، حَيْثُ قَبْرُهُ الْآنَ^(٢).

٥ - قال الشيخ المفيد «رحمه الله» أيضاً:

فَأَمَّا أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَهُ، فَأِنَّهُمْ دُفِنُوا حَوْلَهُ، وَلَسْنَا نَحْصِلُ لَهُمْ أَجْدَاثًا عَلَى التَّحْقِيقِ وَالتَّفْصِيلِ، إِلَّا أَنَا لَا نَسْأَلُ أَنَّ الْحَائِرَ مُحِيطٌ بِهِمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَأَسْكَنَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ^(٣).

(١) المراد: عليّ الأكبر.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ١١٤ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٧٠ وبحار الأنوار ج ٥ ص ١٠٨ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٦٧ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٧٠ والدر النظيم ص ٥٥٩ وإبصار العين ص ٢١٩.

(٣) راجع: الإرشاد ج ٢ ص ١٢٦ والأنوار النعمانية ج ٣ ص ٢٦٣ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٧٧ وتاج المواليد (مجموعة نفيسة) ص ١٠٨ و ١٠٩ و (ط سنة ١٤٠٦ هـ) ص ٣٣ كلاهما نحوه. وراجع: إثبات الوصيّة ص ١٧٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٧٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٣١ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٩٩ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٢٧.

٦ - جاء في حديث ذكره أحد تلامذة ابن قولويه، صاحب كتاب كامل الزيارات: «ثم يبعث الله قوماً من أمتك، لا يعرفهم الكفار، لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية، فيوارون أجسامهم، ويقيمون رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء، يكون علماً لأهل الحق، وسبباً للمؤمنين إلى الفوز الخ..(١).

٧ - إن مما يؤيد مشاركة بني أسد في دفن الشهداء من الأصحاب قول ابي نعيم الأصبهاني المتوفى سنة خمس وثلاثين وأربع مئة: «ودفن بنو أسد حبيباً عند رأس الحسين، حيث قبره الآن اعتناءً بشأنه، لأنه منهم ورئيسهم»(٢).

ونقول:

١ - لا ريب في أن حضور الإمام زين العابدين إلى كربلاء من الكوفة ومشاركته في دفن الأجساد الطاهرة من دون أن يشعر به أحد، من سجانیه وغيرهم، يعد أمراً إعجازياً. يصعب تصديقه على ضعفاء الإيمان بالغيب، وسيحرص على إنكاره، والتشكيك به من يعادي أهل البيت «عليهم السلام»، ويقاثلهم ويقتلهم. ويماليء عدوهم. وسينكر ما

(١) كامل الزيارات (نشر صدوق) ص ٢٧٧ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي)

هامش ص ٤٤٤ ومستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٢١٦ وبحار الأنوار ج ٢٨

ص ٥٩ وج ٤٥ ص ١٨٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٦٥.

(٢) الإمام الحسين «عليه السلام» وأصحابه للقزويني ج ١ ص ٣٧٤ و ٣٧٥ عن

حلية الأولياء.

ورد، من أن الحجة لا يتولى أمره إلا الحجة..

والأكثر غرابة، وصعوبة على هؤلاء الأعداء أن يكون النبي، وعلي، والإمام الحسن، والملائكة عليهم جميعاً الصلاة والسلام، قد شاركوا وأعانوا الإمام السجاد على حفر قبور الشهداء في كربلاء، والصلاة عليهم، وتحنيطهم، وغير ذلك من مراسم دفنهم. كما تقدم في الروايات.

وسوف يصعب عليهم تصور ذلك، فما بالك بقبوله والاقتناع بوقوعه؟!!

٢ - إننا لا نجد حرجاً بإطلاق القول: بأنه ليس ضرورياً أنه إذا حضرت الملائكة، وكذلك النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي والحسن «عليهما السلام»، وشاركوا في مراسم دفن الإمام الحسين «عليه السلام» أن يكون بنو أسد قد رأوهم، فإن رؤية الملائكة ليست ميسورة للبشر في الظروف العادية - إلا إذا أذن الله تعالى لهم بذلك - بل إن البشر لا يرون الجن أيضاً، إلا في حالات معينة، فما بالك بالملائكة..

كما أن البشر العاديين وهم في الدنيا لا يرون من انتقلوا إلى عالم البرزخ والآخرة، لأن هناك تفاوتاً أساسياً في الحياة بين هذا العالم وذلك العالم.

ولكن الله سبحانه قد يُري بعض عباده الذين انتجبهم بعلمه، واختارهم لدينه، بعض أهل ذلك العالم حين تمس الحاجة إلى ذلك..

متى دفن الشهداء؟!:

تقدم في النصوص: أن بني أسد قد دفنوا الأجساد الطاهرة بعد ما قتلوا بيوم.

وفي نص آخر: أنهم دفنوهما لما انفصل ابن سعد عن كربلاء.. أو لما ارتحلوا إلى الكوفة (يعني عمر بن سعد وجيشه).

وهذا يدل على أن دفن الشهداء قد حصل بعد ظهر اليوم الحادي عشر من المحرم، لأن ابن سعد قد ارتحل من كربلاء بعد الزوال، كما صرحت به النصوص.

وقد احتمل بعضهم: أن يكون الدفن قد حصل بعد يوم من رحيل ابن سعد من كربلاء. أي في اليوم الثاني عشر من المحرم، إن لم يكن في الثالث عشر.

إلا أن يقال: إن الرواية الآتية تحت عنوان: «حضور السجاد دفن أبيه» تدل على أن مجيئه «عليه السلام» إلى كربلاء لدفن الأجساد كان بعد وصوله أسيراً إلى الكوفة.

ولكننا سوف نناقش في دلالة الرواية على هذا إن شاء الله.

هل كان الشهداء في حفرة واحدة?!:

تقدم في النص رقم [١] تحت عنوان: «مراسم دفن الأجساد»، قوله عن بني أسد: «وكانوا يجدون لأكثرهم قبوراً، ويرون طيوراً بيضاً».

والنص المتقدم برقم [٥] يقول عن أصحاب الحسين «عليه السلام»: «فإنهم دفنوا حوله» ولسنا نحصل لهم اجداثاً على التحقيق والتفصيل، إلا انا لا نشك أن الحائر محيط بهم.

وتقدم تحت عنوان: «الرسول ودفن الأجساد»: ما زلت الليلة أحفر قبوراً للحسين وأصحابه.

وكل ذلك يدل على أن كل شهيد حفر له قبر خاص، فما ورد في النص المتقدم برقم [٤] تحت عنوان: مراسم دفن الأجساد، حيث يقول: «وَحَفَرُوا لِلشُّهَدَاءِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ صُرِعُوا حَوْلَهُ مِمَّا يَلِي رِجْلِي الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، وَجَمَعُوهُمْ، فَدَفَنُوهُمْ جَمِيعاً مَعاً..». ليس هو ما حصل بالفعل، ولا يُطمأنُ إليه، ولا يعتمد عليه.

يرون طيوراً بيضاً:

ورد في النص المتقدم برقم [١] تحت عنوان: «مراسم دفن الأجساد» قوله: «وكانوا يَجِدُونَ لِأَكْثَرِهِمْ قُبُوراً، وَيَرَوْنَ طُيُوراً بيضاً..».

وهذا صريح في أمرين:

أحدهما: أنهم قد دفنوهم أفراداً متفرقين في قبور حفروها لهم.

الثاني: أن لهذه القبور المعدة سلفاً شأناً فيما يرتبط بإعزاز الله تعالى لهم، ورعايته لأمرهم، وللدلالة على عظيم منزلتهم عنده، فإن هذه القبور من صنع الله تعالى لهم، ومن احتفائه بهم.

والطيور البيض ربما تكون للدلالة على اليمن، والرضا، والصفاء

والنقاء، والسلام والسلامة، إن لم نقل: إنها مرسلّة بهدى من الله للتبشير بما أعده الله لهم في الدار الآخرة.

إختلافات في الروايات:

صرح النص المتقدم برقم [١]، وكذلك النص المتقدم برقم [٤]:
بأن بني أسد هم الذين دفنوا الحسين «عليه السلام»، وأصحابه.. وذلك بعدما قتلوا بيوم واحد..

وفي النص المتقدم برقم [٤]: أنهم صلوا على تلك الجثث، ودفنوا الحسين «عليه السلام»، ومقتضى هذا البيان: أنهم هم الذين صلوا على جثة الإمام «عليه السلام» أيضاً.
ونقول:

إن النص المتقدم برقم [٣] يصرح: بأن بني أسد إنما تولوا أمر أصحاب الحسين «عليه السلام» فقط. ولا يشير إلى الإمام الحسين نفسه بشيء.

كما أن النص المتقدم برقم [٢] ذكر دفن بني أسد للجثث الطواهر، ولم يفصل الكلام في ذلك، فيحتمل أن يكون جسد الإمام مشمولاً لهذا القول. ويحتمل أن لا يكون كذلك.

يضاف إلى ذلك: أن الرواية رقم [٦] اكتفت بالحديث عن مواراة الأجساد، ولم تشر إلى أي شيء سوى ذلك، ولم تشر إلى جثمان الإمام الحسين «عليه السلام» أيضاً، فهي تشبه النص المتقدم برقم [٢].

من غرائب الروايات:

الأغرب والأعجب: أن يروي لنا بعضهم: أن ذكوان (أبا خالد) قال لابن زياد: «خل بيني وبين هذه الرؤوس، فأدفنها. ففعل. فكفنها، ودفنها بالجبانة، وركب إلى أجسادهم، فكفهم، ودفنهم»^(١).

ولا حاجة إلى مناقشة هذه الرواية، فإنها ظاهرة الخطأ، وتكذيبها:

١ - روايات دفن بني أسد للأجساد الطاهرة، وروايات دفن الإمام السجاد لأجساد أهل بيته، وجسد الحسين «عليه السلام».

٢ - إذا كان الشهيد لا يكفن إلا إذا خرج من ساحة المعركة، أو مات بعد انتهاء المعركة، أو وجد عارياً، فإن تكفين الرؤوس التي وصلت إلى الكوفة يصبح مفهوماً - لو صحت الرواية - لأنها أخرجت من المعركة، وأما تكفين الأجساد في كربلاء، فلا معنى ولا مورد له، إلا إذا سلبت ثيابها ووجدت عارية.

فلماذا كفن مبعوث ابن زياد تلك الأجساد؟!

وسيأتي تصريح أبي إسحاق الشيباني: بأنه «عليه السلام» دفن في ثيابه، مما يعني: أنه لم يسلب جميع ثيابه.

٣ - إن رأس الحسين «عليه السلام»، ورؤوس أهل بيته قد

(١) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٤ وترجمة

الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٨١.

أرسلت إلى الشام مع زحر بن قيس، ألم تكن تستحق أن تكفن وتدفن؟!
 ٤ - إن ذكوان - حسب نص الرواية - قد استأذن ابن زياد بدفن
 الرؤوس بالكوفة، فكيف سار إلى كربلاء، وكفن الأجساد، ودفنها
 بدون إذن؟!!

٥ - وأخيراً.. هل صحيح أن ابن زياد يأذن لأحد بدفن الأجساد؟!
 أم أنه لو طلب أحد منه ذلك، فسوف يتهمه، ويبطش به؟!
 ٦ - يضاف إلى ما تقدم: أن الروايات التي ذكرت: أن بني أسد قد
 شاركوا في دفن أجساد أصحاب الحسين «عليه السلام». أو أنهم قد
 حضروا دفنها الذي تم على يد الإمام السجاد «عليه السلام» تكفي لرد
 هذه الإدّعاءات.

ملاحظة: إن لنا الحق في أن نظن السوء في نوايا أصحاب أمثال هذه
 الترهات والأباطيل، فإن هدفهم منها هو التخفيف من حدة النقد الموجه
 لابن زياد ومن أعانه على هذه الجريمة، وإنما هي شنشنة أعرفها من
 أخزم.

وقد قلنا في بحثنا هذا: إن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله. فلا
 يمكن أن يكون ذكوان قد تولى أمر الإمام الحسين في أي حال.
الشهيد يدفن في ثيابه:

مما لا ريب فيه: أن أصحاب الحسين «عليه السلام» قد دفنوا في نفس
 الموضع الذي قتلوا فيه.. كما أننا لا نملك أي نص - مهما كان حاله -
 يقول: إن هؤلاء الأصحاب، وكذلك أهل البيت قد جردوا من ثيابهم

حتى أصبحوا عراة، ولم يمت أحد منهم بعد انتهاء القتال..

فلا مبرر للقول: بأنهم قد غسلوا أو كفنوا ثم دفنوا.. فلماذا يدعي بعض الناس ذلك؟

هل المقصود التشكيك في كونهم «عليهم السلام» شهداء؟! ويكون دليله: أنهم قد كفنوا ثم دفنوا؟!!

الحسين دفن في ثيابه:

١ - روى ابن العديم: أن رجلاً من آل حوشب بن يزيد، قال لأبي إسحاق الشيباني: إن مالك بن حوشب بن يزيد قتل وعليه جبة خز.

فقال له أبو إسحق الشيباني: وإن الحسين بن علي «رضوان الله عليهما» قتل وعليه جبة خز، وقد نصل خضابه، وكان يخضب بالسواد، فدفن في ثيابه^(١).

٢ - كَانَ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ قَدْ قُتِلَ مَعَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ لِلْعَلَامِ لَهُ يُقَالُ لَهُ شَجَرَةٌ: اِنْطَلِقْ فَكَفِّنْ مَوْلَاكَ.

قَالَ: فَجِئْتُ فَرَأَيْتُ حُسَيْنًا «عليه السلام» مُلْقًى، فَقُلْتُ: اُكْفِّنْ مَوْلَايَ وَأَدْعُ حُسَيْنًا؟! فَكَفَّنْتُ حُسَيْنًا «عليه السلام»، ثُمَّ رَجَعْتُ، فَقُلْتُ ذَلِكَ لَهَا.

فَقَالَتْ: أَحْسَنْتَ، وَأَعْطَيْتَنِي كَفْنَا آخَرَ، وَقَالَتْ: اِنْطَلِقْ فَكَفِّنْ مَوْلَاكَ،

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦١٧ و ٢٦١٨.

فَعَلَتْ^(١).

ونقول:

أولاً: بالنسبة لما ذكرته الرواية المتقدمة برقم [١]، من أن الحسين «عليه السلام» دفن في ثيابه لا تلتقي مع الرواية التي بعدها، والتي تذكر: أنه «عليه السلام» كفن بكفن أرسلته زوجة زهير بن القين مع غلام اسمه «شجرة».

ثانياً: قد يقال: إن الشهيد إذا كان يدفن في ثيابه، فإن تكفين الشهيد من قبل من يجهل هذا الحكم، لا يعني نقض الحكم الشرعي الثابت. بل يكون عملاً بغير علم، كما أن تصدي من ليس بإمام لأمر الإمامة، لا يسقط وجوب التصدي عن الإمام، الذي أوجب الله عليه ذلك.

ومع غض النظر عن هذا نقول:

إن الإمام - كما ورد - لا يغسله إلا إمام. والحجة يتولى أمره حجة مثله، فتولي غيره له - كغلام زهير بن القين - قد لا يكون محققاً للغرض، فلا جرم أن يكون فعله كعدمه، فلا بد من تولي الإمام للإمام، ربما لأن له أثراً تقصر أفهامنا عن إدراكها، والوصول إلى كنهها.

(١) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٨١ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٨٥ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٨١ عن امرأة الزمان لابن الجوزي (مخطوط) ص ٩٧.

ثالثاً: إن هذا التبرع بالتكفين، فيه تجاوز آخر للمقررات الشرعية، لأنه لم يستأذن ممن ولاه الله تعالى أمر الميت، وهو هنا الإمام زين العابدين «عليه السلام»..

رابعاً: ذكرنا فيما سبق: أن من الجائز أن يكون المقصود بتكفين الغلام المسمى بـ «شجرة» للإمام «عليه السلام»: أنه رآه بعد أن سلب الأعداء بعض ثيابه، وظهرت بعض الأجزاء من جسده، فغطاه بالثوب الذي أعطته إياه زوجة زهير. فسمي ذلك تكفيناً، على سبيل التوسع. هذا.. وقد رضيت زوجة زهير بما فعله شجرة هذا، وسرها ذلك، ثم أعطته ثوباً آخر ليغطي به ما ظهر من جسد زوجها..

إشارة لا بد منها:

ونحب لفت نظر القارئ الكريم إلى أن السياق الذي ورد فيه كلام أبي إسحاق الشيباني هو سياق عفوي، وطبيعي، حيث أراد أبو إسحاق أن يستدل على عدم وجود ما يمنع من أن يقتل الإنسان وعليه جبة خز بأمر مسلم ومعروف، ومقبول، وهو: أن الحسين «عليه السلام» قد استشهد وعليه جبة خز.

بل هو قد دفن حيث دفن وهو يلبس تلك الجبة، وهذا دليل قوي على أن دفنه «عليه السلام» في ثيابه كان شائعاً ومعروفاً منذ العصور الأولى، فإن أبا إسحاق الشيباني، وهو سليمان بن أبي سليمان

قد توفي في سنة ١٤٢ هـ^(١). ولو لم يكن هذا الأمر معروفاً عن الإمام الحسين «عليه السلام» لما جعله الشيعاني نقضاً على من استعظم أن يقتل شخص وعليه جبة خز..

الشهيد لا يغسل ولا يكفن:

أجمع المسلمون - باستثناء الحسن البصري، وسعيد بن المسيب - :
على أن الشهيد لا يغسل، ولا يكفن، ولا يحنط، بل يدفن بثيابه^(٢)،
بشروط ثلاثة:

الأول: أن يكون الجهاد واجباً عليه، فإن كان صغيراً مثلاً لم يشمل هذا الحكم!

إلا أن يقال: إن الجهاد إذا كان لحفظ الإمام، ولو لدقيقة واحدة، فهو واجب على البالغ وغيره.

الثاني: أن يكون لباسه عليه، فإن كان مسلوب اللباس، عارياً وجب تغسيله وتكفينه، وتحنيطه، وشهداء كربلاء قد سلبوا ثيابهم، أو بعضها.

إلا أن يقال: إن سلب بعض ثيابهم، لا يعني صيرورتهم عراة.

(١) التاريخ الكبير ج ٤ ص ١٦ والثقات لابن حبان ج ٤ ص ٣٠١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٩ ص ١٦٠.
(٢) راجع: جواهر الكلام ج ٤ ص ٩١.

الثالث: أن لا يدركه المسلمون وبه رمق. بل تزهق روحه أثناء الحرب، فإن خرجت روحه بعد انتهائها غسل وكفن، وحنط.

هل كفن ابن المطاع وغسل؟!:

قالوا: وبذلك يكون سويد بن المطاع الذي أثنى بالجراح، فظنوا أنه قتل، فسمعهم يقولون: قتل الحسين، فوجد إفاقة، فإذا معه سكين، فقاتلهم بسكينه ساعة، فقتل، فكان آخر قتيل، فيجب تكفينه.

غير أننا نتحفظ على هذه النتيجة:

أولاً: لأن لحظة قتل الحسين «عليه السلام» لا تعني انتهاء الحرب، فإن الحرب تبقى قائمة ما دام هناك من أصحابه من يواصل القتال.. بل قد يتواصل القتال بعد قتل قيادات الجيش لساعات، ولو بصورة ضعيفة..

ثانياً: إذا كان الإمام السجاد «عليه السلام» قد حضر إلى كربلاء لدفن الأجساد الطاهرة، وقد جرى دفن هذه الأجساد بأمره وتوجيهه، وتدبيره وإشرافه، وقد دفنهم جميعاً من دون تغسيل ولا تكفين، فما معنى القول بلزوم تكفينهم، وتغسيلهم؟! فهل نقول: إنه خالف «عليه السلام» الأمر الإلهي؟!!

هل سلبوا الحسين ثيابه؟!:

ورد في بعض النصوص: أن الحسين «عليه السلام» قد سلب ثيابه حين قتل.. ولكننا نرتاب في صحة ذلك، وقد تقدم معنا: أنه

«عليه السلام» حين حان وقت الشهادة طلب ثوباً يلبسه تحت ثيابه، فجاؤه بتبان، فرفضه، لأنه من لباس أهل الذلة، فجاؤوه بثوب آخر، فخرقه وفرق بين خيوطه ونقضها، حتى أصبح ذلك الثوب غير قابل للاستفادة، وجعله تحت ثيابه..

ولو كان ثوب كهذا سوف يسلب منه أيضاً، لكان فعل الإمام الحسين هذا بلا معنى..

وهذا يجعلنا نرجح عدم صحة العبارة التي تقول: إنهم سلبوه حتى هذا الثوب أيضاً.

ولعلها زيادة من الرواة الذين يحبون المبالغة في ذكر ما يثير العاطفة، ويؤجج الانفعالات.

على أنه لا دليل على أنه «عليه السلام» قد صار عارياً بصورة تجعل تكفينه واجباً..

الذي صلى على الحسين:

ورد في الروايات: أن الإمام لا يلي أمره إلا الإمام، والحجة لا يلي أمره إلا الحجة.

وهذا يعطي: أن الذي صلى على الإمام الحسين «عليه السلام» هو الإمام السجاد «عليه السلام»، لا بنو أسد.

وقد فاجأنا قول ابن فندق: «مشهده ومرقده بكرلاء حيث قتل. صلى عليه زين العابدين «عليه السلام».

وقيل: جابر بن عبد الله.

وقيل: أنس بن مالك»(١).

ونقول:

ألف: من المعلوم: أن جابر بن عبد الله لم يكن في كربلاء في يوم عاشوراء، لا مع الإمام الحسين «عليه السلام»، ولا في جيش يزيد، وإنما جاء إلى كربلاء بعد أربعين يوماً من يوم عاشوراء. والتقاء الإمام السجاد «عليه السلام» وعيال الحسين هناك بعد رجوعهم من الشام.

كما أن أنس بن مالك لم يكن في كربلاء.

ب: إن جابر بن عبد الله كان أعمى حينئذ.. فلماذا يكون يوم العاشر في كربلاء؟!

ج: إن النصوص تقول: إن الإمام السجاد «عليه السلام» هو الذي صلى على أبيه.

ويؤكد ذلك: ما ورد في النصوص، من أنه لا يلي أمر الإمام إلا الإمام.

تغسيل الإمام:

لا ريب في أن الإمام لا يغسله إلا الإمام، ويدل على ذلك ما يلي:

ألف: روي عن أحمد بن عمر الحلال، أو غيره، عن الرضا «عليه السلام» قال: قلت له - أي للرضا «عليه السلام» -: إنهم يحتاجوننا

(١) لباب الأنساب ج ١ ص ٣٩٦.

يقولون: إن الإمام لا يغسله إلا الإمام.

قال «عليه السلام»: ما يدريهم من غسله؟! فما قلت لهم؟!
الخ.. (١).

ب: عن الكاظم «عليه السلام»: فيما أوصاني أبي «عليه السلام»: أن قال: يا بني، إذا أنا مت، فلا يغسلني غيرك، فإن الإمام لا يغسله إلا الإمام (٢).

ج: عن الإمام الجواد «عليه السلام»: كان فيما أوصى أبي إلي الخ..

ونذكر نحو ما تقدم عن الكاظم «عليه السلام» (٣).

د: عن الكاظم «عليه السلام»: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» جاء بوصيته، وفيها:

«فإذا أردت، فادع علياً، فليغسلك وليكفئك، فإنه طهر لك، ولا

(١) الكافي ج ١ ص ٣٨٤ وبحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٩٠ ومرآة العقول ج ٤ ص ٢٥٦ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج ١ ص ٩٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٣٥١ وبحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٩٠ وج ٤٧ ص ١٢٧.

(٣) كشف الغمة ج ٢ ص ٣٤٩ و ٣٥٠ وبحار الأنوار ج ٤٦ ص ٢٦٩ والخراج والجرائح ج ١ ص ٢٦٤ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٤٦.

يستقيم إلا ذلك، وذلك سنة قد مضت»^(١).

هـ: عن هرثمة بن أعين: إن الرضا «عليه السلام» قال له: إن المأمون سيقول لك وأنت تغسلني: أليس زعمتم: أن الإمام لا يغسله إلا إمام؟! إمام!

فأجبه وقل له: إن الإمام لا يجب أن يغسله إلا إمام الخ..^(٢).

الظاهر: أن المراد بهذا الجواب أمران:

أحدهما: أن يتحاشى التصريح بحضور الإمام الجواد من المدينة لتغسله «عليه السلام».

الثاني: أراد أن يصرف ذهن المأمون عن لزوم تولي الإمام اللاحق تغسيل الإمام السابق بصورة فعلية وخارجية، ليقول له: إن الموضوع

(١) الكافي ج ١ ص ٣١٥ ومدينة المعاجز ج ٦ ص ٢٥٥ و مرآة العقول ج ٣ ص ٣٥٤ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج ١ ص ٢٣. وراجع: إعلام الوري ج ٢ ص ٥٠.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٣٧٥ و ٣٧٦ و (ط الأعلمي) ج ٢ ص ٢٧٦ و ٢٧٧ ودلائل الإمامة ص ٣٥٢ و ٣٥٤ و عيون المعجزات ص ١٠٢ و ١٠٤ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٤٨١ ومدينة المعاجز ج ٧ ص ١٦٦ و ١٧٠ و ٣٣٤ وبحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٨٨ وج ٤٩ ص ٢٩٤ و ٢٩٦ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج ١ ص ١٩٧ و ١٩٩ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٥٠٣ والدر النظيم ص ٦٩٤ و ٦٩٦.

لا يتعدى كونه حكماً تكليفاً، يكون امتثاله مرهوناً بقدرة المكلف، وعدم وجود مانع.

ولم يشر إلى أن الإمام قادر على الحضور من المدينة بصورة إعجازية، للقيام بهذا الأمر من دون أن يعلم المأمون وغيره. وقد حضر الإمام علي «عليه السلام» دفن سلمان الفارسي في المدائن، قرب بغداد مع أنه «عليه السلام» كان في المدينة.

ملاحظة: إن هرثمة بن أعين قد قتل قبل استشهاد الإمام الرضا «عليه السلام»، فلا يمكن أن يكون هو المقصود هنا، فلعله هرثمة آخر^(١).

و: عن أبي معمر: سألت الإمام الرضا «عليه السلام» عن الإمام يغسله الإمام؟

قال: سنة موسى بن عمران^(٢).

فإن موسى «عليه السلام» غسل أخاه هارون، فصارت سنة مستمرة في الأنبياء والأوصياء.

ز: عن أبي بصير: سمعت العبد الصالح «عليه السلام» يقول:

(١) راجع الحياة السياسية للإمام الرضا «عليه السلام» هامش ص ٤٣١.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٨٥ وبحار الأنوار ج ١٣ ص ٣٦٤ وج ٢٧ ص ٢٩١ ومرة العقول ج ٤ ص ٢٥٧.

لما حضر أبي الموت قال: يا بني، لا يلي غسلي غيرك، فإني غسلت أبي، وغسل أبي أباه، والحجة يغسل الحجة.

قال: فكنت أنا الذي غمضت أبي، وكفنته، ودفنته بيدي^(١).

ح: وفي حديث رجعة الإمام الحسين «عليه السلام» في آخر الزمان قال: «فإذا استقرت المعرفة في قلوب المؤمنين أنه الحسين «عليه السلام» جاء الحجة الموت، فيكون الذي يغسله ويكفنه، ويحنطه، ويلحده في حفرته الحسين بن علي «عليه السلام» ولا يلي الوصي إلا وصي»^(٢).

ط: عن أبي بصير عن الإمام الكاظم «عليه السلام»، قال: «لما وقع أبو عبد الله «عليه السلام» في مرضه الذي مضى فيه قال لي: يا بني، لا يلي غسلي غيرك، فإني غسلت أبي، والأئمة يغسل بعضهم بعضاً»^(٣).

(١) دلائل الإمامة ص ٣٢٨ و ٣٢٩ ومدينة المعاجز ج ٦ ص ٢٨.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٢٠٦ ومختصر بصائر الدرجات ص ١٦٤ و ١٦٥ و منشورات المطبعة الحيدرية ص ٤٨ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٢٨١ وبحار الأنوار ج ٥٣ ص ٩٤ ومرآة العقول ج ٢٦ ص ١٢٣ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٥٠٣ ونور الثقلين (تفسير) ج ٣ ص ١٣٨ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٧ ص ٣٦١ ومجمع البحرين ج ٣ ص ٤٧١ والإيقاظ من الهجعة ص ٢٨٨.

(٣) إثبات الوصية ص ١٩٨ و (ط أخرى) ص ١٦١ وراجع: دلائل الإمامة

ي: وقد أجاب الإمام الصادق «عليه السلام» عن استغراب المفضل بن عمر: أن يكون علي «عليه السلام» هو الذي غسل فاطمة الزهراء «عليها السلام» بقوله: «لا تضيقن، فإنها صديقة، ولم يكن يغسلها إلا صديق. أما علمت أن مريم لم يغسلها إلا عيسى بن مريم «عليه السلام»؟! (١).

وحسب نص آخر: «غسلها أمير المؤمنين، لأنها كانت صديقة لم يكن ليغسلها إلا صديق» (٢).

ص ٣٢٨ ومدينة المعاجز ج ٦ ص ٢٨ و ٢٣٢ .

(١) الكافي ج ١ ص ٤٥٩ وج ٣ ص ١٥٩ وعلل الشرائع ٢١٨ و ٢١٩ و (ط) المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٨٤ والإستبصار ج ١ ص ٢٠٠ وتهذيب الأحكام ج ١ ص ٤٤٠ والدعوات للراوندي ص ٢٥٤ و ٢٥٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢ ص ٥٣٠ و (الإسلامية) ج ٢ ص ٧١٤ وبحار الأنوار ج ١٤ ص ١٩٧ وج ٢٧ ص ٢٩١ وج ٤٣ ص ٢٠٦ وج ٧٨ ص ٢٩٩ ومروءة العقول ج ٥ ص ٣٤٢ وج ١٣ ص ٣٣٩ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٣٣١ واللمعة البيضاء ص ٨٨٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه (ط جماعة المدرسين) ج ١ ص ١٤٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢ ص ٥٣٣ و (الإسلامية) ج ٢ ص ٧١٧ ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ١٨٥ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ١٣٨ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٨٤ واللمعة البيضاء ص ٨٨٠.

هي اغتسلت أو غسلها علي؟!:

أما ما روي، من أنها «عليها السلام» هي التي اغتسلت ولبست ثيابها الجدد، ثم قالت: «إني قد فرغت من نفسي فلا أكشفن، إني مقبوضة الآن، ثم قضت..

ولما جاء علي «عليه السلام» أخبروه بما جرى، فقال: إذن والله لا تكشف. فاحتملت في ثيابها فغيبت»^(١).

فنقول:

أولاً: هذا الحديث روته لنا سلمى بنت أبي رافع، ولم يرو عن المعصوم.

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ١٢٧ و (ط دار الأضواء) ص ١٢٤ والأمالى للطوسي ص ٤٠٠ والعمدة لابن البطريق ص ٣٨٩ ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٠٢ و ٢٠٣ وراجع: بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧٢ و ١٨٧ و ١٨٨ و ج ٧٨ ص ٢٤٦ واللمعة البيضاء ص ٨٨١ و ٨٨٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٠ ص ٤٦٥ عن ذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص ٥٣ وراجع: مسند أحمد ج ٦ ص ٤٦١ و ٤٦٢ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١١ والذرية الطاهرة النبوية ص ١٥٥ وناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين ص ٥٨٧ ونصب الراية ج ٢ ص ٢٩٦ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٩٠ وتاريخ المدينة ج ١ ص ١٠٨ و ١٠٩ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ٣٥٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٤٩ وينايع المودة ج ٢ ص ١٤١ .

ثانياً: هل حضرت سلمى هذه دفن الزهراء، ورأت إن كان علي «عليه السلام» قد غسلها أم لا؟!!

إن الروايات لا تؤيد ذلك، فلعل علياً «عليه السلام» قال ذلك لكي يقلل من حضور الناس لما يجري، وحين خلا له الجو، وحضر من لا مانع من حضوره غسلها، وكفنها الخ..

فيكون معنى قوله «عليه السلام»: «لا تكشف»: أنها لا تكشف في هذه الساعة، أو الفترة الوجيزة الحساسة، حيث لا بد من دفنها ليلاً، لكي لا يعرف من ظلمها بدفنها..

ثالثاً: إنها «عليها السلام» طلبت أن لا تكشف، وهي لم تكشف، بل غسلت من خلف الثياب.. كما أن من الممكن أن تكون الثياب التي لبستها وكانت جديدة هي نفس أكفانها التي يفترض أن تكفن بها.. لا يلي أمر الإمام إلا الإمام:

وفي حديث دفن الإمام الحسين للإمام المهدي «عليهما السلام»، قال في آخره: «فيكون الذي يغسله، ويكفنه، ويحنطه، ويلحده في حفرة الحسين بن علي، ولا يلي الوصي إلا الوصي»^(١).

(١) الكافي ج ٨ ص ٢٠٦ ومختصر بصائر الدرجات ص ١٦٤ و ١٦٥ و منشورات المطبعة الحيدرية ص ٤٨ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٢٨١ وبحار الأنوار ج ٥٣ ص ٩٤ ومرآة العقول ج ٢٦ ص ١٢٣ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٥٠٣ ونور الثقلين (تفسير) ج ٣ ص ١٣٨ وكنز الدقائق

ومن روايات الواقعة عن الإمام الصادق «عليه السلام»: إن لأبي الحسن «عليه السلام» غيبتين: إحداهما تفل، والآخرى تطول، حتى يجيئكم من يزعم أنه مات، وصلى عليه ودفنه، وينفض تراب القبر من يده، فهو في ذلك كاذب. ليس يموت وصي حتى يقيم وصياً، ولا يلي الوصي إلا الوصي، فإن وليه غير وصي عمي (١).

والشاهد هنا: ما جاء في ذيل الرواية، أما صدرها فقد أراد الواقعة تأييد مذهبهم به، لأنهم يدعون الوقف على الإمام الكاظم «عليه السلام».

حضور السجاد دفن أبيه:

هناك روايات قليلة صرحت: بأن الإمام السجاد «عليه السلام» هو الذي تولى دفن أبيه في كربلاء، وهي ثلاث روايات..

١ - الأولى: تقدمت برقم [١] تحت عنوان مشاركة الملائكة في دفن المعصوم، فيمكن مراجعتها هناك.

٢ - الثانية: ما روي عن جعفر بن محمد عن أبيه في حديث، قال: «كان علي بن الحسين بن علي «عليه السلام» يضع قتلاه بعضهم إلى

(تفسير) ج ٧ ص ٣٦١ ومجمع البحرين ج ٣ ص ٤٧١ والإيقاظ من الهجعة ص ٢٨٨.

(١) الغيبة للطوسي ص ٤٣ و ٥٧ عن كتاب: في نصرة الواقعة لعلي بن أحمد العلوي الموسوي.

بعض، ثم يقول: قتلنا قتلى النبيين»^(١).

ومن المعلوم: أن ذلك إنما كان حين دفن الأجساد الطاهرة.. ولم يكن الإمام السجاد «عليه السلام» يتصدى لأمر القتل قبل ذلك.

٣ - الثالثة: عن إسماعيل بن سهل، عن بعض أصحابنا: كُنْتُ عِنْدَ الرِّضَا «عليه السلام»، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ، وَابْنُ السَّرَّاجِ، وَابْنُ الْمُكَارِي...
إلى أن قال:

قَالَ لَهُ عَلِيُّ [بْنُ أَبِي حَمْزَةَ]: إِنَّا رَوَيْنَا عَنْ آبَائِكَ: أَنَّ الْإِمَامَ لَا يَلِي أَمْرَهُ إِلَّا إِمَامٌ مِثْلُهُ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ «عليه السلام»: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ «عليه السلام» كَانَ إِمَامًا أَوْ كَانَ غَيْرَ إِمَامٍ؟!
قال: كَانَ إِمَامًا.

قال: فَمَنْ وَلِيَ أَمْرَهُ؟!

قال: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام».

قال: وَأَيْنَ كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»؟!

قال: كَانَ مَحْبُوسًا بِالْكُوفَةِ فِي يَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: خَرَجَ

(١) الغيبة للنعماني ص ٣٠٨ و (نشر أنوار الهدى) ص ٢١٩ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٨٠ و ج ٥٢ ص ١١٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٤٦.

وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَتَّى وَلِيَ أَمْرَ أَبِيهِ، ثُمَّ انصَرَفَ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ «عليه السلام»: إِنَّ هَذَا [الَّذِي] أَمَكَّنَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» أَنْ يَأْتِيَ كَرْبَلَاءَ، فَيَلِيَّ أَمْرَ أَبِيهِ، فَهُوَ يُمَكِّنُ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يَأْتِيَ بَغْدَادَ، فَيَلِيَّ أَمْرَ أَبِيهِ، ثُمَّ يَنْصَرِفَ، وَلَيْسَ فِي حَبْسٍ، وَلَا فِي إِسَارٍ^(١).

وبعدما تقدم نقول:

بنو أسد في كربلاء:

قلنا فيما سبق: إنه لا مانع من أن يكون بنو أسد قد حضروا إلى كربلاء، وشاركوا في دفن أجساد الشهداء.. كما دلت عليه النصوص. وأما الحسين، فتولى أمره الإمام زين العابدين «عليه السلام»، ولذا قالت الرواية المتقدمة عن الإمام الرضا «عليه السلام»: «ولي أمر أبيه ثم انصرف».

أين هي الروايات؟!:

رأينا: أن القليل من الروايات تصرح بحضور الإمام زين العابدين

(١) وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج ٢ ص ٧٦٣ و ٧٦٤ وإثبات الوصية ص ١٧٥ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٦٩ وج ٤٨ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٦٦ و ٣٦٧ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج ٢ ص ٤٤٠ .

«عليه السلام» إلى كربلاء.

ولعل سبب ذلك: أن قدومه «عليه السلام» إلى كربلاء قد حدث بالخفاء، وبصورة إعجازية، ولم يشعر به أقرب الناس إليه. والناس إنما ينقلون الأحداث التي يشاهدونها، فحضور بني أسد إلى كربلاء أمر يراه الناس ويتناقلونه..

أما حضور السجاد «عليه السلام»، فقد حصل بطريق غير عادي، فهو كحضور علي «عليه السلام» من المدينة إلى المدائن لدفن سلمان^(١)، ولم يكن بمقدور بني أسد أن يشيعوا حضور الإمام ومشاركته في دفن الأجساد، فإن ذلك يشكل خطراً عليهم.

دليل آخر على حضور الإمام:

ومما يدل على حضور الإمام إلى كربلاء: أن بني أسد لا يقدرّون على التمييز بين الجثث، لكونها مقطوعة الرؤوس، فكيف عرفوا حبيب بن مظاهر مثلاً، وعلي بن الحسين الشهيد، وكذلك الحسين، حتى أفردوهم بقبور خاصة؟! وكيف ميزوا أجساد الأصحاب عن أجساد بني هاشم؟! كما أشير إليه في الروايات.

فإن قيل: إن الإمام الحسين «عليه السلام» كان يضع الشهداء من

(١) راجع: الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٦٢ ومدينة المعاجز للبحراني ج ٢ ص ١٤ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٦٨ وج ٣٩ ص ١٤٢ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص ٦٠٥ وطرائف المقال للبروجردي ج ٢ ص ٦٠٤.

أهل بيته في مكان خاص، فلعل هذا الأمر قد ساعد على التمييز بين الشهداء.

يجاب:

أولاً: من أين عرف بنو أسد أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد أفرد أهل بيته عن أصحابه، فإنهم لم يحضروا كربلاء؟!!

ولكننا لا نمنع من أن يخطر في بالهم على سبيل الحدس والتخمين: أن تكون هذه الجماعة هي جماعة أهل بيته، وأولئك أصحابه، لكثرة أولئك، وقلة هؤلاء.

ولكن كيف عرفوا علياً الشهيد، وحبيب بن مظاهر، وحددوا أن هذا هو جسد الحسين «عليه السلام»؟! ولماذا دفنوا العباس في موضعه، ولم يحملوه ليدفنوه مع بني هاشم مثلاً؟!!

الأدلة العامة على حضور الإمام:

إن الأحاديث المتقدمة القائلة: إنه لا يلي أمر الإمام إلا الإمام، قد جاءت مطلقة عن أي قيد، أو استثناء، مما يعني: أن وجود الموانع لا أثر له في تغيير هذا الأمر، لأن الله تعالى قادر على رفعها، مهما كانت، فإنه لا يعجزه شيء.. وقد جعل الله للأولياء والأوصياء طي الأرض، وسخر الجن والريح لسليمان، والإتيان بعرش بلقيس على يد رجل ليس من الأنبياء، إلى غير ذلك من الخصوصيات الكثيرة الأخرى..

أي أن تولي أمر المعصوم للمعصوم ليس على نحو الحكم التكليفي الذي تسقطه الموانع، بل هو أمر لا بد من حصوله، ولو بطريق غير عادي..

وقد يشهد لذلك: ما ورد، من أن من يرى المعصوم على تلك الحالة يصاب بالعمى، إلا أن يكون معصوماً مثله، ولأجل ذلك عَصَّب علي «عليه السلام» عيني الفضل بن العباس، حين أراد منه أن يناوله الماء لغسل النبي «صلى الله عليه وآله».

كما أن هناك أموراً يجب مراعاتها في تجهيز المعصوم: كأن يحنطه بالحنوط الذي تأتي به الملائكة، أو غير ذلك من أمور يحددها الأئمة لمن يتولى أمر تجهيزهم بعد موتهم، فراجع على سبيل المثال وصية الإمام الباقر لولده الإمام الصادق «عليهما السلام» فيما يريد منه أن يفعله حين موته^(١).

وراجع ما ورد عن دفن الزهراء «عليها السلام»، وأن يداً خرجت وتناولتها من يد علي، وغير ذلك^(٢).

(١) الكافي ج ١ ص ٣٠٧ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ١٨١.

(٢) راجع: مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٦٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ١٣٩ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٨٤ واللمعة البيضاء ص ٨٦٤.

موجز عما جرى في كربلاء:

ويمكن أن نوجز حديث دفن الأجساد الطاهرة على النحو التالي:

١ - تقدم: أنه لا يتولى أمر الإمام إلا الإمام، واستظهرنا: أن هذه القاعدة تتحدث عن أمر واقعي يحصل ويتحقق خارجاً بصورة قاطعة وجازمة، وليس مجرد تقرير لحكم تكليفي.

٢ - إن هذا يحتم حصول ذلك، ولو بطريقة إعجازية.

٣ - الروايات تقول: إن دفن الأجساد قد حصل في اليوم الحادي عشر بعد مسير عمر بن سعد بجيشه من كربلاء..

لكن رواية إسماعيل بن سهل المتقدمة تحت عنوان: «حضور السجاد دفن أبيه» قد استدلت بها على أن ذلك قد حصل بعد وصول السبايا إلى الكوفة، ووضعهم في السجن.

إلا أن يقال: إن الإمام «عليه السلام» لم يذكر ذلك مباشرة، بل قرر الرجل الذي استنطقه، فذكر: أن السجاد كان في السجن في الكوفة، فخرج منه إلى كربلاء ليلي أمر أبيه، ثم عاد إلى سجنه، ولم يشعروا به، فألزمه الإمام «عليه السلام» بما ألزم به نفسه، فلا يدل ذلك على أنه يقبل منه كل ما دل عليه كلامه، بل يدل على موافقة ما قاله، من أن ذلك قد حصل بطريقة إعجازية، يمكن أن تحصل نظائرها لغيره من الأئمة.

٤ - إن بني أسد حين جاؤا إلى كربلاء جاؤا بأعداد كبيرة، فربما

كانوا مئة أو مئتي رجل، أو أكثر أو أقل..

٥ - إن القتلى إذا كانوا سبعين أو اثنين وسبعين رجلاً، فإذا تولى كل رجلين أو ثلاثة من بني أسد دفن شهيد واحد، فحفر قبره وصلى عليه ودفنه، فإن ذلك معناه: أن دفن جميع الشهداء قد يحتاج إلى أقل من ساعة.

٦ - إذا كان حضور الإمام السجاد «عليه السلام» هذا الدفن قد حصل بطريقة إعجازية، فما الذي يمنع من خروجه من الركب وعودته إلى كربلاء، لدفن أبيه، ثم عودته إلى الركب المتجه نحو الكوفة بعد إنجاز مهمته.

هذا إن كان ذلك قد حصل في اليوم التالي للاستشهاد، وإن كان قد حصل في اليوم الثاني عشر، أو الثالث عشر، فإن الأمر لا يختلف عما لو حصل في اليوم الحادي عشر.

٧ - بل إن بعض الروايات المتقدمة قد صرحت: بأن بني أسد كانوا يجدون لأكثر الشهداء قبوراً محفورة سلفاً.. وعليه فلا يحتاجون لأكثر من الصلاة على الشهيد ووضعه في قبره، وفق ما رسمه الشارع، وهذا لا يحتاج إلى أكثر من دقائق معدودة قد لا تزيد على مقدار ربع ساعة..

٨ - ويؤكد ذلك: أن بعض النصوص تصرح: بأن بني أسد تولوا دفن الأصحاب. وبعضها يصرح: بأن الإمام السجاد تولى أمر الإمام الحسين «صلوات الله عليهما»..

٩ - تقدم: أن الشهداء في كربلاء لم يغسلوا، ولم يكفّنوا. وهذا يؤيد ما ذكرناه.

لا رواية عن حضور السجاد × دفن أبيه:

قال السيد محسن الأمين «رحمه الله»: «إن مجيء الإمام السجاد «عليه السلام» لدفن أبيه مع بني أسد، لم يرد في كتاب، ولم يرد في رواية»^(١).

ونقول:

تقدمت عدة روايات حول هذا الأمر، منها: رواية الكشي، ورواية مشاركة الملائكة للإمام السجاد «عليه السلام» في دفن أبيه، ورواية: أن الإمام السجاد كان يضع قتلى أهل بيته بنحو خاص..

إلا إن كان مراده «رحمه الله»: أنه لم ترد رواية صحيحة السند تدل على ذلك.. ولكن هذا خلاف ظاهر كلامه، مع ملاحظة: أن عدم صحة سند الرواية لا يعني أنها مكذوبة.

رواية في مصادر متأخرة:

ونحن نذكر هنا رواية أخرى لم نجدها في كتب المتقدمين التي اطلعنا عليها، ولا نتهم من ذكرها في كتابه باختراعها، فلعلها نقلت له شفاهاً، ولعلها وردت في كتب لم تصل إلينا، والرواية هي التالية:

(١) أعيان الشيعة ج ١ ص ٣٧٦.

«لَمَّا ارْتَحَلَ عَسْكَرُ ابْنِ سَعْدٍ مِنْ كَرْبَلَاءَ عَصَرَ يَوْمَ الْحَادِي عَشَرَ مِنَ الْمَحْرَمِ، وَسَارُوا بِالسَّبَايَا وَالرُّؤُوسَ إِلَى الْكُوفَةِ، نَزَلَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فِي مَكَانِهِمْ إِلَى جَنْبِ نَهْرِ الْعَلْقَمِيِّ، وَبَنَوْا بِيوتَهُمْ هُنَاكَ.

فَخَرَجَتْ نِسَاؤُهُمْ يَسْتَقِينَ مِنَ الْفَرَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فَمَرُّوا فِي طَرِيقِهِمْ عَلَى الْمَعْرَكَةِ، وَإِذَا هُنَّ يَرِينَ جَثَّةً حَوْلَ الْمَسْنَةِ، وَأُخْرَى نَائِيَةً عَنِ الْفَرَاتِ، وَبَيْنَهَا جَثَّةٌ قَدْ جَلَّتْهُمْ بِأَنْوَارِهَا، وَعَطَّرْتَهُمْ بِطِيْبِهَا، وَهِيَ مَطْرُوحَةٌ عَلَى وَجْهِ الصَّعِيدِ، تَشْخَبُ دِمَاؤُهُمْ، كَأَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا لِيَوْمِهِمْ. فَتَصَارَخْنَ النِّسَاءُ، وَقُلْنَ: هَذَا وَاللَّهِ الْحُسَيْنُ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَصَحْبُهُ..

فَرَجَعْنَ إِلَى رِجَالِهِنَّ صَارِخَاتٍ، وَقُلْنَ لَهُنَّ: يَا بَنِي أَسَدٍ! أَنْتُمْ جُلُوسٌ فِي بِيُوتِكُمْ، وَهَذَا الْحُسَيْنُ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَأَصْحَابُهُ مَجْزَرُونَ كَالْأَضَاحِيِّ عَلَى الرَّمَالِ، تَسْفِي عَلَيْهِمُ الرِّيحَ. فَبِمَاذَا تَعْتَذِرُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ إِذَا وَرَدْتُمْ عَلَيْهِمْ، حَيْثُ إِنَّكُمْ لَمْ تَنْصُرُوا أَوْلَادَهُمْ، وَلَا دَفَعْتُمْ عَنْهُمْ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ، وَلَا بِطَعْنَةِ رِمَحٍ، وَلَا بِجَذْبَةِ سَهْمٍ؟!

فَقَالُوا: إِنَّا نَخَافُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ.

فَقُلْنَ لَهُنَّ: إِنْ فَاتَكُمْ نَصْرَةٌ تِلْكَ الْعَصَابَةِ، فَقُومُوا الْآنَ إِلَى مَوَارَاةِ أَجْسَادِهِمْ، فَإِنْ لَمْ تَدْفِنُوها نَتَوَلَّى دَفْنَهَا بِأَنْفُسِنَا.

فَجَاءَ الرِّجَالُ إِلَى الْمَعْرَكَةِ - وَقَدْ وَضَعُوا لَهُمْ عَيْنًا يَنْظُرُ إِلَى طَرِيقِ الْكُوفَةِ - فَصَارَتْ هِمَّتُهُمْ أَوَّلًا مَوَارَاةَ جَثَّةِ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ

السلام»، فجاءوا إلى الجسد الطاهر، وقد عرفوه بلامح الإمامة، وأنوار النبوة، وصار لهم حوله بكاء وعويل، وحاولوا تحريك عضو من أعضائه، فلم يتمكنوا..

فقال كبيرهم - وقد أقروا رأيهم -: نجتهد أولاً في دفن أهل بيته وأصحابه، وبعد ذلك نرى رأينا فيه.

فقال أحدهم: كيف يكون دفنكم له وما فيكم من يعرف من هذا، ومن هذا، وهم - كما ترون - جثث بلا رؤوس، قد غيرت معالمهم الشمس والتراب. فلربما نسأل عنهم، فما الجواب؟!

فبينما هم كذلك إذا بفارس قد طلع عليهم من جانب الكوفة، وقد ضيق لثامه. فلما رأوه انكشفوا عن الجثث الزواكي، فأقبل الفارس، ونزل عن ظهر جواده، وجعل يتخطى القتلى واحداً بعد واحد - وهو منحني الظهر - حتى إذا وقع نظره على جسد الحسين «عليه السلام» رمى بنفسه عليه، واحتضنه، وجعل يشمه تارةً، ويقبله أخرى، وهو يبكي، وقد بلَّ لثامه من دموع عينيه، وهو يقول: «يا أبتاه بقتلك قرّت عيون الشّامتين، يا أبتاه بقتلك فرحت بنو أمية، يا أبتاه بعدك طال حزننا، يا أبتاه بعدك طال كربنا».

ثم التفت إلى بني أسد وقال لهم: لِمَ كان وقوفكم حول هذه الجثث؟ قالوا: أتينا للتفرّج عليها.

قال: ما كان هذا قصدكم.

فقالوا: اعلم يا أخا العرب، الآن نطلعك على ما في ضمائرنا، إنّنا أتينا

لنوارى جسد الحسين وأجساد أهل بيته، وأصحابه، فلما طلعت علينا خشنا أن تكون من أصحاب ابن زياد، فانكشفنا عن تلك الجثث.

فعند ذلك خطّ الأعرابي لبني أسد خطاً في الأرض وقال لهم: احفروا هاهنا.

ففعّلوا، فأمرهم أن يضعوا فيها، سبعة عشرة جثة.

ثمّ خطّ لهم خطاً آخر في الأرض قريباً من الأول، وقال لهم: احفروا هاهنا. ففعّلوا، فأمرهم أن يضعوا باقي الجثث فيها.

واستثنى جثة واحدة، وأمرهم أن يشفّوا لها ضريحاً ممّا يلي الرأس الشريف، ففعّلوا.

فأمرهم أن ينزلوا تلك الجثة في ذلك المكان.

ثمّ إنه «عليه السلام» تخطى قريباً من جثة الحسين «عليه السلام»، وأهال يسيراً من التراب، فبان قبر محفور، ولحد مشقوق، حفره رسول الله «صلى الله عليه وآله» - كما في رواية أم سلمة «رحمها الله» - في رؤيا رأتها - فتقرّب الرجال ليعينوه على دفن تلك الجثة الطاهرة، فإذا هو يقول لهم بخضوع وخشوع: أنا أكفيكم أمره.

فقالوا له: يا أبا العرب، كيف تكفيننا أمره، وكلنا اجتهدنا على تحريك عضو من أعضائه فلم نتمكن.

فبكى «عليه السلام» وقال: إنّ معي من يعينني عليه.

ثمّ إنه بسط كفيه تحت ظهره الشريف، وقال: «بسم الله وبالله، وفي

سبيل الله، وعلى ملة رسول الله، هذا ما وعد الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ثم أنزله وحده ولم يشرك معه أحداً.

ولما أقره في لحده وضع خده على نحره الشريف، وهو يبكي ويقول: «طوبى لأرض تضمّنت جسدك الطاهر، فإنّ الدنيا بعدك مظلمة، وأما الآخرة فبنورك مشرقة. أما الحزن فسرمد، وأما الليل فمُسَهَّد، حتى يختار الله لأهل بيتك دارك التي فيها أنت مقيم، وعليك منّي السلام يا ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ورحمة الله وبركاته».

ثم خط بإصبعه على الأرض:

«هذا قبر الحسين بن عليّ بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاً غريباً».

ثم التفت إلى بني أسد، وقال: انظروا هل بقي أحد؟!!

فقالوا: نعم يا أبا العرب، بقي بطل مطروح حول المسناة - وحوله جثتان -، كلّما حملنا منه جانباً سقط الآخر، لكثرة ضرب السيوف، وطعن الرماح، ورشق السهام.

فقال: امضوا بنا إليه.

فمضينا إليه، فلما رآه انكبّ عليه يقبّله، ويقول: «على الدنيا بعدك العفا - يا قمر بني هاشم! - وعليك مني السلام من شهيدٍ محتسب ورحمة الله وبركاته».

ثم أمرهم أن يشقوا له ضريحاً، فأنزله فيه وحده، ولم يشرك معه أحداً. وأُشْرِجَ عليه اللَّيْلُ.

ثم أمرهم بدفن الجثتين حوله، ففعلوا.

ثم مضى الأعرابي إلى جواده، فداروا حوله، وسألوه عن نفسه، وعن تلك الأجساد الزواكي، فقال لهم: أما ضريح الحسين «عليه السلام» فقد علمتموه.

وأما الحفيرة الأولى، ففيها أهل بيته، والأقرب إليه منهم ولده علي الأكبر.

وأما الحفيرة الثانية، ففيها أصحابه.

وأما القبر المنفرد، ممّا يلي الرأس الشريف، فهو حامل راية الحسين «عليه السلام» حبيب بن مظاهر الأسدي.

وأما البطل المطروح حول المسناة، فهو العباس بن علي بن أبي طالب «عليه السلام».

وأما الجثتان، فهما أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام».

فإذا سألكم سائل بعدي، فأعلموا بذلك.

فقالوا له: يا أبا العرب، نسألك بحق الجسد الذي واريته بنفسك ولم تشرك معك أحداً منا: من أنت؟!!

فبكى بكاءً شديداً، وقال: أنا إمامكم علي بن الحسين.

فقالوا: أنت علي بن الحسين؟!!

قال: نعم، ثم غاب عن أبصارهم^(١).
ونقول:

أولاً: لم نجد في قائمة مؤلفات السيد الجزائري كتاباً باسم «مدينة العلم» لكن ذكر الطهراني: أن كتاباً بهذا الاسم من تأليفات الحاج محمد مؤمن الجزائري أصلاً، والشيرازي مولداً ومسكناً. وهو معاصر للعلامة المجلسي «رحمه الله»^(٢). فقد يكون هو المراد.

لكن للسيد نعمة الله الجزائري كتاب آخر باسم: «مدينة الحديث». فقد يحتمل البعض أن يكون هو المراد^(٣). والله هو العالم بالحقائق.

ثانياً: الحديث عن معرفتهم الإمام الحسين «عليه السلام» بأنوار النبوة، وملامح الإمامة كلام مبهم، وغير كاف في الإقناع، لاسيما مع قول أحدهم في الرواية نفسها: كيف يكون دفنكم له، وما فيكم من يعرف من هذا ومن هذا، وهم كما ترون جثث بلا رؤوس؟!.

ثالثاً: هذه الرواية تقول: إنهم أرادوا تحريك عضو من أعضائه،

(١) مقتل الحسين للسيد محمد تقي بحر العلوم ص ٤٦٦ - ٤٧٠ وعن السيد الله الجزائري في كتاب «مدينة العلم»، وأسرار الشهادة للدربندي، والإيقاد، والكبريت الأحمر للتستري. وراجع: وسيلة الدارين للزنجاني ص ٣٤٥ - ٣٤٧ والدمعة الساكية ج ٥ ص ١١ - ١٤.

(٢) الذريعة ج ٢٠ ص ٢٥٢.

(٣) الذريعة ج ٥ ص ٢٧٣.

فلم يتمكنوا، فهي لا تلتقي مع بعض الروايات الأخرى التي تقدمت، فقد ذكرت: أنهم صلوا عليه ودفنوه.

رابعاً: تقول الرواية: إن الإمام لما وصل إلى كربلاء، رمى بنفسه على جسد أبيه، وصار يقول: «يا أبتاه بقتلك قرّت عيون الشّامتين، يا أبتاه بقتلك فرحت بنو أمية الخ..».

وقد كرر كلمة يا أبتاه أربع مرات، فكيف لم يعرفه بنو أسد بذلك، حتى أقسموا عليه ليعرفهم بنفسه؟!

الفصل الثاني:

هل الحسين × في قبره؟!...

المتوكل ينبش قبر الحسين:

عن إبراهيم الديزج: بَعَثَنِي الْمُتَوَكِّلُ إِلَى كَرْبَلَاءَ لِتَغْيِيرِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَام»، وَكَتَبَ مَعِيَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ الْقَاضِي، أَعْلِمُكَ أَنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِبْرَاهِيمَ الدِّيزَجَ إِلَى كَرْبَلَاءَ؛ لِنَبَشِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَام»، فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي فَقِفْ عَلَى الْأَمْرِ حَتَّى تَعْرِفَ فَعَلَ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ.

قَالَ الدِّيزَجُ: فَعَرَّفَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارٍ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَيْهِ، فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارٍ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: مَا صَنَعْتَ؟!

فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ مَا أَمَرْتَ بِهِ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا.

فَقَالَ لِي: أَفَلَا عَمَّقْتَهُ؟

قُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ وَمَا رَأَيْتُ، فَكَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ الدِّيزَجَ قَدْ نَبَشَ، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا، وَأَمَرْتُهُ فَمَخَرَهُ (١) بِالْمَاءِ، وَكَرَبَهُ بِالْبَقَرِ.

(١) مَخَرْتُ الْأَرْضَ: أَيِ أُرْسَلَتْ فِيهَا الْمَاءُ. رَاجِع: الصَّحَاحُ ج ٢ ص ٨١٢ مَادَّةُ

قال أبو عليِّ العَمَّاريُّ: فَحَدَّثَنِي إِبراهيمُ الدِّيزَجُ، وسأَلْتُهُ عَنْ صُورَةِ الأَمْرِ، فَقَالَ لي: أَتَيْتُ فِي خَاصَّةِ غِلْمَانِي فَقَطُّ، وَإِنِّي نَبَشْتُ، فَوَجَدْتُ بَارِيَّةَ جَدِيدَةً وَعَلَيْهَا بَدَنُ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ «عليه السلام»، وَوَجَدْتُ مِنْهُ رَائِحَةَ المِسْكِ، فَتَرَكْتُ البَارِيَّةَ عَلَى حَالَتِهَا وَبَدَنُ الحُسَيْنِ «عليه السلام» عَلَى البَارِيَّةِ، وَأَمَرْتُ بِطَرَحِ الثَّرَابِ عَلَيْهِ، وَأَطْلَقْتُ عَلَيْهِ المَاءَ. وَأَمَرْتُ بِالبَقْرِ لِتَمْخَرَهُ وَتَحْرِثَهُ، فَلَمْ تَطَأْهُ البَقَرُ، وَكَانَتْ إِذَا جَاءَتْ إِلَى المَوْضِعِ رَجَعَتْ عَنْهُ، فَحَلَفْتُ لِغِلْمَانِي بِاللَّهِ وَبِالْإِيمَانِ الْمُعْظَمَةِ لِيَنْ ذَكَرَ أَحَدٌ هَذَا لَأَقْتُلَنَّهُ^(١).

ونقول:

مصباح هدى وسفينة نجاة:

لقد حارب الإمام الحسين «عليه السلام» في حياته، وبعد موته، ولا تزال الحرب مستمرة عليه، وستبقى.. لأن اسمه يلهم الناس رفض الطغاة، والصمود في وجه الجبارين، وعدم الاستجابة لمطامعهم، ورفض الخضوع لأهوائهم، مهما كان الثمن..

الواقع العملي يؤكد على أنه «عليه السلام» مصباح هدى، وسفينة

«مخر».

(١) الأُمالي للطوسي ص ٣٢٦ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٩٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٧٢٤.

نجاة.. وهو نذير للطغاة بعذاب أليم، وبشارة لهم ببوار أحلامهم، وخيبة آمالهم. حيث سيبقى ذكر الحسين «عليه السلام»، واسمه ونهجه نقمة على الجبارين، وخزياً للظالمين.

ومن جملة مظاهر الحرب عليه، ليس مجرد وضع القوى المسلحة على الطرقات المؤدية إلى كربلاء، والتشدد في المنع من زيارة قبره الشريف، والتقنن في التنكيل بزواره، وملاحقتهم، وجعل ثمن السماح بزيارته «عليه السلام» قطع الأيدي والأرجل، فضلاً عن أخذهم للناس بدفع مبالغ طائلة تكاد تكون خيالية بالنسبة إليهم.. وما إلى ذلك..

نبش قبر الحسين:

فلما لم يجدوا إلا المزيد من التعلق به، والإصرار على اتباع نهجه، وزيارة قبره، عمدوا إلى نبش القبر الشريف.. ليعرّفوا الناس على مستوى تصميمهم على القضاء على هذا التعلق بالحسين «عليه السلام»، وليكون فعلهم من أسباب تصغير شأنه، وتوهين أمره. **ويلاحظ:** أن إبراهيم الديزج قال: «بعثني المتوكل إلى كربلاء لتغيير قبر الحسين».

ولكن رسالة المتوكل إلى جعفر بن عمار القاضي، تقول: «إني قد بعثت إبراهيم الديزج إلى كربلاء لنبش قبر الحسين». **فيلاحظ:** أن الديزج يعتمد استعمال كلمات ملائمة، وغير مثيرة، فيقول: لتغيير القبر الشريف، مما يعني أن المطلوب هو مجرد تخريب ظاهر القبر، والتعمية على آثاره، لكي لا يهتدي إليه الناس.

مع أن المتوكل يصرح: بأنه أمر بنبش القبر.

وهذا يعني: أن المطلوب هو حفر باطنه، واستخراج ما فيه..

لعل الغاية من ذلك: هو إخراج الجسد الشريف، إما لإحراقه، كما

فعل الأمويون بجسد زيد بن علي، أو لنقله إلى جهة مجهولة.

ويدل على أن المطلوب هو الجسد الشريف بالذات: قول الديزج

لابن عمار القاضي «فلم أرَ شيئاً، ولم أجد شيئاً..».

ثم صرح لابن عمار: بأنه قد عمّق في حفر القبر..

وصرح أيضاً: بأنه قد نبش حتى بلغ البدن الشريف، وأنه رآه على

بارية، وبأنه قد أجرى الماء على القبر الشريف.

وتذكر الرواية أيضاً: أن ابن عمار كتب للمتوكل: أن الديزج قد نبش

القبر، فلم يجد شيئاً.

فلماذا يريد الديزج إذن، تلطيف العبارات، والتعمية على الوقائع

بقوله: «بعثني المتوكل لتغيير قبر الحسين»؟!!

هل يريد الحفاظ على ماء وجه المتوكل؟! أو أنه يريد أن يخفف

من قبح الذنب الذي ارتكبه في حق القبر وصاحبه؟!!

مخره بالماء وكربه بالبقر:

والأقبح من ذلك: أن جعفر بن محمد بن عمار القاضي قد أمر

إبراهيم الديزج: بأن يمخر القبر بالماء، أي أن يرسل الماء فيه. وأن

يكربه. أي يحرقه بالبقر.. ففعل ذلك..

فلماذا يتبرع هذا الرجل الخبيث بهذه الأوامر القبيحة؟ ولماذا يطيعه الديزج، وينفذ أوامره؟!

واللافت هنا: أن المتوكل لم يكن يثق بإبراهيم الديزج، فوضع عليه ابن عمار رقيباً ليضمن حصول مراده.. وهذا يدل أيضاً على مدى حرص المتوكل على حصول هذا الأمر.

وقد أظهر الله الكرامة للقبر وصاحبه، بامتناع البقر من التقدم نحو القبر الشريف.

هل كان الحسين x في القبر؟!:

تقول رواية الديزج المتقدمة: أنه رأى جسد الحسين في قبره على بارئه جديدة، وفي الروايات: أن أجساد الأنبياء والأوصياء لا تفنى، لأن الله تعالى حرّم لحومهم على الأرض^(١).

ولكن هناك ما يدل على رفع الأجساد الشريفة إلى السماء، فقد ذكر الشيخ المفيد، والكراجكي، والفيض الكاشاني وغيرهم: أن فقهاءنا وعلماءنا متفقون على أن أجساد الأنبياء والأئمة ترفع بعد دفنها إلى

(١) راجع: بصائر الدرجات ص ٤٦٣ و ٤٦٤ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٩١ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٥٠ وج ٢٧ ص ٢٩٩ ومستدرک سفينة البحار ج ١ ص ١٢٢ ونور الثقلين (تفسير) ج ٤ ص ٣٩٤ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١١ ص ٩٩ والوافي ج ٣ ص ٥٤٦.

السماء.

وأما أحاديث تحريم لحومهم على الأرض، فهي ساكتة عن أمر الرفع وعدمه، فيمكن أن يكون عدم أكل الأرض للحومهم، لأجل عدم بقائهم، ويمكن أن يكون مع بقائهم فيها، وعدم فناء أجسادهم.

ونذكر من روايات رفعهم إلى السماء ما يلي:

- ١ - روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» حديث مطول ذكر فيه: أن الله تعالى صور للملائكة صورة لعلي «عليه السلام»، فلما ضربه ابن ملجم صارت تلك الضربة في صورته التي في السماء.
- ولما قتل الحسين «عليه السلام» هبطت الملائكة، فحملته حتى أوقفته مع صورة علي في السماء الخامسة^(١).
- ٢ - وفي حديث آخر عن أم كلثوم بنت علي، تروي فيه حديث دفن أبيها الإمام علي «عليه السلام»، وتقول:
- «فانشق القبر، فلا أدري أغار سيدي في الأرض، أم أسري به إلى السماء..»^(٢).

(١) المحتضر ص ١٤٦ عن الصدوق، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢٢٨ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤٧٥.

(٢) فرحة الغري ص ٣٥ و (نشر مركز الغدير للدراسات الإسلامية) ص ٦٤ وبحار الأنوار ج ٤٢ ص ٢١٦ والغارات للثقي ج ٢ ص ٨٤٦ والدر النظيم ص ٤٢١ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٤٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ١٧٢.

- ٣ - وروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أنه قال: أنا أكرم على الله من أن يدعني في الأرض أكثر من ثلاث..^(١).
- ٤ - عن الإمام الصادق «عليه السلام»: ما من نبي ولا وصي يبقى في الأرض بعد موته أكثر من ثلاثة أيام حتى ترفع روحه وعظمه، ولحمه إلى السماء. وإنما تؤتى مواضع آثارهم، ويبلغهم السلام من بعيد، ويسمعونه في مواضع آثارهم من قريب^(٢).
- ٥ - عن أبي عبد الله «عليه السلام»: لا تمكث جثة نبي ولا

(١) بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٩٨ وج ٢٦ ص ٣٠٣ وج ٩٧ ص ١٣١ وكنز الفوائد للكرجكي ص ٢٥٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٩ ص ٥١٧.

(٢) الكافي ج ٤ ص ٥٦٧ والمزار للمفيد ص ١٨٩ و (ط دار المفيد) ص ٢٢٠ وبصائر الدرجات ص ٤٦٥ وكامل الزيارات ص ٣٢٩ و ٣٣٠ و (نشر مؤسسة نشر الفقه) ص ٥٤٤ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣٤٥ و (ط أخرى) ص ٥٧٧ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٠٦ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ١١٩ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١٢ ص ٤٠٢ ومنتقى الجمان ج ١ ص ٣١٨ والدر النظيم ص ٤٢٢ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٢ ص ٢٥٩ وبحار الأنوار ج ١١ ص ٦٧ وج ٢٢ ص ٥٥٠ وج ٢٧ ص ٢٩٩ و ٣٠٠ وج ٩٧ ص ١٢٩ و ١٣٠ و مرآة العقول ج ١٨ ص ٢٨٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٤ ص ٣٢٣ و (ط الإسلامية) ج ١٠ ص ٢٥٤ ومستدرك الوسائل ج ١٠ ص ١٨٨ والدر النجفية ج ٣ ص ١٥٨ والوافي ج ١٤ ص ١٣٣٩.

وصي في الأرض، أكثر من أربعين يوماً..^(١).

٦ - عن عبد الله بن بكير، بعدما سأل الإمام الصادق «عليه السلام» عن مسائل عديدة، قال: قلت: جعلت فداك، أخبرني عن الحسين «عليه السلام»، لو نبش كانوا يجدون في قبره شيئاً؟!..

قال: يا ابن بكير، ما أعظم مسائلك، إن الحسين مع أبيه، وأمه، وأخيه الحسن، في منزل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يحيون كما يحيى، ويرزقون كما يرزق، فلو نبش في أيامه، لوجدوا. وأما اليوم فهو حي عند ربه يرزق، وإنه لينظر إلى.. الخ..^(٢).

نقل جسد الوصي إلى موضع دفن النبي:

وثمة روايات أخرى تحدثت عن نقل جسد الوصي، ليكون إلى جنب النبي، مثل:

-
- (١) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ١٣٠ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٠٦ والمزار ص ١٨٩ و (ط دار المفيد) ص ٢٢٠ ونور الثقلين (تفسير) ج ٥ ص ١١٩ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١٢ ص ٤٠١ ومستدرك سفينة البحار ج ١ ص ١٢١ والدرر النجفية ج ٣ ص ١٥٨ والوافي ج ١٤ ص ١٣٣٩.
- (٢) كامل الزيارات ص ١٠٣ و ٤٣٨ و ٢٠١ وبحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٠٠ وج ٤٤ ص ٢٩٢ ومقاتل الطالبين ص ٤٢٨ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١٠ ص ٣٩٧ ومستدرك الوسائل ج ١٠ ص ٢٣٠ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ٢١٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٥٣٣ و ٥٣٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٢ ص ٢٦١ و ٥٥٥.

١ - ما روي عن حذيفة بن اليمان، أنه قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الأوصياء مع الأنبياء حيث كانوا. لو أن نبياً مات بالمغرب، ومات وصيه بالمشرق، لأمر الله تعالى الأرض أن تنقله إليه»^(١).

قد يستدل بهذا: على أن الوصي مع النبي، حتى في العالم الآخر إذا كان النبي ينقل بجسده وروحه إلى السماء، والرواية التالية صريحة في ذلك.

٢ - روي: أن مما أوصى به الإمام علي ولده الإمام الحسن «عليهما السلام»، قوله: «فإذا أردت الخروج من قبري، فافتقدي، فإنك لا تجدي، وإنني لاحق بجدك رسول الله «صلى الله عليه وآله». واعلم يا بني، ما من نبي وإن كان مدفوناً بالمشرق، ويموت وصيه بالمغرب، إلا ويجمع الله عز وجل بين روحيهما، وجسديهما، ثم يفرقان فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره، إلى موضعه الذي حظ فيه، الخ..»^(٢).

وهذه الرواية تفيد: أن هذا الجمع والاجتماع ليس مستمراً، بل

(١) المزار للمفيد ص ١٩٣ و (ط دار المفيد) ص ٢٢٤ وعن كنز الفوائد للكراجكي ص ٢٥٨ حديث ١٦ وبحار الأنوار ج ٩٧ ص ١٣١ وج ١٨ ص ٢٩٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٢٩٢.

يحصل لفترة، ثم يعاد الوصي إلى الموضع الذي دفن فيه، ويرجع النبي إلى قبره.

٣ - عن سعد الإسكاف، عن الإمام الصادق «عليه السلام»، قال: لما أصيب أمير المؤمنين «عليه السلام»، قال للحسن والحسين «عليهما السلام»: غسلاني، وكفناني، وحنطاني، واحملاني على سريري، واحملا مؤخره تكفيا مقدمه، فإنكما ستنتهيان إلى قبر محفور، ولحد ملحود، ولبن موضوع، فالحداني، واشرجا اللبن علي، وارفعنا لبنة مما يلي رأسي، فانظرا ما تسمعان..

فأخذا اللبنة من عند رأسه، بعدما أشرجا عليه اللبن، فإذا ليس في القبر شيء، وإذا هاتف يهتف: أمير المؤمنين كان عبداً صالحاً، فألحقه الله بنبيه «صلى الله عليه وآله»، وكذلك يفعل بالأوصياء بعد الأنبياء، حتى لو أن نبياً مات في المشرق، ومات وصيه في المغرب، لألحق الله الوصي بالنبي^(١).

٤ - وفي نص آخر لوصية الإمام علي لولده «عليهما السلام»:

(١) المزار للمفيد ص ١٩٢ و (ط دار المفيد) ص ٢٢٣ وبحار الأنوار ج ٢ ص ٢١٤ و ٢٣٦ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٠٦ وإثبات الهداة ج ٥ ص ٢ وفرحة الغري (منشورات الرضي - قم - إيران) ص ٣٠ و (نشر مركز الغدير للدراسات الإسلامية) ص ٦٠ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ٦٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٤٨٢ و ٤٨٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ١٧٢.

«ثم ضع علي سبع لبنات كبار، ثم انظر، فإنك لن تراني في لحدي..»^(١).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

للتأييد فقط:

إنما ذكرنا هذه الروايات عن لحوق الوصي بالنبي «صلى الله عليه وآله» بعد موته، فلو أن نبياً مات في المشرق، ومات وصيه بالمغرب لأمر الله الأرض أن تنقله إليه.. لمجرد الدلالة على انتقال الأجساد من مكان إلى مكان، لتكون مؤيدة للروايات التي سبقتها حول انتقال الأجساد إلى السماء.

بل رأينا: أن بعضها يصلح لأن ينضم إلى الروايات السابقة لدلالته على نفس المضمون.

ونريد أن نذكر هنا مؤيداً آخر لهذا الأمر، وهو: أن الله تعالى يقول عن النبي إدريس «عليه السلام»: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا)^(٢).

(١) فرحة الغري (منشورات الرضي - قم - إيران) ص ٣٤ و (نشر مركز الغدير للدراسات الإسلامية) ص ٦٢ وبحار الأنوار ج ٤٢ ص ٢١٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٤٠٣ والغارات للثقفى ج ٢ ص ٨٤٦ ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٣٢.

(٢) الآية ٥٧ من سورة مريم.

وقد صرحت الروايات: بأن الله تعالى قد قبض روح إدريس «عليه السلام» في السماء، وكان ذلك بواسطة عزرائيل^(١).

وهذا يدل على أنه كان في السماء بروحه وجسده

وقال تعالى عن النبي عيسى «عليه السلام»: (إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)^(٢).

وقال عز وجل: (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ)^(٣).

ففي الروايات: أنه رفع حياً، وقبض روحه بين السماء والأرض، ثم رفع إلى السماء، ورد عليه روحه^(٤).

بين الثلاثة أيام والأربعين:

هناك حديثان نحتاج إلى الجمع بينهما، وهما: ما روي عن النبي

(١) راجع: الكافي ج ٣ ص ٢٥٧ والوافي ج ٢٤ ص ٢٧٣ وبحار الأنوار ج ١١ ص ٢٧٨ و مرآة العقول ج ١٤ ص ٢٥٥ والبرهان (تفسير) ج ٥ ص ١٣٠ و ١٣١ و (ط مؤسسة البعثة) ج ٣ ص ٧٢١ ونور الثقلين (تفسير) ج ٣ ص ٣٤٩ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٨ ص ٢٤٤ وتفسير القمي ج ٢ ص ٢٥ ومستدرک سفينة البحار ج ٩ ص ٤٣٨

(٢) الآية ٥٨ من سورة النساء.

(٣) الآية ٥٥ من سورة آل عمران.

(٤) راجع: عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٩٣ والخصال للصدوق ص ٥٢٨ و ٥٢٩ وبحار الأنوار ج ١٤ ص ٣٣٨ وج ٢٥ ص ١١٨ ومسنَد الإمام الرضا ج ١ ص ١٠٣ ويناابيع المعاجز ص ١٩٥ والبرهان (تفسير) ج ١ ص ٦٢٨.

«صلى الله عليه وآله»، من أنه قال: «أنا أكرم على الله من أن يدعني في الأرض أكثر من ثلاث».

وحديث: «لا تمكث جثة نبي ولا وصي في الأرض أكثر من أربعين».

ويبدو لنا: أن ظاهر كلمة في الأرض هو: أن تكون الأرض ظرفاً له، وهو في باطنها، ويبعد أن تكون هذه الكلمة واردة على طريقة: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ)^(١). لِيُدَّعى: أنها لا يُقصد بها معنى الظرفية.

وبعدما تقدم نقول:

إننا وإن لم نجد في النصوص ما يصلح قرينة على وجه الجمع بين هذين النصين، ولكن نفس قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «أنا أكرم على الله من أن يدعني في الأرض أكثر من ثلاث». قد دلنا على أن المعيار في مدة البقاء للنبي في الأرض طويلاً، وقصراً هو مقدار كرامته «عليه السلام» على الله.

ولأن نبينا الأعظم كان هو الأكرم على الله من جميع الأنبياء كانت مدة بقائه في الأرض لا تزيد على ثلاثة أيام، فيكون التحديد بالثلاثة خاصاً برسول الله، والتحديد بالأربعين إنما هو بالنسبة لمن عدا نبينا «صلى الله عليه وآله».

(١) الآية ٨٤ من سورة الزخرف.

وبعبارة أخرى: إذا غرضنا النظر عن مسألة الكرامة، فظاهر الثاني العموم لكل نبي ووصي، ووجه الجمع ظاهر..

وإذا اعتبرنا اختصاصه «صلى الله عليه وآله» بالثلاث من جهة كرامته، ولاحظنا مسألة الكرامة، وأمكن بلحاظه التنزيل على مراتب الكرامة، فأكرمهم، وهو نبينا «صلى الله عليه وآله» لا يبقى أكثر من ثلاث، فأدناهم منزلة لا يبقى أكثر من أربعين، وما بين هذا وذاك كل على حسب منزلته..

ولعل إبراهيم الخليل يرفع من الأرض قبل أقل من أربعين، أو أقل من نصفها أيضاً، لأنه «صلى الله عليه وعلى نبينا وآله» أفضل الأنبياء بعد نبينا «صلى الله عليه وآله».

أليس رفع الروح هو الأسبق؟!:

وقد صرحت إحدى الروايات المتقدمة: برفع روح النبي ، ولحمه وعظمه إلى السماء، فقد يقال: إن ذلك لا يستقيم، لأن الروح تتحرر من الجسد وتصعد إلى بارئها قبل الجسد، والعظم واللحم الذي يبقى ثلاثة أيام.

ونجيب:

أولاً: الرواية لم تقل: إن رفع اللحم والعظم، والروح إلى السماء سيكون في لحظة واحدة، بل ذكرت أصل حصول الرفع لهذه الثلاثة، فيحتمل أن يكون ذلك دفعة واحدة، ويحتمل التفريق.

ثانياً: إن خروج الروح من الجسد لا يعني صعودها إلى السماء مباشرة، فقد تبقى قريبة منه، وتبقى لها علاقة - ولو ضعيفة - به، وإن لم تكون حالة فيه.

إبهامات مقصودة في رواية ابن بكير:

ويلاحظ الناظر في رواية ابن بكير عن الإمام الصادق «عليه السلام» حول بقاء الحسين «عليه السلام» في قبره، أو رفعه منه: أنها:

ألف: لم تصرح برفع الجسد الشريف للإمام الحسين «عليه السلام» إلى السماء، ربما لأن المطلوب هو التحفظ في البيان لهذا الأمر، تحاشياً لبعض السلبات أو التشكيكات، أو الاتهامات.

ب: إن سؤال ابن بكير لم يكن عن رفع جسد الحسين «عليه السلام» إلى السماء، بل هو عن فناء جسده «عليه السلام» كسائر الأجساد وعدمه. فأجابه الإمام «عليه السلام»: بأنه في الأيام الأولى كان على حاله، وبعد مضي هذه المدة هو حي عند ربه يرزق.

ج: إن كونه حياً عند ربه يرزق لا يعني رفع الجسد إلى السماء، ولا يعني عدمه، بل يبقى هذا الأمر مبهماً بدرجة مّا.

د: إن كونه حياً عند ربه لا يثبت فناء الجسد ولا ينفيه.

هـ: تقدم: أن الأخبار تقول: إن الله حرّم لحوم الأنبياء والأئمة على الأرض. ولكن الإمام لم يتحدث في جوابه عن هذا الأمر بصورة

صريحة، فأبقى الأمر غامضاً أيضاً.

روايات: أن الأجساد في القبور:

هناك من يرفض الأخذ بروايات رفع أجساد الأنبياء والأئمة إلى السماء، ويستند في ذلك: إلى عدد من الروايات، ونذكر منها ما يلي:

١ - روي: أن الناس قحطوا في سر من رأى، فأمر الخليفة بصلاة الإستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام متتالية يستسقون، فما سقوا..

فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء، ومعه النصارى والرهبان، وكان فيهم راهب، فلما مد يده إلى السماء، هطلت السماء بالمطر، وفعل مثل ذلك في اليوم الثاني..

فشك أكثر الناس، وتعجبوا، ومالوا إلى النصرانية، فبعث الخليفة إلى الإمام الحسن العسكري - وكان محبوساً - فاستخرجه من حبسه، وطلب منه حسم الأمر..

فخرج الجاثليق في اليوم الثالث، والرهبان معه، وخرج الإمام «عليه السلام» في نفر من أصحابه..

«فلما بصر بالراهب، وقد مد يده، أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى، ويأخذ ما بين أصبعيه.

ففعل، وأخذ من بين سبابته والوسطى عظماً أسود. فأخذه الإمام الحسن العسكري «عليه السلام» بيده، ثم قال له: استسق الآن،

فاستسقى - وكانت السماء متغيمة - فانقشعت، وطلعت الشمس
بيضاء..

فقال الخليفة: ما هذا العظم يا أبا محمد؟!..

فقال «عليه السلام»: هذا رجل مر بقبر نبي من أنبياء الله، فوقع
بيده هذا العظم، وما كشف عن عظم نبي إلا هطلت السماء
بالمطر..»^(١).

٢ - روي أن الإمام الصادق «عليه السلام»، قال للمفضل بن
عمر: «إذا أردت زيارة أمير المؤمنين، فاعلم أنك زائر عظام آدم، وبدن
نوح، وجسم علي بن أبي طالب..».

ثم يذكر أن الله تعالى أوحى إلى نوح «عليه السلام»، أن
استخرج من الماء تابوتاً فيه عظام آدم، وأن نوحاً قد فعل ذلك، وكانت
عظام آدم مع نوح في السفينة، فلما خرج منها صير قبره تحت المنارة

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٤٤١ و ٤٤٢ وأشار في هامشه إلى المصادر
التالية: كشف الغمة ج ٢ ص ٤٢٩ وإثبات الهداة ج ٦ ص ٣١٩ وبحار الأنوار
ج ٥٠ ص ٢٧٠ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٥٠٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٣
ص ٥٢٦ ومدينة المعاجز (ط حجرية) ص ٥٧٤ والصراط المستقيم ج ٢
ص ٢٠٧ و ٢٠٨ والفصول المهمة ص ٢٦٩ ونور الأبصار ص ١٨٤
والصواعق المحرقة ص ١٢٤ ومفتاح النجا ص ١٨٩ ورشفة الصادي
ص ١٩٦ وجواهر العقدين ص ٣٩٦. وراجع: الثاقب في المناقب ص ٥٧٥
وينابيع المودة ج ٣ ص ١٣١ و ١٩٠ و ٣٠٦ ووفيات الأئمة ص ٤٠٥ وإحقاق
الحق ج ١٢ ص ٢٦٤ - ٢٦٦ عن بعض المصادر المتقدمة.

التي بمسجد الكوفة..

إلى أن قال: «.. فإذا أردت جانب النجف، فزر عظام آدم، وبدن نوح، وجسم علي بن أبي طالب»^(١).

٣ - روي: أن الله سبحانه أوحى إلى النبي موسى بن عمران «عليه السلام»، أن أخرج عظام يوسف بن يعقوب من مصر، فأخرجه في صندوق من مرمر إلى الشام..^(٢).

(١) المزار للمفيد ص ٣٢ و ٣٣ والمزار لابن المشهدي ص ٣٦ و ٣٧ وكامل الزيارات ص ٣٨ و ٩٠ وفرحة الغري ص ٧٣ و ٧٤ و (نشر مؤسسة الوفاء) ١٠١ و ١٠٢ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ٢٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٤ ص ٣٨٥ و (الإسلامية) ج ١٠ ص ٢٩٩ و ٣٠٠ والغارات ج ٢ ص ٨٥٤ والجواهر السنية ص ٤٦ وبحار الأنوار ج ١١ ص ٢٦٨ و ٣٣٣ و ج ١٣ ص ١٢٧ و ١٢٩ و ١٣٠ و ج ٢٢ ص ٢٩٣ و ج ٥٥ ص ١٧١ و ج ٥٧ ص ٢٠٨ و ج ٧٩ ص ٦٦ و ٦٧ و ج ٩٧ ص ١٣١ و ٢٥٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ١٠٢ ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ٦٣ و ٦٤ ومستند الشيعة ج ٣ ص ٢٨٦ وجواهر الكلام ج ٤ ص ٣٤٤ ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣١٠ وتفسير العياشي ج ٢ ص ١٤٥ و ١٤٦ وقصص الأنبياء للجزائري ص ٩٣.

(٢) الخصال ص ٢٠٥ وعلل الشرائع للصدوق ج ١ ص ٢٩٦ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٣٥ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٩٣ وقصص الأنبياء للراوندي ص ١٣٨ وقصص الأنبياء للجزائري ص ٢٩١ والنور المبين ص ٢٥٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٣ ص ١٦٢ و (الإسلامية) ج ٢

- ٤ - تقدم: أن إبراهيم الديزج قد نبش قبر الإمام الحسين «عليه السلام»، بأمر من المتوكل، فوجده طرياً، على بارية جديدة.. (١).
- ٥ - إنهم يقولون: أن هشام بن عبد الملك أمر بحفر بئر في الرصافة، وأنه بدت لهم جمجمة رجل عليه ثياب بيض، وفي ثوبه مكتوب أنا شعيب بن صالح رسول رسول الله شعيب النبي «عليه السلام» إلى قومه، فضربوني وأضروا بي، وطرحوني في هذا الجب (٢).

ص ٨٣٤ وبحار الأنوار ج ١٣ ص ١٢٧ وج ٥٥ ص ١٧١ و ١٧٢ وج ٧٩ ص ٦٧ ومستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ١٠٢ ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ٦٣ ونور الثقلين (تفسير) ج ٢ ص ٤٧٤ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٦ ص ٣٨٨ والدرر النجفية ج ٣ ص ١٥٥ و ١٦١ وراجع: جامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٣٩٤ والذكرى ص ٦٥ وأمل الآمل ج ١ ص ١٢ وجامع المقاصد ج ١ ص ٤٠١ وروض الجنان ص ٢٢٠ ومجمع الفائدة والبرهان ج ٣ ص ٥٠٤ والمزار للمفيد ص ٢٢١ ومصباح الفقيه (ط.ق) ج ١ ق ٢ ص ٤٣٠ والتفسير الصافي ج ٣ ص ٥١ وجواهر الكلام ج ٤ ص ٣٤٤ والوافي ج ١٤ ص ١٥٩٦.

- (١) الأمل للطوسي ص ٣٢٦ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٩٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٧٢٤ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٣٨٦ وراجع: مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٣٩٦.
- (٢) الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٥٢ وج ٣ ص ١١٦٧ وقصص الأنبياء

ويروى: أن أبا هارون العبدي «المكفوف» دخل على الإمام الصادق «عليه السلام» وأنشده قوله في رثاء الإمام الحسين «عليه السلام»:

أمرر على جدث الحسين وقل لأعظمه الزكية

يا أعظماً لا زلت من وطفاء ساكية روية^(١)

ولم يعترض عليه الإمام «عليه السلام» في ذلك، ولم يقل له: إن جسد الحسين ليس موجوداً في ذلك الجدث، بل هو في السماء.

مع ملاحظة: أن الحديث عن الأعظم الزكية من قبل الشاعر يراد به الحديث عن الجسد كله، ولا يراد به الإشارة إلى فنائه.

فذلك كله يدل على أن أجساد الأنبياء والأوصياء موجودة في القبور، ولم ترفع إلى السماء.

للراوندي ص ١٤٥ والنور المبين ص ٢١٢ وبحار الأنوار ج ٩٧ ص ١٣١ وج ١٢ ص ٣٨٣ عن قصص الأنبياء، والخرائج والجرائح، ومستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٢٧٢.

(١) كامل الزيارات ص ٢٠٨ و ٢١٠ وثواب الأعمال ص ٨٣ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٥٤١ و ٥٤٢ والغدير ج ٢ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله للبري ص ٤٨ ومثير الأحزان لابن نما الحلي ص ٦٤ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص ١٤٦.

وهناك أحاديث أخرى إستدلوا بها، لا نرى حاجة للتعرض لها لظهور الجواب عنها، نذكر منها هنا روايتين:

الأولى: استدلالهم بوصية أمير المؤمنين «عليه السلام»: بأن يضيعوا قبره، خوفاً من طغاة بني أمية.. فلو لم يكن الجسد موجوداً في القبر، فلا داعي للخوف من نبشه.

ويجاب:

بأن نفس هتك حرمة القبر أمر عظيم ومرفوض في نفسه.

الثاني: استدلوا أيضاً: بما ورد في الاستشفاء بالتربة الحسينية..

ويجاب عنه:

بأنه يكفي لحصول الشفاء أخذ التراب من موضع دفنه، وإن لم يلبث فيه سوى لحظات.

قال بعض الإخوة الأكارم:

في حالة سيدنا الحسين «عليه السلام» من المحتمل أن تكون الخصوصية للاستشفاد في هذه الأرض، وجريان دمه «عليه السلام» فيها، بغض النظر عن أصل الدفن، ولو للحظات.

نظرة في الروايات المتقدمة:

ومهما يكن من أمر، فإننا بالنسبة للروايات المتقدمة نذكر

الأمر التالية:

ألف: بالنسبة لحديث الإستسقاء بعظم أحد الأنبياء، نقول:

أولاً: إذا كان الله تعالى قد حرّم لحوم الأنبياء على الأرض، كما تقدم، فذلك يعني: عدم فناء أجسادهم ليتمكن هذا الراهب من الحصول على شيء من عظامه. بل إن أجساد بعض المؤمنين، تبقى مئات السنين طرية وغمضة، كما هو مشاهد، ومنهم: الحر الرياحي، وغيره^(١). فما بالك بالأنبياء؟!!

ثانياً: ذكرت الرواية المشار إليها: أن العظم الذي استسقى به الراهب كان أسود، وكان حجمه صغيراً، بحيث كان الراهب يضعه بين السبابة والوسطى.

والقول بسواد ذلك العظم يلقي شبهة في أن يكون من عظام نبي أو لا يكون..

إلا أن يقال: لعله كان خرساً أو سناً، أو ظفراً كان منفصلاً عن جسد النبي، وقد دفن معه عملاً بالاستحباب، وليس بالضرورة أن يكون جسد ذلك النبي قد بلي.

ويؤيد هذه الاحتمالات: تصريح الرواية بصغر ذلك العظم بشكل لافت كما تقدم.

وربما يحتمل البعض: أن يكون الطغاة قد قتلوا بعض الأنبياء، وقطعوا أعضائهم بالمناشير، أو السيوف، فانفصلت قطعة صغيرة من بعض المواضع، حين حصل ذلك، فعثر عليها ذلك الراهب.

(١) راجع: شجرة طوبى ج ٢ ص ٢٨٥.

ونحن لا نستطيع أن ندفع هذا الاحتمال، لأن بني إسرائيل كانوا مولعين بقتل أنبيائهم.

ب: بالنسبة لزيارة عظام آدم، وبدن نوح، وجسم علي «عليه وعليهم السلام» نقول:

أولاً: إن الحديث لم يصرح بمكان وجود العظام والبدن، والجسم.. بل صرح بموضع زيارتها.. وهو الموضع الذي دفنت فيه حين الموت.. فلعلها رفعت إلى السماء، أو نقل جسد الإمام إلى قرب النبي «صلى الله عليه وآله». ولكن يبقى لزيارته في موضع دفنه نفس فوائد زيارته عند النبي أيضاً لخصوصية في موضع الدفن.

وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في بعض الروايات التي ذكرناها.

وقد رأينا: أن النصوص ذكرت استحباب الزيارة عن بعد، وذكرت أنه لا مانع من أن يزور الزائر الإمام، أو النبي من دون أن يتوجه إلى جهته، بل يزوره على أي حال كان: قائماً، وقاعداً وراكعاً، وساجداً.. و.. الخ..

ثانياً: لعل المراد بقوله: زُرْ عظام آدم وبدن نوح، وجسم علي: أن يقول الزائر: السلام على عظام آدم، وبدن نوح الخ..

ثالثاً: إن رفع الأجساد إلى السماء، لا يعني لزوم بقائها في السماء، فلعل الله تعالى يعيد تلك الأجساد إلى القبور، ويعيد أجساد بعض الأنبياء، أو الأئمة لمصالح وأسرار هو يعلمها.

وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الأمر في بعض الروايات أيضاً.

لكن المهم: هو أن التكريم قد حصل برفع الجسد إلى السماء ولو لمدة وجيزة، أو مديدة، أو ليبقى في السماء على الدوام.

ج: بالنسبة لنقل عظام النبي آدم، التي كانت في تابوت تحت الماء، وكذلك الحال بالنسبة لعظام يوسف التي كانت في صندوق من مرمر في النيل نقول:

أولاً: ما الدليل على صحة أو اعتبار الرواية التي ذكرت ذلك؟!!

ثانياً: إن وجود عظام النبي آدم ويوسف في صندوق تحت الماء قد يشير إلى أن تلك الجثث الطاهرة لم تكن قد دفنت بعد، وفق ما قرره الشرع الشريف.

فيكون جعلها في هذه الصناديق تحت الماء من قبيل إيداعها بهذا النحو في ذلك الموضع.. ربما ليتولى دفنها نبي أو وصي تشريفاً وتكريماً لهما «عليهما السلام»..

بل لعل سبب الإيداع: هو انتظار الفرصة لنقله «عليه السلام» إلى التربة التي خلق منها، كما ورد في صحيحة محمد بن مسلم، عن أحدهما «عليهما السلام» قال: «من خلق من تربة دفن فيها»^(١).

وعن الصادق «عليه السلام»: إن النطفة إذا وقعت في الرحم

(١) الكافي ج ٣ ص ٢٠٢ و مرآة العقول ج ١٤ ص ١٢٠ ونور الثقلين (تفسير) ج ٣ ص ٣٨٣ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٨ ص ٣٢٣ والدرر النجفية ج ٣ ص ١٦٦.

بعث الله ملكاً يأخذ من التربة التي يدفن فيها، فمائها في النطفة، فلا يزال قلبه يحن. أي يشفق إليها، حتى يدفن فيها^(١).

ولعل كلمة: «عظام» قد جاءت وفق ما يتوقعه الناس العاديون من تعابير عن الأموات الذين ماتوا من زمن بعيد، فلا دلالة فيها على فناء الأجساد، حتى لم يبق منها إلا العظام بسبب توالي العصور والدهور. **ويشهد لما نقول:** ما دل على أن لحوم الأنبياء محرمة على الأرض.

بل المراد بالعظام: هو جثة النبي، لأن الناس قد يعبرون بالعظام، لأنها قوام البدن، فحملها ونقلها حمل ونقل للبدن كله.

د: بالنسبة لرواية إبراهيم الديزج نقول:

تقدم بعض الكلام حولها، ونضيف هنا:

أولاً: إن ما ذكر في هذه الرواية مستنده إبراهيم الديزج نفسه، وكذلك جعفر بن محمد بن عمار القاضي. ولا يوثق بكلام هؤلاء الفجرة، ولا سيما مع اعترافه بما فعله بقبر الحسين «عليه السلام». حتى إنه بالرغم من ادّعائه: أنه رأى بدن الحسين «عليه السلام» على

(١) الكافي ج ٣ ص ٢٠٣ والوافي ج ٢٥ ص ٥٩٠ وبحار الأنوار ج ٥٧ ص ٣٣٨ ومرآة العقول ج ١٤ ص ١٢٠ ونور الثقلين (تفسير) ج ٣ ص ٣٨٤ و ٥٣٤ وج ٤ ص ٢٢٠ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٨ ص ٣٢٣ وج ١٠ ص ٢٧٦ والدرر النجفية ج ٣ ص ١٦٦.

بارية عاد، فأجرى عليه الماء، وكربه أي حرثه بالبقر..

فليس من البعيد: أن يحاول هؤلاء المجرمون تقديم صورة ملطفة عن جرائمهم، خوفاً من إثارة الناس ضدهم، ونبذهم لهم.

ثانياً: من الذي قال: إن إبراهيم الديزج قد شاهد جسداً أصلاً، وإذا كان قد شاهد جسداً فمن الذي قال: إنه شاهد جسد الحسين «عليه السلام»، وهو إنما ولد بعد استشهاد الحسين «عليه السلام» بعشرات السنين، فلعله شاهد جسد أحد الشهداء الآخرين، أو غيرهم، أو أن الله تعالى أراه جسداً ما لحكمة يراها.

هـ: بالنسبة للحديث القائل: إنهم حفروا بئراً، فوجدوا فيه جثة شعيب بن صالح نقول:

أولاً: ما أدراهم أن تلك الجثة التي وجدوها هي جثة شعيب بن صالح، أو جثة شخص آخر، وهم لم يروا شعيباً هذا؟!!

ثانياً: من الذي حدد لهم مكان دفن شعيب بن صالح؟! وما مدى صدق من أخبرهم بمكان دفنه، إن كان هناك مخبر؟!!

ثالثاً: كيف ثبت لهم: أن شعيب بن صالح من الأنبياء، أو الأوصياء، فإن الحديث يقول: إنه رسول رسول الله شعيب النبي إلى قومه، فليس هو من الأنبياء ولا الأوصياء.. ورسول الرسول لا يجب أن يكون نبياً ولا رسولاً.

رابعاً: ذكرت رواية شعيب بن صالح: أنهم حفروا ماءتي قامة حتى وصلوا إليه، فوجدوه لابساً ثياباً بيضاً، مكتوباً عليها: أنا شعيب بن

صالح الخ..

فإذا كان هذا الرجل قد قتل من عهد شعيب النبي «عليه السلام»، وموسى «عليه السلام»، فكيف بقيت ثيابه هذه المئات والآلاف من السنين، ولم يبلها التراب، ولا تغيرت الكتابة؟! إلا إن كان الله تعالى قد صنع له هذه الكرامة.

خامساً: إننا لم نعرف السبب في حفر قوم شعيب بن صالح بئراً بعمق متني قائمة ليجعلوه فيه، فإن حفر ما يقرب من ثلاث مئة وخمسين متراً يحتاج إلى جهد كبير، وفيه صعوبات ومخاطر كبيرة، ويحتاج إلى وسائل وأدوات تناسبه، فهل كان هناك موجب لهذا الأمر؟! وهل يقدم عليه من لديه ذرة من فهم وعقل؟!

أين هو قبر الحسين؟!:

قال ابن جرير بن رستم الطبري: «قبره في البقعة المباركة، والربوة التي هي ذات قرار ومعين، بطف كربلاء، بين نينوى والغاضرية من قرى النهرين»^(١).

وعن أبي الجارود قال: حفر عند قبر الحسين «عليه السلام»، عند

(١) دلائل الإمامة ص ٧٣ و (نشر مؤسسة البعثة) ص ١٨٠ وراجع: الهداية الكبرى للخصيبي ص ٢٠٢.

رأسه، وعند رجليه أول ما حفر، فأخرج مسك أدفر، لم يشكوا فيه^(١).

قبر الحسين × غير معروف؟!:

روى الخطيب البغدادي، عن أحمد بن سعيد الحمال [الجمال] قال: سألت أبا نعيم عن زيارة قبر الحسين، فكأنه أنكر أن يعلم أين قبره^(٢). وذكر بعض تلامذة ابن قولويه: أن جميع أحاديث الباب الثامن والثمانين من كتاب كامل الزيارات وغيرها مما يجري مجراها «يستدل بها على صحة قبر مولانا الحسين «عليه السلام» ب كربلاء، لأن كثيراً من المخالفين ينكرون أن قبره ب كربلاء، كما ينكرون أن قبر مولانا أمير المؤمنين علي «عليه السلام» بالغري بظهر نجف الكوفة»^(٣).

وذكر ابن جرير وغيره: أن موضع قتله عفي أثره، حتى لم يطلع

(١) الأُمالي للطوسي ص ٣١٧ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٥٣ وج ٩٧ ص ١٩١.

(٢) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٤٣ و ١٤٤ و (ط دار الكتب العلمية) ص ١٥٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٢٤٥ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص ٤١١ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦٥٧ وتهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٤٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٧ ص ٥٢٧.

(٣) راجع: كامل الزيارات (ط سنة ١٣٧٥ هـ - نشر صدوق) ص ٢٧٢ و ٢٧٣.

أحد على تعيينه بخبر^(١).

وقد كان أبو نعيم الفضل بن دكين ينكر على من زعم أنه يعرف قبر الحسين.

وذكر هشام بن الكلبي: أن الماء لما أجري على قبر الحسين لِيُمَحَّى أثره نضب الماء بعد أربعين يوماً، فجاء أعرابي من بني أسد، فجعل يأخذ قبضة، قبضة، ويشمها حتى وقع على قبر الحسين، فبكى، وقال: بأبي أنت وأمي، ما كان أطيبك، وأطيب تربتك، ثم أنشأ يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن محبه فطيب تراب القبر دل على

القبر^(٢)

وقال الزبيدي مشيراً إلى وجود خلاف في موضع دفنه «عليه

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٨٩ و ٢٠٣ و (طدار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٢٢١ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ٢٩٩.

(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٨٩ و ٢٠٣ و (طدار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٢٢١ و ٢٢٢. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٢٤٥ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص ٤٠٨ وتهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٤٤ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣١٧ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦٥٧ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ٣٠٠ والدر النظيم ص ٥٧٢ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٣٨٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٧ ص ٣٦٣ و ٥٢٦.

السلام»: «وهناك دفن على الصحيح»^(١). أي في كربلاء.

ونقول:

إن قبر الإمام الحسين «عليه السلام» لم يزل مقصداً للناس، ليس فقط من شيعة الحسين وأهل البيت «عليهم السلام»، بل من كل مسلم، بالإضافة إلى ما نراه من توافد غير المسلمين عليه في المناسبات المختلفة..

وبالرغم من هذا الإقبال الهائل على زيارته «عليه السلام» عبر العصور والدهور، فإنك تجد مئات الشواهد والأدلة، والبيانات والتصریحات: بأنه «عليه السلام» دفن في كربلاء.

وقد كان هذا الإقبال الهائل على زيارته، والتعاهد المتواصل لقبره الشريف ظاهراً للعيان في كل يوم، وكل شهر، وكل سنة على مدى المئات من السنين - كان - يكفي أي إنسان لديه ذرة من عقل وإنصاف وتجرد، ليردعه عن إطلاق ادّعاءات فارغة، بل مضحكة، تهدف إلى تضليل الناس، وإثارة الشكوك لدى العامة لكي تفقدهم بعض الرغبة والحماس لزيارة قبره الشريف.

فصار حتى بعض من يدّعي لنفسه العلم، أو يدّعيه المغرضون له، يطلقون الشائعات السخيفة التي تنشي بتعصبهم، وبأنهم ألعبوبة بيد الحكام،

(١) تاج العروس ج ٨ ص ٩٧ و (طدار الفكر) ج ١٥ ص ٦٥٤.

ويريدون تقديم خدمة لهم بإسهامهم القدر والمهين والمشين في كبح الرغبة في إظهار الولاء لأهل البيت بزيارة قبر شهيدهم المظلوم.

ولو فرضنا: أن قبره غير معلوم، فلماذا أقام الظالمون والحاقدون الموانع التي تحجز الناس عن الوصول إلى كربلاء؟! ولماذا قطعوا السدرة التي كان زوار الحسين «عليه السلام» يستظلون بها؟! يستظلون بها؟!!

ولماذا يأمر المتوكل إبراهيم الديزج بنبيش قبر الحسين «عليه السلام» في كربلاء؟!!

ولماذا أجرى عليه الماء، وكربه بالبقر؟!!

ولماذا جعلوا قطع اليد ثمناً للسماح بزيارة ذلك القبر الشريف؟! وكيف استطاع ذلك الأسدي أن يهتدي إلى القبر الشريف بعد أكثر من أربعين يوماً من حرث القبر، وإجراء الماء عليه، وقد اهتدى إليه من خلال شم التراب في ذلك الموضع قبضة قبضة، حتى وقع على القبر الشريف؟!!

إن عمل هؤلاء الناس، بالرغم من خطورته، لأنه يزرع الشك والريب في النفوس، وتتضاءل الرغبة في قصد القبر الشريف لزيارته والتبرك به، وقد يتواصل هذا الشك، وينتقل من جيل إلى جيل.

ولكن المدهش والمثير: أن نتائج جهدهم كانت سراباً، وما بنوه

وأملوه، وتوقعوه أصبح يباباً.. وها هو القبر الشريف لم يزل، وسوف يبقى إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها محجة للراغبين، وقبلة للطالبيين، ومنار هدى للمدلجين، وأماناً للخائفين.

وهنا ينتهي الجزء العشرون، من سيرة الحسين «عليه السلام». وقد حصل الفراغ من كتابة هذا الجزء بتاريخ ٢٣ شهر ربيع الأول سنة ١٤٣٧ هـ. ق الموافق ٤ كانون الثاني سنة ٢٠١٦ م. ش.

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين..

الفهرس

- ١ - الفهرس الإجمالي
- ٢ - الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي

الباب الثاني: أحداث جرت في الكوفة ..	٥
الفصل الأول: الكوفة تستقبل السبايا ..	٧
الفصل الثاني: خطبة زينب، وأم كلثوم، وفاطمة في الكوفة ..	٣٧
الفصل الثالث: خطبة السجاد × في الكوفة ..	٨٠
الفصل الرابع: املاً ركابي فضة وذهباً ..	٩٨
الفصل الخامس: زينب والسجاد في مواجهة ابن زياد ..	١٣٢
الفصل السادس: إلى السجن من جديد ..	١٥٩
الفصل السابع: الرؤوس تطوف في الطرقات ..	١٨٩
الفصل الثامن: نهضة ابن عفيف وتداعياتها ..	٢١٣
الفصل التاسع: أحداث لا بد من التوقف عندها ..	٢٣٩
الباب الثالث: إلى كربلاء من جديد ..	٢٤١
الفصل الأول: دفن الأجساد ..	٢٦٣
الفصل الثاني: هل الحسين × في قبره؟! ..	٢٩١
الفهارس ..	٣٢٣
الفهرس الإجمالي ..	٣٥٣
الفهرس التفصيلي ..	٣٥٥

الفهرس التفصيلي

- ٥ الباب الثاني: أحداث جرت في الكوفة.
- ٧ الفصل الأول: الكوفة تستقبل السبايا.
- ٩ ابن سعد دخل الكوفة نهراً:
- ٩ هؤلاء يبكين علينا، فمن قتلنا؟!:
- ١١ السؤال المخرج والصريح:
- ١٣ أسارى آل محمد:
- ١٥ من هم الأسرى؟!:
- ١٦ استقبال السبايا في مصادر متأخرة:
- ٢٤ هل كان هناك عسكريان؟!:
- ٢٥ ظهور النار في القصر:
- ٢٦ تدابير احترازية في الكوفة:
- ٢٨ الشعر الذي قاله السجاد x:
- ٣٣ الصدقة علينا حرام:
- ٣٤ زينب نطحت رأسها بمقدم المحمل:
- ٣٤ رأس الحسين x في شوارع الكوفة:

- ٣٤ مئة ألف إنسان في شوارع الكوفة:
- ٣٧ الفصل الثاني: خطبة زينب، وأم كلثوم، وفاطمة في الكوفة...
- ٣٩ هكذا جرت الأحداث في الكوفة:
- ٤١ خطبة زينب ÷ في أهل الكوفة:
- ٤٤ توضيحات:
- ٤٦ راوي خطبة زينب:
- ٤٧ أين كانت هذه الخطبة؟!:
- ٤٩ الكوفيون بنظر زينب ÷:
- ٥٢ ثمرات ونتائج:
- ٥٨ المقصود هو رسول الله ﷺ:
- ٦٠ هول الجريمة:
- ٦١ أنت بحمد الله عالمة غير معلمة:
- ٦٥ خطبة أم كلثوم:
- ٦٧ هل هذه زينب؟!:
- ٦٩ خطبت من وراء كلتها:
- ٦٩ نشرن شعورهن:
- ٧٠ الشيعر المنسوب لأم كلثوم:
- ٧٠ خطبة فاطمة الصغرى:
- ٧٤ إيضاحات:

- ٧٥ للتذكير.. والبيان:
- ٧٥ فكذبتمونا وكفّرتمونا:
- ٧٦ كأننا أولاد ترك أو كابل:
- ٧٦ نحن قتلنا علياً وبني علي:
- ٧٧ قتلتم جدنا بالأمس:
- ٨٠ الفصل الثالث: خطبة السجاد x في الكوفة:
- ٨٢ السجاد x يخاطب أهل الكوفة:
- ٨٤ إيضاحات:
- ٨٥ الإغراء بالإصغاء والانتباه:
- ٨٥ هكذا عرفهم نفسه x:
- ٨٩ الفخر بقتل الصبر!!:
- ٩٠ السجاد x يستنطق أهل الكوفة:
- ٩٢ هلكتم وما تعلمون:
- ٩٢ هل هذا استدراج؟!:
- ٩٤ ورب الراقصات!!:
- ٩٥ ثكل رسول الله وثكل أبي:
- ٩٦ لا تكونوا لنا ولا علينا:
- ٩٦ هذا الشعر لا يستقيم:

- ٩٨ الفصل الرابع: املاً ركابي فضة وذهباً
- ١٠٠ الرأس الشريف عند ابن زياد:
- ١٠٣ فقدان المعايير:
- ١٠٥ غضب ابن زياد:
- ١٠٥ إملاً ركابي فضة وذهباً:
- ١٠٦ مصيبة - والله - ما أعظمها:
- ١٠٧ جبروت واستكبار:
- ١٠٩ سماجة ووقاحة ابن زياد:
- ١١١ طشت من ذهب! لماذا؟:
- ١١٢ هل أسرع الشيب إلى الحسين؟!:
- ١١٣ يوم بيوم بدر:
- ١١٤ كانوا أعق وأظلمًا:
- ١١٥ هل خرف زيد بن أرقم؟!:
- ١١٩ إيضاحات:
- ١١٩ هكذا يتصرف الوضع:
- ١٢٠ الخرف المزعوم:
- ١٢٠ هل كان زيد بن أرقم أعمى؟!:
- ١٢٣ أتبكي لفتح الله؟!:
- ١٢٤ يفلق هاماً من رجال أعزة:

- ١٢٤ يقتل خياركم، ويستعبد شرراكم:
- ١٢٥ أنس.. وابن زياد:
- ١٣٢ الفصل الخامس: زينب والسجاد في مواجهة ابن زياد..
- ١٣٤ زينب وابن زياد:
- ١٣٦ لماذا تنكرت زينب؟! :
- ١٤٠ إنما يفتضح الفاسق:
- ١٤٢ هل هذا صنع الله؟! :
- ١٤٣ رد زينب والسجاد ' :
- ١٤٥ تشقي ابن زياد:
- ١٤٦ هل اختطف السجاد x؟! :
- ١٥٣ الإمام السجاد x وابن زياد:
- ١٥٦ الكشف عن السجاد: هل أدرك:
- ١٥٧ الجبر الإلهي عند بني أمية:
- ١٥٨ موقف زينب سديد ورشيد:
- ١٦٠ القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة:
- ١٦٢ وبك جرأة لجوابي:
- ١٦٤ دعوه، فإني أراه لما به:
- ١٦٥ كيف سلم هذا؟! اقتلوه:

- ابن زياد، وأم كلثوم: ١٦٦
- بنت الحسين، أو أخته: ١٦٧
- هل أحضر ابن زياد أم كلثوم مرة أخرى؟! : ١٦٩
- الفصل السادس: إلى السجن من جديد..... ١٧١
- إلى السجن مرة بعد أخرى: ١٧٣
- لماذا هذه الإهانات؟! : ١٧٦
- البشائر إلى النواحي: ١٧٧
- لا يدخلن علينا عربية: ١٧٨
- أجرى عليهن رزقاً: ١٨٤
- الحجر الذي سقط عليهم في السجن: ١٨٥
- الفصل السابع: الرؤوس تطوف في الطرقات ١٨٩
- الرؤوس في أزقة الكوفة: ١٩١
- الرؤوس نصبت في الكوفة: ١٩٤
- أول رأس حمل: ١٩٥
- أصحاب الكهف والرقيم: ١٩٩
- إيضاحات: ٢٠٠
- لماذا أصحاب الكهف والرقيم؟! : ٢٠٠
- رجعة أهل الكهف ورجعة الحسين: ٢٠٥
- ملاحظة أخيرة: ٢٠٦

- ٢٠٧حديث البساط:
- ٢١٣الفصل الثامن: نهضة ابن عفيف وتداعياتها..
- ٢١٥ابن عفيف يتصدى للطاغية:
- ٢٢١ما جرى على مؤيدي ابن عفيف:
- ٢٢٣ابن عفيف الرجل العابد:
- ٢٢٤شدَّ يدك بساداتهم:
- ٢٢٧الحمد لله الذي أخزأك:
- ٢٢٩ما تقول في عثمان؟!:
- ٢٣١تداعيات قتل ابن عفيف:
- ٢٣٤المختار يتصدى لابن زياد:
- ٢٣٦لماذا غضب يزيد؟!:
- ٢٣٧ابن عمر يهدد ابن زياد بجيش:
- ٢٣٨إطلاق سراح المختار:
- ٢٣٩الفصل التاسع: أحداث لا بد من التوقف عندها..
- ٢٤١إخفاء الأدلة:
- ٢٤٤موقف أبي برزة:
- ٢٤٤موقف قيس بن عباد:
- ٢٤٥رجل من بكر بن وائل:

- ٢٤٦ مع حديث أبي برزة:
- ٢٤٧ ابن زياد جاهل أو يتجاهل:
- ٢٤٨ الجواب الصريح والفاضح:
- ٢٤٩ إن لم تعد ضربت عنقك:
- ٢٤٩ حيطان دار الإمارة تسيل دماً:
- ٢٥٣ قطرة من دم الحسين X:
- ٢٥٦ العدوان على الرأس الشريف:
- ٢٥٨ توضيحات:
- ٢٥٨ التشويه للتمويه:
- ٢٥٩ ابن حريث يستدرك بعض الأمر:
- ٢٦٠ بل هو ابن المشؤوم:
- ٢٦١ الباب الثالث: إلى كربلاء من جديد:
- ٢٦٣ الفصل الأول: دفن الأجساد:
- ٢٦٥ الرسول.. ودفن الأجساد:
- ٢٦٦ مشاركة الملائكة في دفن المعصوم:
- ٢٦٨ رؤيا أم سلمة: فوائد وعوائد:
- ٢٧١ اليوم قتلوا، والساعة دفنهم:
- ٢٧٤ ما زلت أحفر قبوراً:
- ٢٧٤ رواية المشاركة:

- ٢٧٥ دفن الأصحاب:
- ٢٨٠ متى دفن الشهداء؟!:
- ٢٨٠ هل كان الشهداء في حفرة واحدة؟!:
- ٢٨١ يرون طيوراً بيضاً:
- ٢٨٢ إختلافات في الروايات:
- ٢٨٣ من غرائب الروايات:
- ٢٨٤ الشهيد يدفن في ثيابه:
- ٢٨٥ الحسين دفن في ثيابه:
- ٢٨٧ إشارة لا بد منها:
- ٢٨٨ الشهيد لا يغسل ولا يكفن:
- ٢٨٩ هل كفن ابن المطاع وغسل؟!:
- ٢٨٩ هل سلبوا الحسين ثيابه؟!:
- ٢٩٠ الذي صلى على الحسين:
- ٢٩١ تغسيل الإمام:
- ٢٩٧ هي اغتسلت أو غسلها علي؟!:
- ٢٩٨ لا يلي أمر الإمام إلا الإمام:
- ٢٩٩ حضور السجاد دفن أبيه:
- ٣٠١ بنو أسد في كربلاء:

- ٣٠١ أين هي الروايات؟!:
- ٣٠٢ دليل آخر على حضور الإمام:
- ٣٠٣ الأدلة العامة على حضور الإمام:
- ٣٠٥ موجز عما جرى في كربلاء:
- ٣٠٧ لا رواية عن حضور السجاد X دفن أبيه:
- ٣٠٧ رواية في مصادر متأخرة:
- ٣١٦ الفصل الثاني: هل الحسين X في قبره؟!:
- ٣١٨ المتوكل ينبش قبر الحسين:
- ٣١٩ مصباح هدى وسفينة نجاة:
- ٣٢٠ نبش قبر الحسين:
- ٣٢١ مخره بالماء وكربه بالبقر:
- ٣٢٢ هل كان الحسين X في القبر؟!:
- ٣٢٥ نقل جسد الوصي إلى موضع دفن النبي:
- ٣٢٨ للتأييد فقط:
- ٣٢٩ بين الثلاثة أيام والأربعين:
- ٣٣١ أليس رفع الروح هو الأسبق؟!:
- ٣٣٢ إبهامات مقصودة في رواية ابن بكير:
- ٣٣٣ روايات: أن الأجساد في القبور:
- ٣٣٨ نظرة في الروايات المتقدمة:

- أين هو قبر الحسين؟! :..... ٣٤٤
- قبر الحسين x غير معروف؟! :..... ٣٤٥
- الفهارس..... ٣٥١
- الفهرس الإجمالي..... ٣٥٣
- الفهرس التفصيلي..... ٣٥٥

كتب مطبوعة للمؤلف..

كتب مطبوعة للمؤلف

- ١ - الآداب الطبية في الإسلام
- ٢ - ابن عباس وأموال البصرة
- ٣ - ابن عربي سني متعصب
- ٤ - أبو ذر لا إشتراكية.. ولا مزدكية
- ٥ - أحيوا أمرنا
- ٦ - إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم
- ٧ - إسرائيل.. في آيات سورة بني إسرائيل.. تفسير ثمان آيات..
- ٨ - الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل
- ٩ - الإعتماد في مسائل التقليد والإجتihad (صدر منه جزء واحد)
- ١٠ - أفلا تذكرون «حوارات في الدين والعقيدة»
- ١١ - أكنوبتان حول الشريف الرضي
- ١٢ - الإمام علي والنبي يوشع
- ١٣ - أهل البيت ٨ في آية التطهير
- ١٤ - أين الإنجيل؟!
- ١٥ - بحث حول الشفاعة
- ١٦ - براءة آدم x حقيقة قرآنية
- ١٧ - البنات ربائب.. قل: هاتوا برهانكم
- ١٨ - بنات النبي ﷺ أم ربائبه؟!
- ١٩ - بيان الأئمة وخطبة البيان في الميزان
- ٢٠ - تحقيقي در باره تاريخ هجري
- ٢١ - تخطيط المدن في الإسلام

-
- ٢٢ - تفسير سورة ألم نشرح
 ٢٣ - تفسير سورة الضحى
 ٢٤ - تفسير سورة الفاتحة
 ٢٥ - تفسير سورة الكوثر
 ٢٦ - تفسير سورة الماعون
 ٢٧ - تفسير سورة الناس
 ٢٨ - تفسير سورة هل أتى (جزءان)
 ٢٩ - توضيح الواضحات من أشكال المشكلات
 ٣٠ - الحاخام المهزوم
 ٣١ - حديث الإفك
 ٣٢ - حقائق هامة حول القرآن الكريم
 ٣٣ - حقوق الحيوان في الإسلام
 ٣٤ - الحياة السياسية للإمام الجواد X
 ٣٥ - الحياة السياسية للإمام الحسن X
 ٣٦ - الحياة السياسية للإمام الرضا X
 ٣٧ - خسائر الحرب وتعويضاتها
 ٣٨ - خلفيات كتاب مأساة الزهراء ÷ (ستة أجزاء)
 ٣٩ - دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام (أربعة أجزاء)
 ٤٠ - دراسة في علامات الظهور
 ٤١ - دليل المناسبات في الشعر
 ٤٢ - ربائب الرسول ﷺ «شبهات وردود»
 ٤٣ - رد الشمس لعللي X
 ٤٤ - زواج المتعة (تحقيق ودراسة) (ثلاثة أجزاء)
 ٤٥ - الزواج المؤقت في الإسلام (المتعة)
 ٤٦ - زينب ورقية في الشام!!
 ٤٧ - سلمان الفارسي في مواجهة التحدي
 ٤٨ - سنابل المجد (قصيدة مهداة إلى روح الإمام الخميني وإلى الشهداء الأبرار)
 ٤٩ - السوق في ظل الدولة الإسلامية

- ٥٠ - سياسة الحرب في دعاء أهل الثغور
- ٥١ - سيرة الحسين X في الحديث والتاريخ (أنجز منه ٢٠ جزءاً)
- ٥٢ - شبهات يهودي
- ٥٣ - الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة
- ٥٤ - الصحيح من سيرة الإمام علي X (ثلاثة وخمسون جزءاً)
- ٥٥ - الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ (خمسة وثلاثون جزءاً)
- ٥٦ - صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد
- ٥٧ - طريق الحق (حوار مع عالم جليل من أهل السنة والجماعة)
- ٥٨ - ظاهرة القارونية من أين؟! وإلى أين؟!
- ٥٩ - ظلامه أبي طالب X
- ٦٠ - ظلامه أم كلثوم
- ٦١ - عاشوراء بين الصلح الحسنى والكيد السفينى
- ٦٢ - عصمة الملائكة بين فطرس.. وهاروت وماروت
- ٦٣ - علي X والخوارج (جزءان)
- ٦٤ - الغدير والمعارضون
- ٦٥ - فصل الخطاب في الميزان
- ٦٦ - القول الصائب في إثبات الربائب
- ٦٧ - كربلاء فوق الشبهات
- ٦٨ - لست بفوق أن أخطىء من كلام علي X
- ٦٩ - لماذا كتاب مأساة الزهراء ÷؟!!
- ٦٧ - ماذا عن الجزيرة الخضراء ومثلث برمودا؟!!
- ٧١ - مأساة الزهراء ÷ (جزءان)
- ٧٢ - مختصر مفيد (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، (ثمانية عشر جزءاً).
- ٧٣ - مراسم عاشوراء «شبهات وردود»
- ٧٤ - المسجد الأقصى أين؟!!
- ٧٥ - مقالات ودراسات
- ٧٦ - منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية

-
- ٧٧ - المواسم والمراسم
٧٨ - موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام
٧٩ - موقف الإمام علي x في الحديبية
٨٠ - ميزان الحق «شبهات وردود» (أربعة أجزاء)
٨١ - نقش الخواتيم لدى الأئمة ٨
٨٢ - وقفات مع ناقد
٨٣ - الولاية التشريعية
٨٤ - ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة

مؤلفات قيد الإعداد..

قيد الإعداد

- ١ - الإعتماد في مسائل التقليد والإجتihad (الجزء الثاني)
- ٢ - تفسير سورة الفلق
- ٣ - تفسير سورة التوحيد (الإخلاص)
- ٤ - تفسير سورة المسد
- ٥ - تفسير سورة النصر
- ٦ - تفسير سورة التكاثر
- ٧ - تفسير سورة العاديات
- ٨ - مختصر مفيد (المجموعة ١٩)